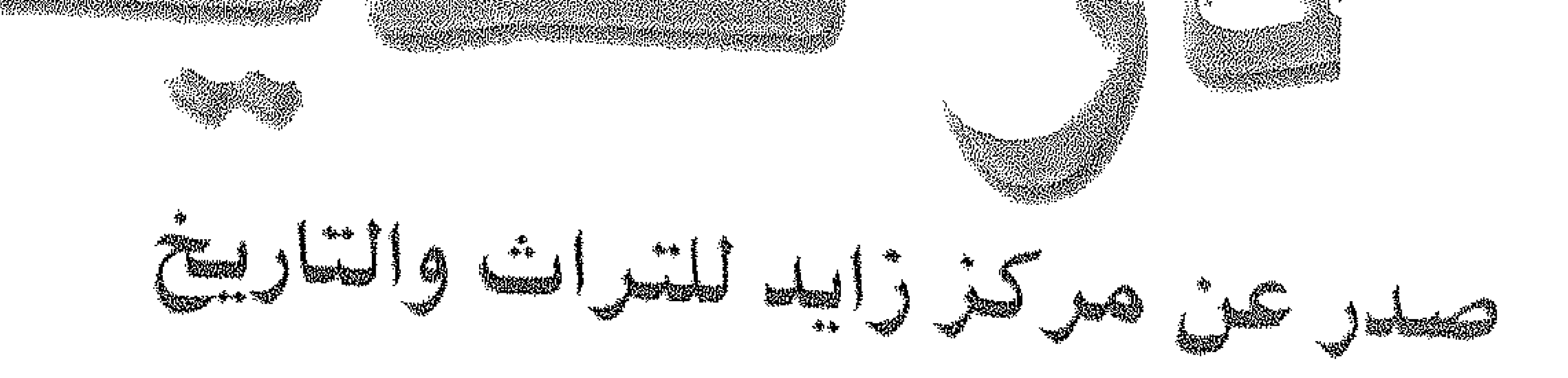


تراث
شهرية تصدر عن نادي تراث الإمارات
السنة السابعة- العدد ٧٤
ذو القعدة/ذو الحجة١٤٢٥هـ- يناير ٢٠٠٥م
NATIONAL BANK OF ABU DHABI
ندوة المفكرين: زايد شخصية فريدة وقيادة فذة
فنجان القهوة الأول للضيف والثاني للكيف
مؤتمر سنوي للتمور والنخلة بالعين
التقويم في التراث الإسلامي
لغتنا تبدع في تسمية أوائل الأزمنة
الجراد في التراث العربي
المباني الشعبية في عسير
المكحلة في التراث
تطور الخط العربي
٦٠ عاماً على إنشاء البنوك في الإمارات



صدر عن مركز زايد للتراث والتاريخ

تراث

مجـلة شـهرية ثقافية منوعـة تصدر عن
نادي تراث الإمارات – العدد (٧٤) – السنة السابعة
ذو القعدة / ذو الحجة ١٤٢٥هـ – يناير ٢٠٠٥م

المراسلات:
نادي تراث الإمارات، ص.ب: ٢٧٧٦٥ أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة، هاتف: ٤٤٦٦١١٦
فاكس: ٤٤٣٠٨٨١ (٠٢)
بريد الكتروني
email: turathmag@yahoo.com

ثمن النسخة
الإمارات ٥ دراهم، قطر والسعودية ٥ ريالات
البحرين والكويت ٥٠٠ فلس، عُمان: ٥٠٠ بيسة
مصر: ٤ جنيهات، اليمن: ١٥٠ ريالاً
الأردن: دينار ونصف
الدول العربية دولار أمريكي واحد
أوروبا وأمريكا والدول الأجنبية ٢ دولار

مندوب تراث:
■ القاهرة: عبد العال الباقوري
محمول: ٠١٠١٦١٠٢٠٩

الاشتراك السنوي (درهم)

	محليا	خليجيا	عربيا
أفراد	٨٥	٢٠٧	٢٧٩
مؤسسات	١٥٠	٢٦٧	٣٣٩

التجهيز الطباعي
قسم الإعلام – نادي تراث الإمارات

أهلاً بكـــم

ترحب مجلة «تراث» بمساهمات الكتاب والقراء والتي تتعلق بالتراث والتاريخ باعتبارهما الخط الأساسي للمجلة، موضحة أن المقالات التي يتم نشرها تعبّر عن وجهة نظر أصحابها وليس بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.. ونحن نرحب بالمقالات والمساهمات وفق المعايير التالية:

■ أن تكون المقالات جديدة.. ومخصصة لمجلة تراث فقط.. ولم يسبق نشرها.. ومرفقة بصور حديثة وملونة للموضوع.

■ أن تكون المساهمات مطبوعة على الحاسب الآلي أو الآلة الطابعة على وجه واحد من الورقة.. مذيلة بالمراجع التي تم استقاء البحث منها، مع تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

■ زاوية «خزانة الكتب» التي يتم فيها استعراض الكتب القديمة أو الحديثة هي من اختصاص هيئة التحرير فقط.. ونعتذر عن عدم قبول أي مساهمات في هذا المجال.

■ التحقيقات والاستطلاعات واللقاءات مع كبار المفكرين والشخصيات هي من اختصاص هيئة التحرير، أو بطلب مباشر منها.

■ المقالات التي يتم الاعتذار عن عدم نشرها ليس بالضرورة لعدم جودتها، وإنما قد تكون المجلة سبق لها أن نشرت موضوعاً أو عدة موضوعات حول الفكرة نفسها ولا ترغب في المزيد أو منعاً للتكرار.

■ المجلة غير مسؤولة عن إعادة المقالات أو المساهمات – التي لم تنشر – إلى أصحابها.

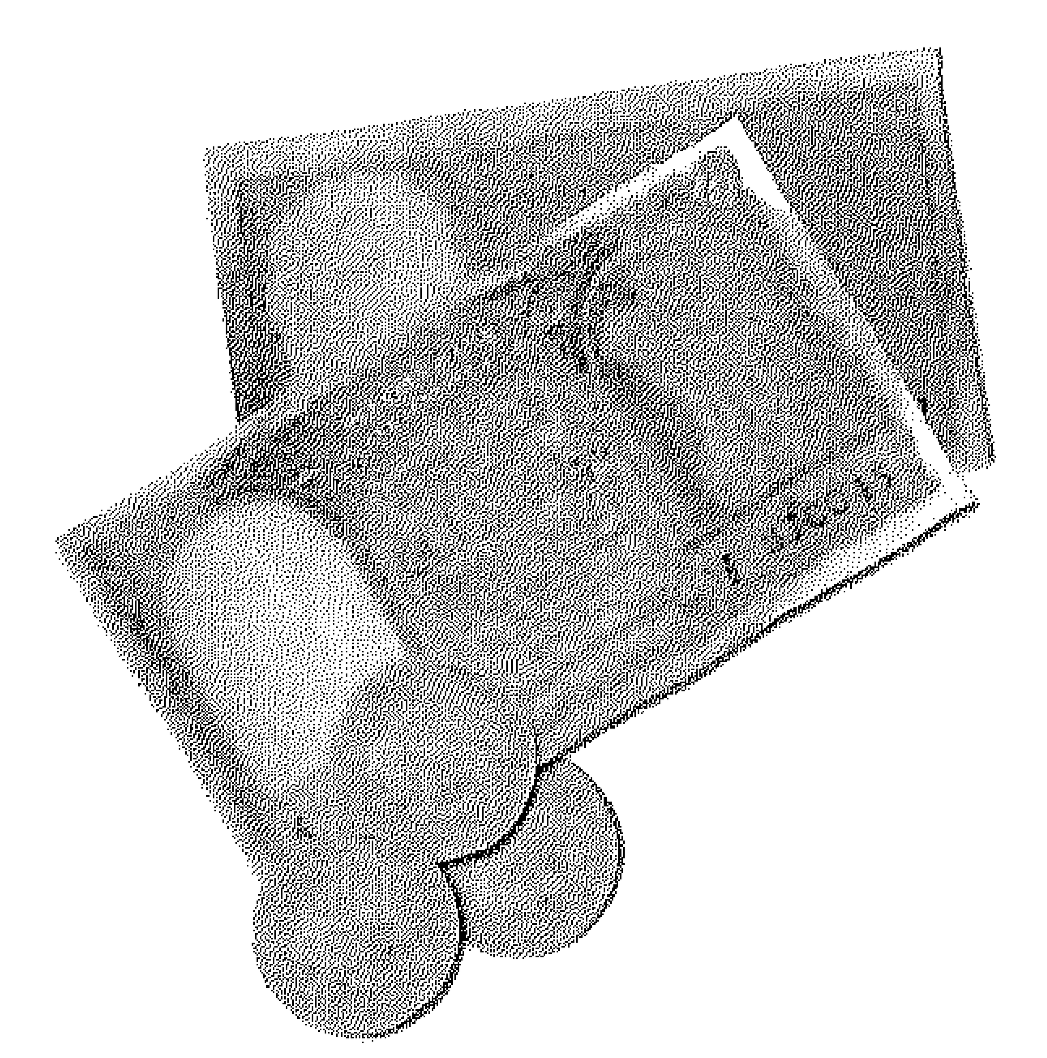
■ قد يتأخر نشر بعض المساهمات نظراً لارتباطها بمناسبة معينة، أو لكثرة المساهمات التي تصل من السادة الكتّاب.

■ المساهمات أو المكاتبات التي تنشر في زاوية «رسائلكم وصلت» لا تخصص لأصحابها مكافآت مالية.

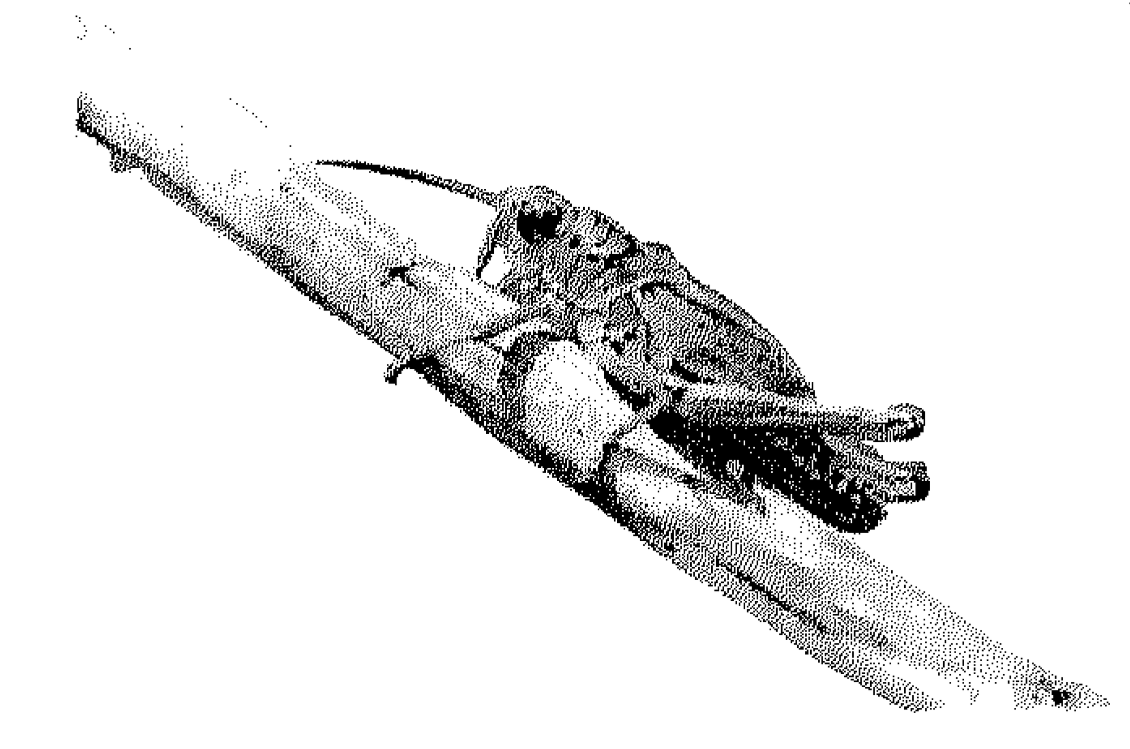
■ عند استلام المساهمة.. يتم إخطار الكاتب بوصولها موضحاً إن كانت تحت الدراسة أو الاعتذار عن عدم النشر، وفي حال النشر يتم إرسال نسخة من العدد المنشورة فيه للكاتب.

■ ترجو المجلة من السادة الكتّاب أن يوضحوا في ورقة منفصلة اسم الكاتب ثلاثياً على الأقل، وأرقام الهواتف أو الفاكسات أو البريد الإلكتروني والعنوان البريدي الذي يمكن الاتصال به عن طريقه، ورقم حسابه في البنك الذي يتعامل معه حتى يمكن إرسال المكافآت المالية بطريقة أسرع وأكثر سهولة. وفق النظام المالي المعمول به في المجلة.

محتويات العدد



■■ الغلاف:




توقيع الاتفاقية

توقيع مذكرة تعاون بين نادي تراث الإمارات وهيئة البيئة بالشارقة

وقّع نادي تراث الإمارات وهيئة البيئة والمحميات الطبيعية في الشارقة مذكرة تفاهم وتعاون مشترك، وذلك إدراكاً من الجانبين لضرورة القيام بواجبهما الوطني والإنساني في العمل من أجل حماية مكونات البيئة والحفاظ على الحياة الفطرية وصون الموارد البيئية وتجسيد منطلقات الاستراتيجية الوطنية للبيئة وتأكيد ثوابت العمل البيئي في الدولة.

ونصّت مذكرة التفاهم على التعاون المشترك في إعداد المرحلة الثانية من الأطلس البحري لدولة الإمارات، وإعداد المرحلة الأولى من الأطلس البري للدولة، والتعاون في: إعداد وتنفيذ برامج الدراسات المختصة بحماية النمر العربي، وتبادل العينات من الحيوانات والطيور البرية، وتبادل الخبرات في مجالات التوعية والتدريب وتنظيم دورات التوعية البيئية للطلبة، وفي إقامة ورش العمل للطلبة في جزيرة السمالية في أبوظبي ومتنزه الصحراء في الشارقة، ثم تبادل الخبرات المشتركة التي تدعم جهود إنشاء المتحف البيئي في جزيرة السمالية، وتبادل الخبرات والاستشارات المشتركة بين الطرفين في شأن الأسس العلمية السليمة لإقامة المحميات الطبيعية. ■

ندوة تراثية تبحث في تنفيذ المشروعات الميدانية

استضافت إدارة التراث بالشارقة الأسبوع الماضي فعاليات ندوة: (نحو آلية أكثر فعالية لتنفيذ المشروعات الميدانية) التي نظمها مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون الخليجي ومقرّه قطر، بالتعاون مع دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة وذلك بفندق هوليداي إنترناشيونال ، اشتملت الندوة على ٦ جلسات.. ثلاث منها في اليوم الأول وناقشت الأولى: العمل الميداني في الكويت وآلية تنفيذ المشروعات الميدانية للدكتور يوسف الكندري، والجلسة الثانية ورقة فاطمة أحمد عبيد المغني حول: التجربة الشخصية في البحث الميداني بدولة الإمارات، والجلسة الثالثة: توثيق العادات والتقاليد المرتبطة بدورة الحياة في المجتمع العماني.. عادات وتقاليد، من خلال دراسة تجريبية للدكتور سعيد محمد الهاشمي، أما جلسات اليوم الثاني فكانت الأولى حول: معوقات جمع المادة الشعبية في الميدان،

ودراسة تحليلية لمحافظة ظفار للدكتور سالم بن مستهيل شماس، والجلسة الثانية: عن كيفية طرح المشروع للتنفيذ والمقترحات الكفيلة بدفع عجلة العمل الميداني للأفضل لنورة ناصر آل ثاني.. واقتصرت الجلسة الثالثة على التوصيات وكلمات الختام.

الندوة استضافت عدداً من الضيوف من مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون الخليجي من بينهم: من مسقط: د. ياسين بن عبد الرضا، بيوبا بنت علي جنكوك، ومن الرياض: محمد أحمد الشدي، د. عبد الله المعيقل، محمد الميحان، يحيى مفرخ زريقان، ومن الدوحة: ظبية عبد الله السليطي، مريم صالح الأشقر، حمد حمدان المهندي، آمنة راشد الحمدان، عبد العزيز رفعت عبد العزيز، حسين إبراهيم المهندي. ومن البحرين: سميرة الساعي، وداود يوسف، ومن الكويت: د. دلال الزين وصبيحة الصلال.■

إدارة الأنشطة تعلن أسماء الفائزين في المسابقة الرمضانية

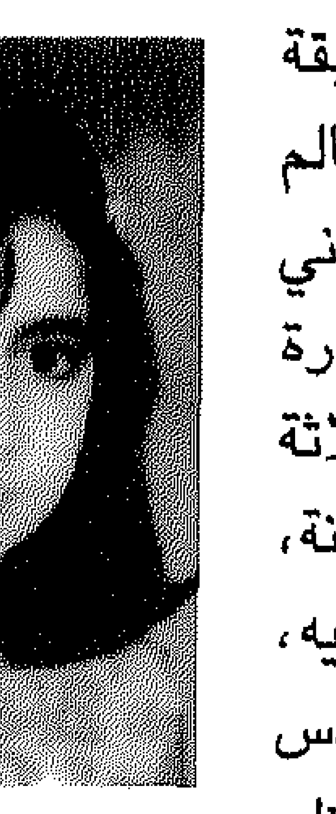


سيف الزعابي



كاملة إبراهيم المرزوقي

أعلنت إدارة الأنشطة والفروع بنادي تراث الإمارات أسماء الفائزين في المسابقة الرمضانية التي نظمها مركز مصادر المعلومات بالإدارة. وقد جاء فيصل سالم سعيد الكلباني – فرع السمحة بالمركز الأول، وخمسة مشاركين في المركز الثاني وهم: سلطان مبارك – فرع السمحة، حمد إبراهيم المرزوقي – فرع الوثبة، سارة محمد ونوال عبد الله النهدي ومريم خالد راشد من الفرع النسائي، كما جاء ثلاثة متسابقين في المركز الثالث وهم: ناصر علي ناصر الحميري – فرع الزعفرانة، وخليفة عبد السلام – فرع البطين، وسيف عبد الرحمن الزعابي – فريق الكاراتيه، وفي المركز الرابع مريم إبراهيم المرزوقي، والخامس غاية عبد الله علي، والسادس تذكار يوسف، والسابع شيخة علي، والثامن شيماء علي حسن، والتاسع صباح ناظم .. وكلهن من الفرع النسائي.■



تذكار يوسف السقاية

ثلاث مشاركات متميزة لنادي التراث

شارك نادي تراث الإمارات خلال الشهر المنصرم في ثلاث فعاليات ثقافية وتراثية، كانت الأولى منها في معرض الكتاب الدولي بالكويت في دورته التاسعة والعشرين، والمشاركة الثانية فكانت في معرض الشارقة الدولي للكتاب في دورته الثالثة والعشرين، والمشاركة كذلك في معرض المواهب الشابة الذي نظمته جامعة الشارقة على هامش المعرض الدولي للكتاب.

وقد لقي جناحا النادي في المعرضين المذكورين إقبالاً كبيراً من جمهور المعرضَين وحازا على إعجاب المسؤولين عنهما.

وكانت المشاركة الثالثة لنادي تراث الإمارات في معرض التمور الذي نظمته جمعية أصدقاء النخلة بالدولة بالتعاون مع جامعة الإمارات العربية المتحدة واشتمل جناح النادي على عرض للملامح التراثية للحياة البرية والبيئة البحرية، ومنتوجات المشغل النسائي بالنادي من الأعمال اليدوية والحرف القديمة.■

السعودية

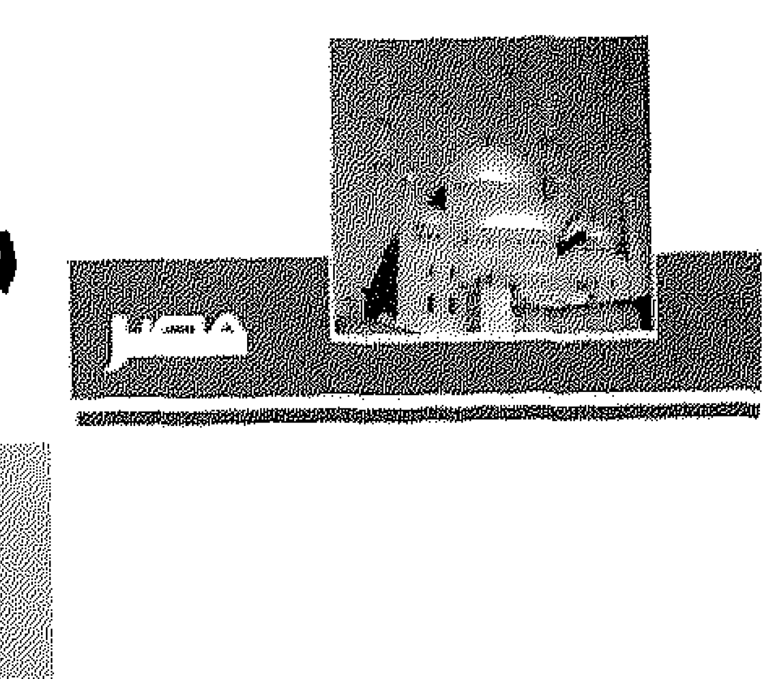
اكتشاف مقبرة جماعية شرق السعودية

أعلن عبد الحميد الحشاش مدير متحف الدمام الإقليمي عن اكتشاف موقع أثري جديد في منطقة غرب الراكة في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

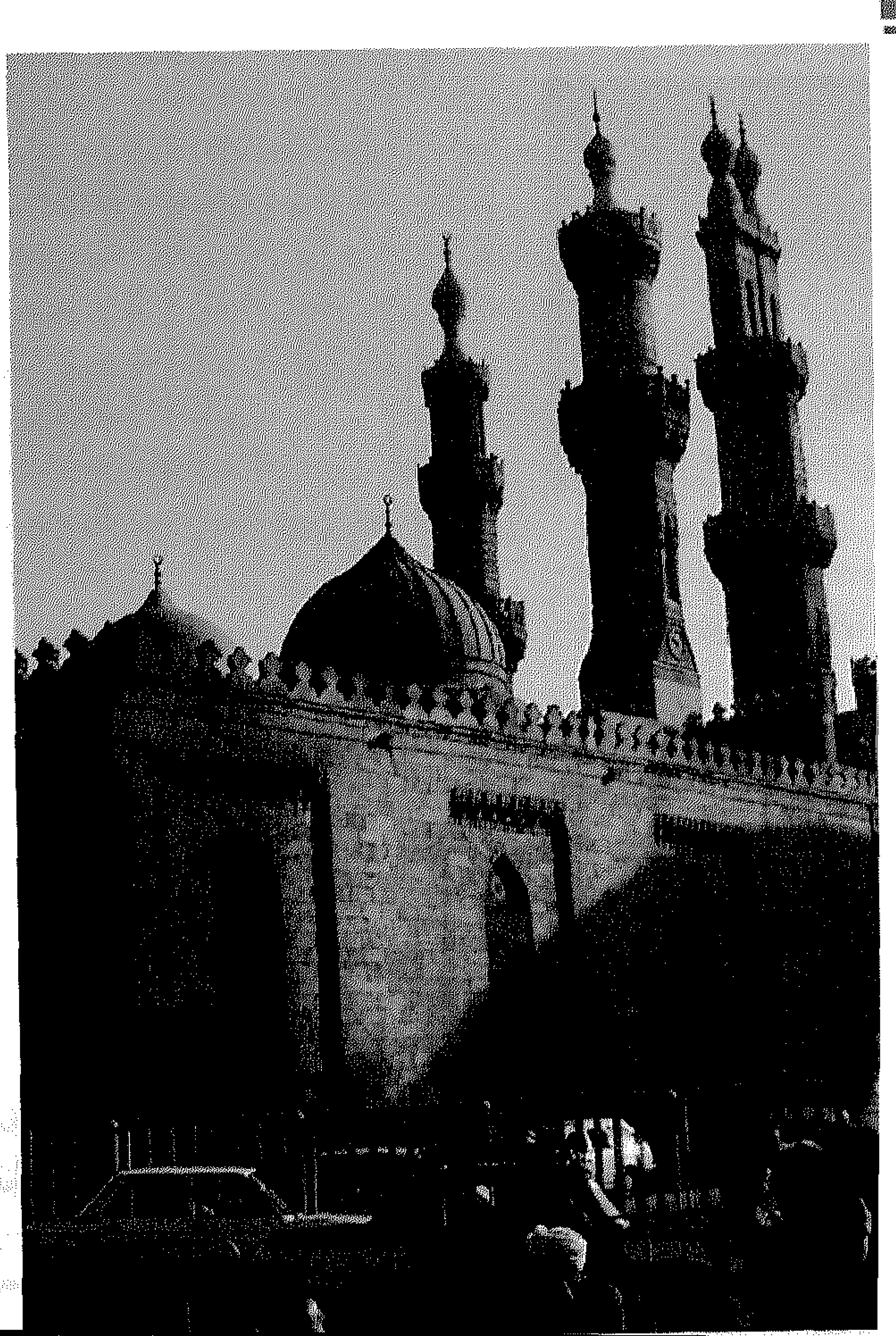
الموقع المكتشف عبارة عن تلين شمالي وجنوبي، يكوّنان مقبرة جماعية تضم ١٧٠ مدفناً وتبلغ مساحته ستة آلاف متر مربع، ويعود إلى القرنين الأول والثاني قبل الميلاد.

وقال الحشاش: إن المدافن الموجودة بالمقبرة تتنوع في أشكالها وأحجامها وأنواعها وأنها استخدمت لأكثر من مرة كما يظهر ذلك من انتشار وتبعثر الهياكل العظمية خارج غرفة الدفن، وتضم بعض الأواني الفخارية والحجرية الصغيرة، ومجموعة متنوعة من الخرز سواء كانت من الأحجار الكريمة والطين الفخاري أو الأصداف البحرية، ومجموعة من رؤوس السهام من معدن الحديد وبعض الأصداف البحرية وكسر بيض النعام، ونقشين حجريين بالخط المسند الإحسائي القديم. ■

برعاية سمو ولي عهد دبي:



مشروع لحفظ المخطوطات النادرة بمكتبة الأزهر الشريف

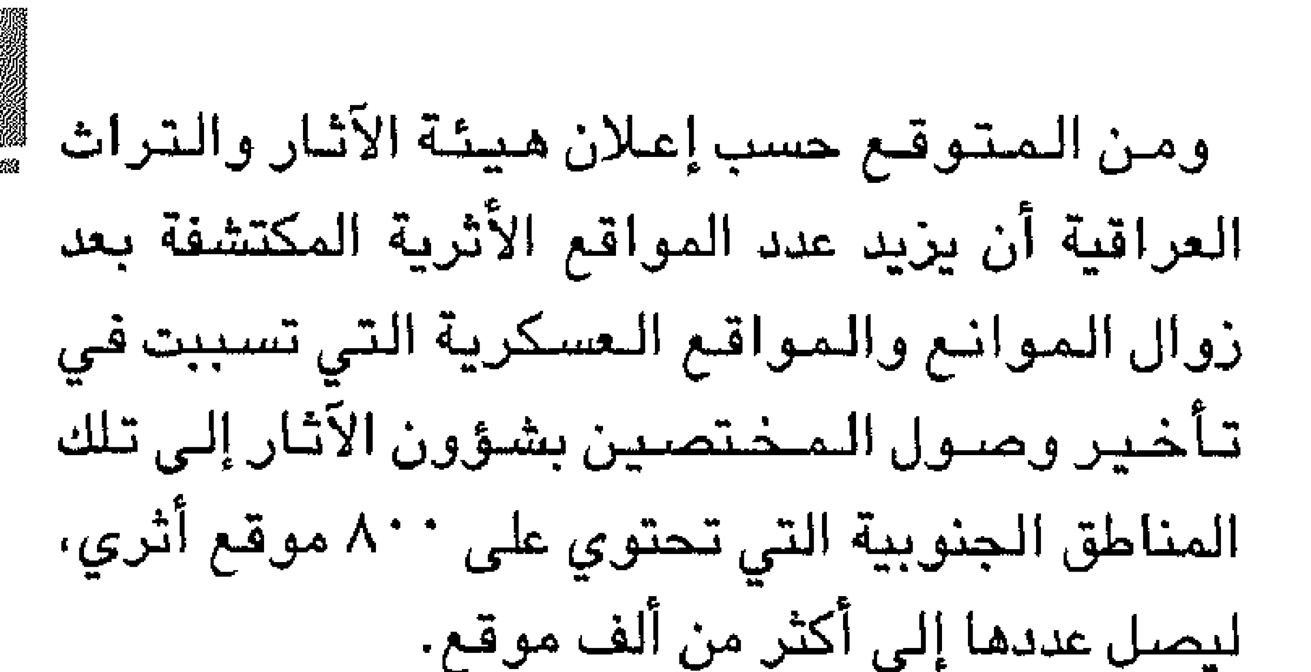


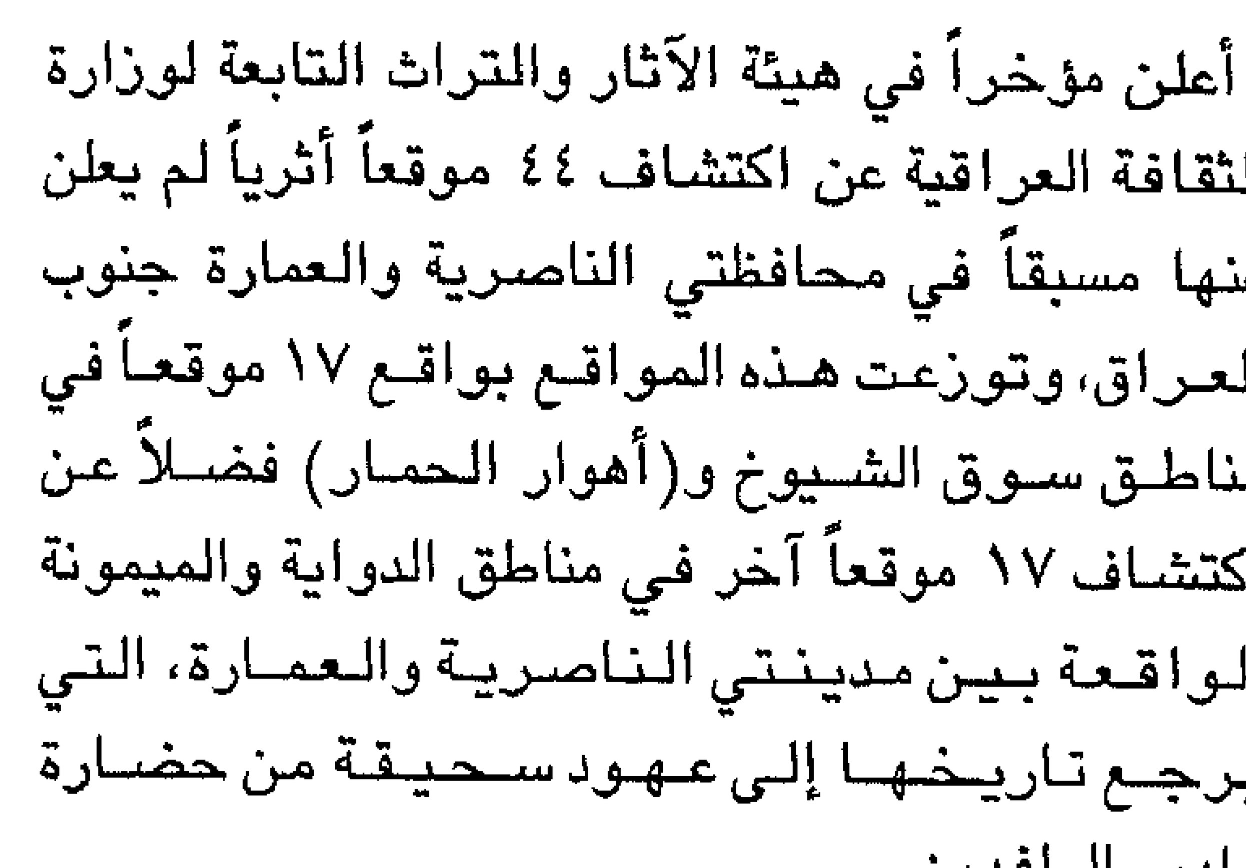
أعلن في القاهرة عن قرب الانتهاء من مشروع ضخم لحفظ حوالي ٤٢ ألفاً من المخطوطات النادرة بمكتبة الأزهر الشريف على شبكة الإنترنت لإتاحة الفرصة أمام الباحثين والدارسين من كل أنحاء العالمي للاطلاع على المخطوطات بيسر وسهولة، وذلك بدون الرجوع إلى المخطوط الأصلي المحفوظ بالمكتبة.

المشروع الذي بدأ العمل فيه قبل أربع سنوات يتكلف حوالي خمسة ملايين دولار تبرع بها سمو الفريق أول الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي، وزير الدفاع بدولة الإمارات العربية المتحدة ويتضمن – إضافة لتحويل المخطوطات المذكورة إلى وثائق رقمية يمكن إظهارها على شبكة الإنترنت– ترجمة محتويات الموقع إلى لغات عالمية عربية وتأسيس شبكة اتصالات داخلية للربط بين عدد من المعاهد والمدارس الأزهرية والأزهر الشريف. ■

العراق

اكتشاف ٤٤ موقعاً أثرياً جنوب العراق

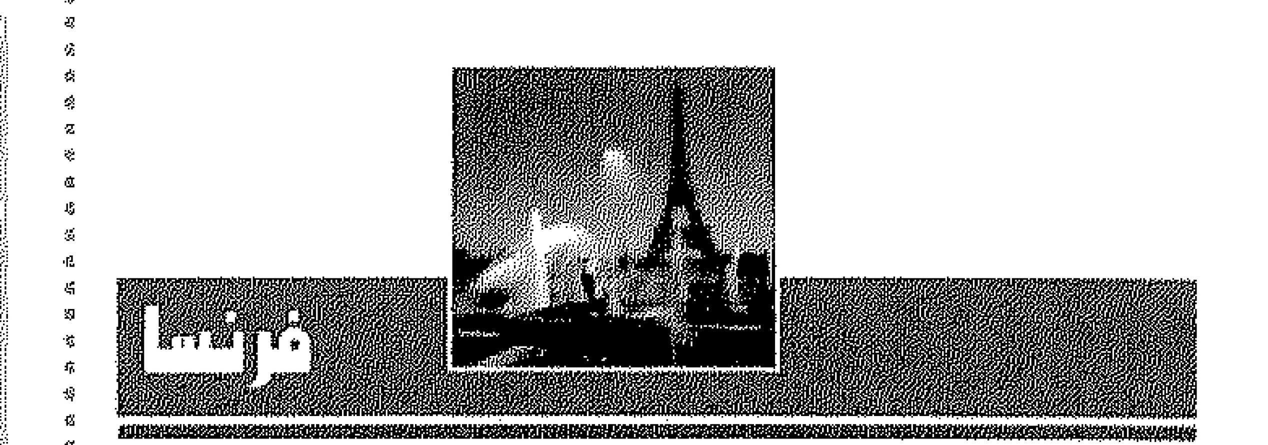




أعلن مؤخراً في هيئة الآثار والتراث التابعة لوزارة الثقافة العراقية عن اكتشاف ٤٤ موقعاً أثرياً لم يعلن عنها مسبقاً في محافظتي الناصرية والعمارة جنوب العراق، وتوزعت هذه المواقع بواقع ١٧ موقعاً في مناطق سوق الشيوخ و(أهوار الحمار) فضلاً عن اكتشاف ١٧ موقعاً آخر في مناطق الدواية والميمونة الواقعة بين مدينتي الناصرية والعمارة، التي يرجع تاريخها إلى عهود سحيقة من حضارة وادي الرافدين.

ومن المتوقع حسب إعلان هيئة الآثار والتراث العراقية أن يزيد عدد المواقع الأثرية المكتشفة بعد زوال الموانع والمواقع العسكرية التي تسببت في تأخير وصول المختصين بشؤون الآثار إلى تلك المناطق الجنوبية التي تحتوي على ٨٠٠ موقع أثري، ليصل عددها إلى أكثر من ألف موقع.

وقد تم تثبيت ٢٥٦ موقعاً أثرياً على الخرائط الجديدة وذلك من خلال فرق المسح الأثري المزودة بالأجهزة الحديثة بالأقمار الصناعية.■

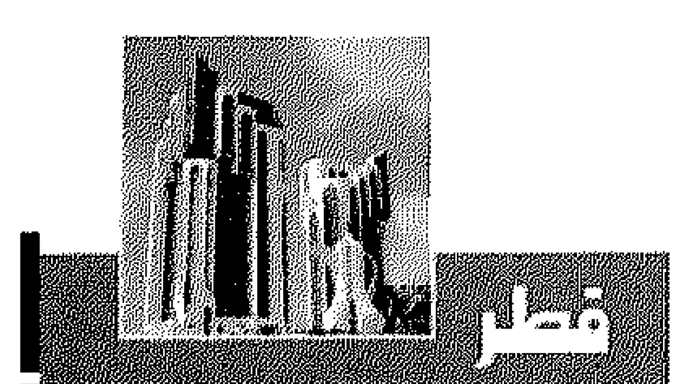


فرنسا

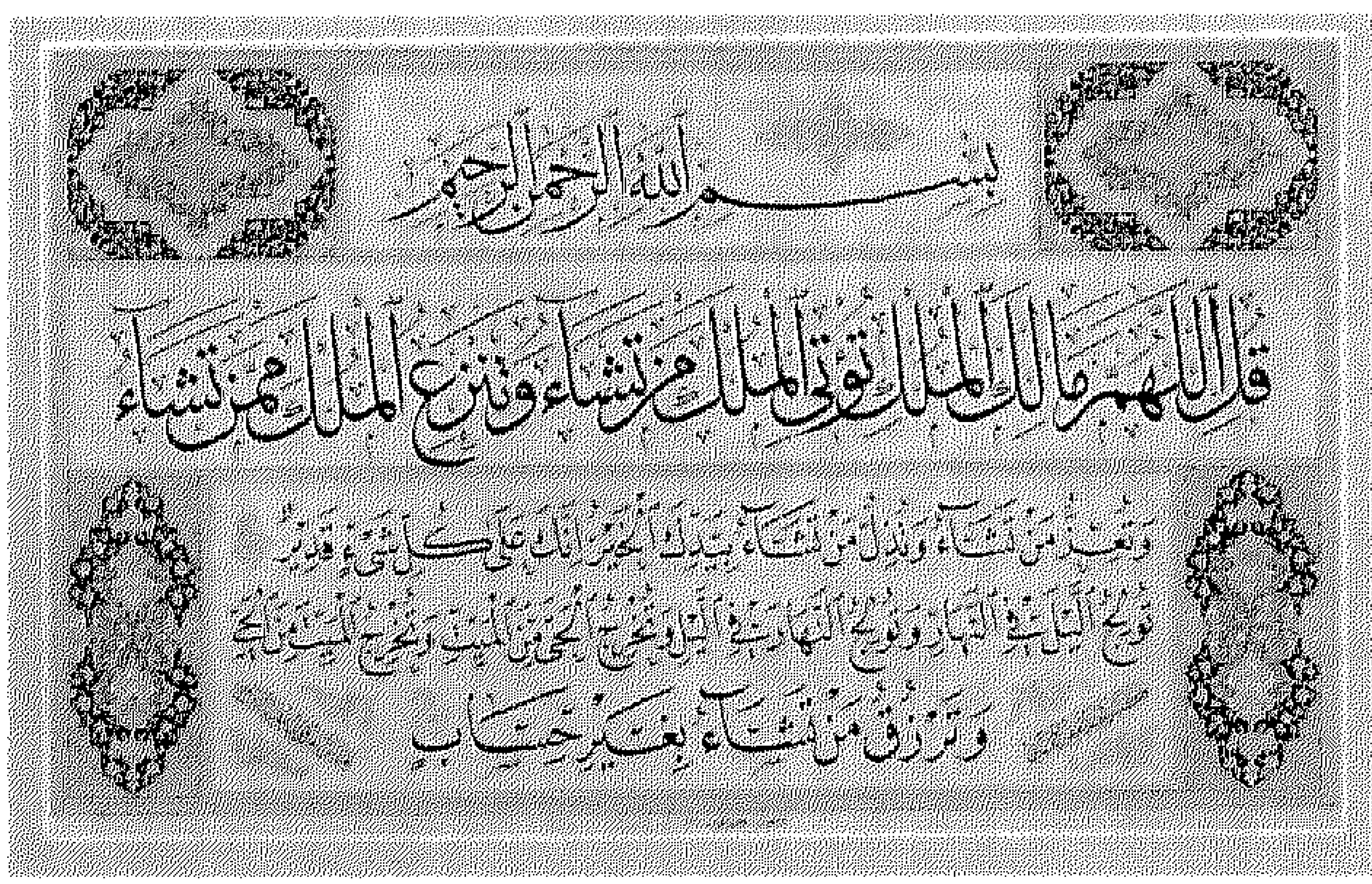
قسم للفن الإسلامي في «اللوفر»

قررت إدارة متحف اللوفر الشهير بالعاصمة الفرنسية باريس، إنشاء قسم إسلامي متكامل لعرض مجموعة من الأعمال الفنية الإسلامية تتساوى بنوعية معروضات متحف (المتروبوليتان) بنيويورك، أو كتلك الموجودة في المتحف البريطاني في لندن.

أعلن ذلك وزير الثقافة والاتصالات الفرنسي رينو دونوديو فابر وقال إنه ستتم دعوة المتنافسين لتصميم قسم الفن الإسلامي الذي يعتبر جزءاً مهماً من مجموعة المتحف الهائلة، وذلك وفقاً لرؤية الرئيس الفرنسي جاك شيراك الذي يسعى إلى تعزيز رسالة ومهمة متحف اللوفر على الصعيد العالمي.■



قطر



من إبداعات الفنان عباس البغدادي

معرض لروائع الخط العربي

افتتح سعادة الدكتور محمد عبد الرحيم كافود وزير التربية والتعليم الأسبق معرض التجمع الأول للخط العربي بجاليري بيسان في العاصمة الدوحة أواخر الشهر الماضي والذي ضم روائع الخط العربي منذ رواده الأوائل أمثال: محمد نظيف بك ومحمد شوقي وأحمد العارف وماجد الزهدي من تركيا، وعباس البغدادي من العراق، وعماد الحسين القزويني من إيران.

كما احتوى المعرض على أعمال لمجموعة متميزة من فناني الخط على مستوى الوطن العربي وهم: حميد السعدي، ومحمد النوري، وعدنان الشريفي، وطه البستاني، وعلي ندا الدوري، وفاضل شهاب داود، ومنذر الدليمي من العراق، وتاج السر حسن من السودان، ومحمد فاروق الحداد من سوريا، ومحمد مندي من الإمارات، ويعقوب إبراهيم سليمان من الأردن.■

السودان

استعادة وثائق تاريخية من إسبانيا

استعاد السودان وثائق وأوراق تاريخية من إسبانيا تتعلق بالزبير باشا رحمة الذي عاش في الفترة التركية في السودان وتم استدعاؤه إلى مصر ونفيه إلى جبل طارق في إسبانيا بحجة أنه تاجر رقيق.

وتم تسليم الوثائق إلى دار الوثائق القومية بعد أن حصل عليها المواطن السوداني دكتور محمد يوسف الدقير الذي حضر الاحتفال الذي أقيم بهذه المناسبة بدار الوثائق أثناء عمله في إسبانيا، وقال إن ما قام به واجب وطني متمنياً أن يكون في هذه الوثائق ما يفيد الباحثين والدارسين.

وثمّن كمال عبد اللطيف وزير الدولة بمجلس الوزراء انفعال المواطنين السودانيين بأمر الوثائق الأمر الذي من شأنه أن يدفع بدار الوثائق إلى مصاف دور الوثائق القومية في العالم داعياً كافة المؤسسات والبيوتات والأفراد إلى تقديم ما لديهم من وثائق ومستندات إلى دار الوثائق.

من جانبه عبّر دكتور علي صالح كرار الأمين العام لدار الوثائق القومية عن امتنانه لهذه الخطوة وقال إن الهيئة ستقوم بتصنيف الوثائق وحفظها وفق الأسس المعمول بها.■

اليمن

في الدورة الـ ١٤ لوزراء الثقافة العرب بصنعاء:

الدعوة لوقف أعمال طمس الهوية في فلسطين والجولان واسترداد التراث العراقي

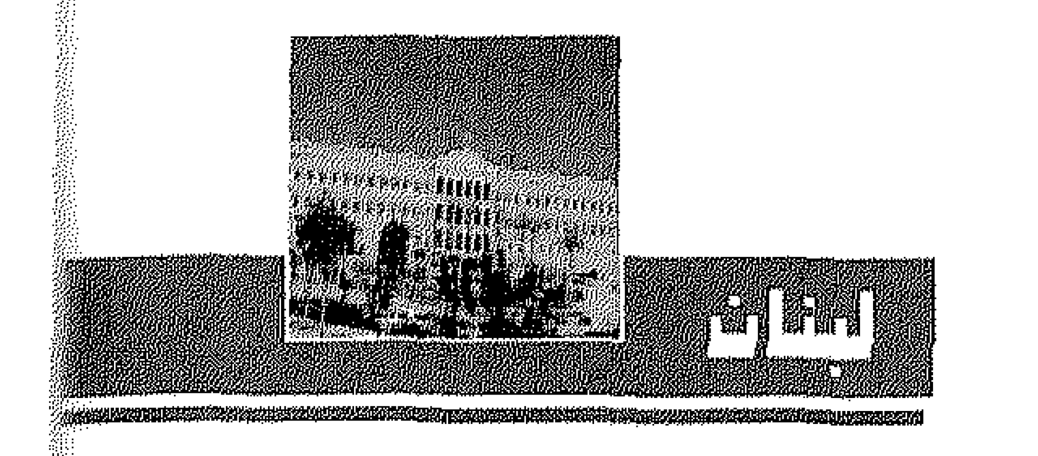
■ **صنعاء - تراث:**

دعا البيان الختامي للدورة الرابعة عشرة لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي التي انعقدت في صنعاء خلال (١-٢) من ديسمبر تحت عنوان (دور الثقافة العربية في الحفاظ على الهوية: فلسطين نموذجاً) إلى الوقوف بحزم أمام ما تتعرض له المواقع والمدن التراثية والتاريخية في فلسطين وبخاصة في القدس والجولان وجنوب لبنان، من محاولات تهويد وطمس الهوية العربية والإسلامية والعمل مع المنظمات الدولية على صون هويتها والمحافظة عليها.

واستنكر البيان ما تعرض له التراث الثقافي في العراق من اعتداء وتدمير وما تعرضت له المتاحف والمكتبات والآثار من نهب وسلب.

وناشد وزراء الثقافة العرب دول العالم والمنظمات الدولية والإقليمية المعنية بالتراث الثقافي العمل على استرداد ما تم نهبه وتهريبه من هذا التراث الإنساني وصيانة ما تم تدميره.

واعتبر البيان أن اللغة العربية هي الحاضنة للفكر والثقافة والإبداع والحافظة للتراث، وأن النهوض بها يجب أن يكون من الأولويات الأساسية في إرساء قواعد المشروع الثقافي العربي، مؤكداً على ضرورة العناية باللغة العربية كونها من مرتكزات الحفاظ على الهوية الثقافية.■



لبنان

اكتشاف مدافن أثرية في صيدا

عثر في منطقة شرحبيل في بلدة (بقسطا) شمال شرقي صيدا على مدافن أثرية احتوت نواويس تعود إلى العهد البيزنطي، أثناء أعمال حفر في أرض على جانب الطريق العام ما بين معبد (أشمون) والجبانة الأثرية الشرقية في (الهلالية) وقد وضعت المديرية العامة للآثار يدها على المقبرة التي تم اكتشافها مصادفة.

تحتوي المقبرة على ١٤ ناووساً لم يسلم منها سوى عدد قليل تم نقل أربعة منها إلى مدرسة (الفرير) في صيدا. أبرزت الحفريات غنى المنطقة بالمعالم الأثرية التاريخية التي تعود إلى حقبات مختلفة، لكنها سجلت سرقة الكثير من المحتويات في فترات سابقة.■

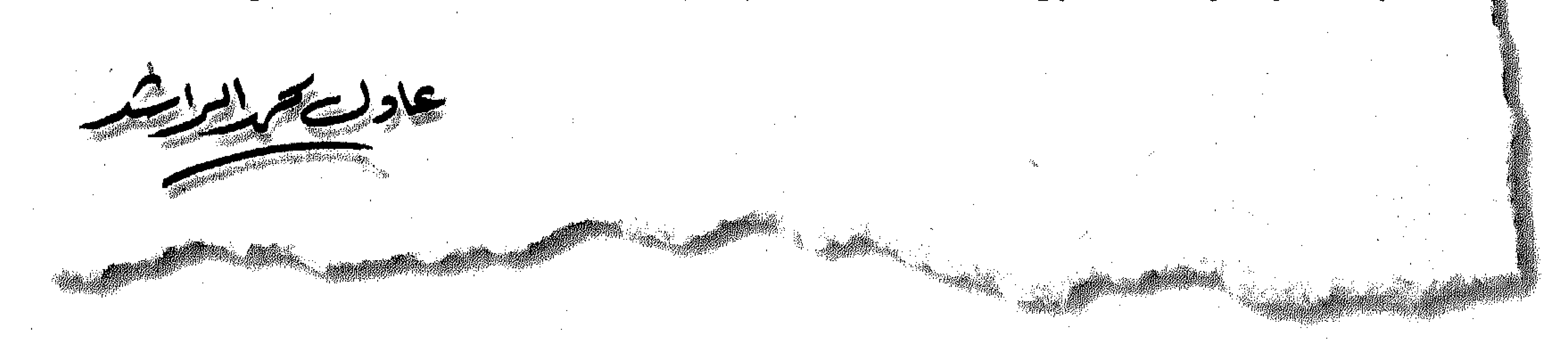
أول القرطاس

ندوة "نحو آلية أكثر فعالية لتنفيذ المشروعات الميدانية" التي نظمها مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية واستضافتها دائرة الإعلام والثقافة ممثلة في إدارة التراث بالشارقة خلال الأسبوع الماضي، تحولت بقدرة قادر من البحث عن الآلية إلى (مرثية) لجهود المركز الذي تصورنا من خلال الكلمات التي قيلت أنه مريض في حالة موت سريري (إكلينيكي)، وفي انتظار رفع الأجهزة عنه وهو ما يطلقون عليه الموت الرحيم.

قالوا لنا إن هناك لجنة تشكلت بناءً على قرار وزاري لدول المجلس بتقويم الأعمال المشتركة.. وجاءت اللجنة إلى المركز وهي تضم عناصر غير مختصة، ورأت أن المركز بطيء في إنجاز الأعمال التي يقوم بها وأن هناك توصية سترفع للجهات العليا بإلغاء المركز بعد عقدين من الزمن قام فيهما بجهود كبيرة في مجال توثيق وتدوين وتسجيل التراث الشعبي الذي هو على وشك الضياع نتيجة عوامل الزمن التي تطوي الرواة أو تضعف ذاكرتهم.. ونتيجة انجراف الأسر الخليجية بشكل خاص والمجتمعات الخليجية بشكل عام في تيار العولمة.. فأصبح التراث لمن يهتمون به معلقاً على المشجب في انتظار من ينفض عنه الغبار الذي أحدثته العولمة والانبهار بكل ما هو آت من الغرب.

سألناهم: ولكن لم يصدر قرار حتى الآن بما تتخوفون منه؟.. قالوا: على رأي المثل: «ما يطير الطير إلا تحت راسه خبر».. فهناك توصية والمسألة مسألة وقت.. لكن المؤكد أن جهود عشرات السنين معرضة للضياع.. بما فيها أعمال نفذها المركز كانت بشهادة الجميع تعد إنجازات. وإذا كانت هناك مآخذ على المركز وأسلوب عمله.. من قبيل الافتراض.. فهل يكون الحل في حله أو تجميده أو إلغائه، وتحويل المركز بكل جهوده السابقة إلى إرث تتنازعه الوحدات التي تهتم بالتراث في كل دولة من دول مجلس التعاون التي قيل إنها موجودة ويمكن أن تؤدي الغرض نفسه. الحيرة كانت بادية بين المشاركين في الندوة.. فلم يصدر قرار حتى الآن بشأن المركز وإن كانت كل المؤشرات تقول إن هناك توصية ستأخذ طريقها إلى صورة قرار يصدر قريباً.. إحدى المشاركات قالت: إن أعمال المركز في قطر تم إحالتها إلى وحدة ذكرتها بالاسم، وإن بعض العاملات في المركز فضّلن التقاعد.. وأنهن لا يتقبلن العزاء مرتين إشارة إلى إلغاء وحدة سابقة كانت تعمل في مجال الدراسات.. أي أن هناك إجراءات فعلية اتخذت في شأن المركز وأن المسألة تتعلق بالوقت فقط.

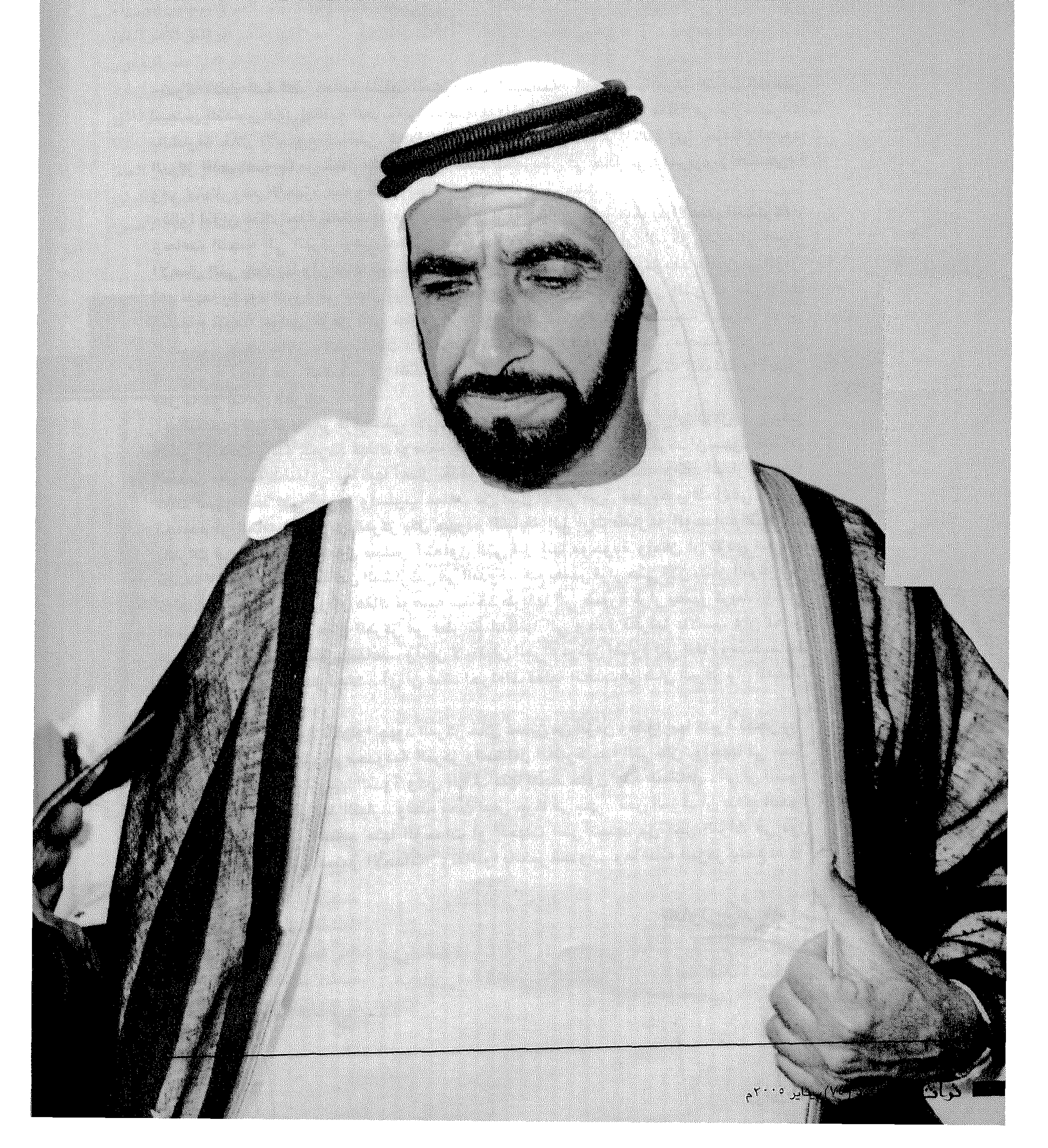
المتحدثون في الندوة تناولوا جهود المركز خلال عقدين من الزمن وقالوا إنها كثيرة تعجز دول بمفردها عن القيام بها رغم محدودية المركز والمشاكل الكثيرة جداً التي كان يواجهها في سبيل القيام بمهامه والتي تناولتها الندوة وكان الهدف منها إيجاد حلول لهذه المشاكل.. أي أن الندوة كانت تبحث في مسار ضد التيار.. ولكنه بحث ليس حرثاً في بحر.. فمن المؤكد أن نتائج الندوة ستلقى آذاناً صاغية تستفيد منها الوحدات أو الجهات التي تجتهد من أجل التراث في دول المجلس.. ولا نريد أن نستبق الأحداث.. وتفاءلوا بالخير تجدوه.. وما قدمه المركز يشفع له.■



عادل محمد الراشد

في ندوة المفكرين بالعين

زايد شخصية فريدة.. وقيادة فذة



استلهمت عبقرية الزمان والمكان

■ سجلها: حنفي جايل

أجمع المشاركون من الأدباء والمفكرين والأكاديميين في ندوة (زايد في عيون الأدباء والمفكرين) التي نظمها مركز زايد للتراث والتاريخ التابع لنادي تراث الإمارات مؤخراً بمقر المركز بالمرخانية في مدينة العين، بمناسبة أربعينية فقيد الوطن والأمة المغفور له بإذن ربه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان على أن الفقيد كان ذا شخصية فريدة، وقائداً فذاً استلهم عبقرية الزمان والمكان، وأنه الأب الروحي لاتحاد دولة الإمارات، وأن هذا الاتحاد كان حلم عمره الذي عمل على تحقيقه ورعايته، حتى إذا تم له ما أراد، راح يصنع مستقبل أمة بأسرها على مدى أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، أثبت خلالها أنه حاكم مستنير يتمتع بفطرة سليمة جبل عليها، وبثقافة بدوية أصيلة شكلتها عوامل رئيسة منها كتاب الله الكريم وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وما أسماه المشاركون ثقافة الصحراء التي تربّى فيها زايد رحمه الله، واضعاً نصب عينيه تحقيق الرفاهية لشعبه، ومسخّراً في سبيل ذلك الثروة التي أنعم الله بها على بلاده، ومحققاً إنجازات غير مسبوقة في جميع المجالات يقف العقل أمامها مشدوهاً ولا يملك إلا تعظيم من كان وراءها واحترامه وتوقيره.

الندوة شارك فيها أكثر من عشرين أديباً ومفكراً وحضرها جمهور كبير ضاقت به جنبات القاعة، ولم تشفع المقاعد الإضافية التي وضعت في ممراتها للكثير منهم فاضطروا إلى الوقوف لأكثر من ثلاث ساعات.

إجماع على تفرد شخصيته

وأكد المشاركون أيضاً على أن شخصية الفقيد الغالي لا تزال بحاجة إلى الدرس والتمحيص للوقوف على سر هذا التفرد، والخروج بملامح جديدة لم تظهر من شخصيته في حياته، ذلك لأن المسكوت عنه أكبر بكثير من المعروف عنها، ولأنه كان يرفض الحديث عن نفسه، ويدعو الله عزّ وجلّ أن يبقى بسيطاً قريباً من الناس، فأحبه الناس، كما أكدوا على أن هذا الدرس هو واجب على الأجيال الحاضرة وخدمة لا بد من أدائها للأجيال القادمة وللتاريخ قبل الجميع.

واتفق المشاركون على أن رحيل زايد وإن كان خسارة فادحة للأمتين العربية والإسلامية وخسارة لبلده الذي صنعه على عينيه، إلا أن العزاء الأوحد هو فيما تركه من مبادئ وما أرساه من أسس قوية لمسيرة الخير والعطاء، وما تركه من أبناء تربوا في كنفه، وتتلمذوا على يديه، ونهلوا من معينه، واستدلوا على صدق حدسهم بالتفافهم جميعاً حول خليفة زايد وبالسلاسة التي تم بها انتقال السلطة، وبالتأكيدات التي صدرت من الجميع بالسير على خطى الوالد الفقيد رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

النابودة:
قائد قلّما يجود الزمان بمثله

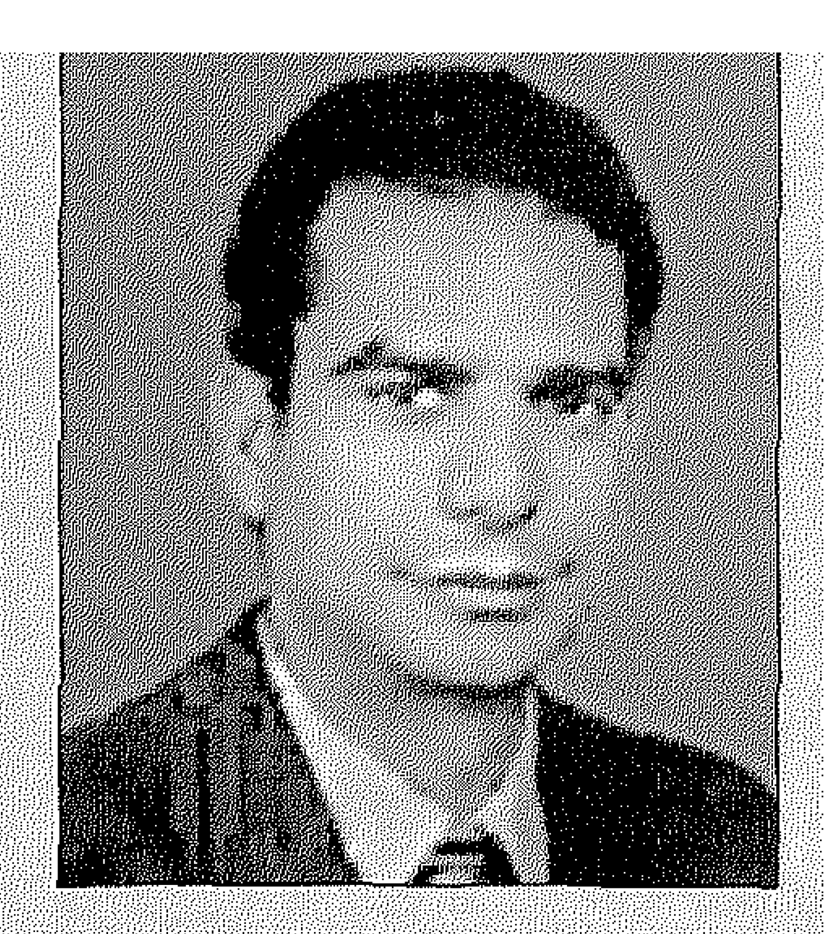
الندوة التي بدأها الحاضرون بالوقوف دقيقة حداداً قرؤوا خلالها الفاتحة ودعوا بعدها للفقيد بالرحمة والرضوان والمغفرة، قدم لها الأستاذ الدكتور حسن محمد النابودة، مدير مركز زايد للتراث والتاريخ بقوله: إن حدثين كبيرين لن ينساهما أبناء الإمارات أبداً، وهما تأسيس الاتحاد، ورحيل مؤسس الاتحاد، لأن بين الحدثين منجزات كبيرة جداً في زمن قصير جداً، وإن التحولات التي عرفتها الإمارات بقيادة زايد «رحمه الله» تشهد بأنه قائد من نمط خاص وفريد لا يكاد يجود الزمان بمثله، وهو نمط من القادة الذين يصنعون التاريخ بالحب والخير والعطاء والتواصل والحوار والرؤى التي تستشرف المستقبل، وقليلاً ما هم.



د. حسن النابودة



د. رياض نعسان آغا



د. محمد أبو الفضل بدران

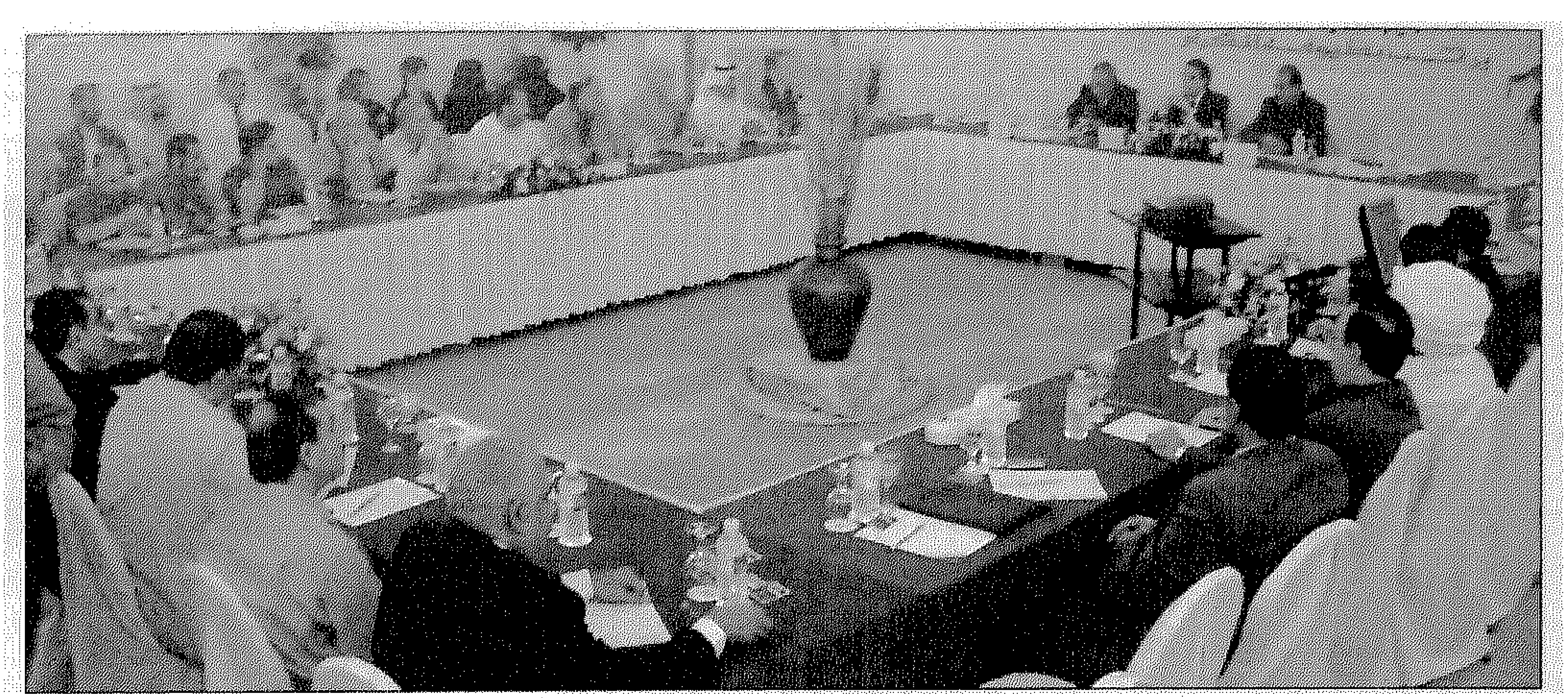
الخضري:
زايد الغائب الحاضر

ثم تحدث الأستاذ الدكتور محمد أمين الخضري، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الإمارات، فأسال العبرات من مآقي الحاضرين وذرفت الدموع حباً للغائب الحاضر، الفارس الذي ترجل، والقلب الذي توقف بعدما ضخ الحب والدفء والحنان في قلوب ملايين البشر، والقائد الذي استلهم عبقرية المكان بكل تكويناته الجغرافية والبشرية، فأضفت عليه طبيعة الصحراء المترامية الأطراف بُعد النظرة، وسلامة الفطرة، وعمق التأمل، ونفاذ البصيرة، وأكسبته نبل الفارس، وشجاعة المحارب، وخلعت عليه روح المبادرة والإقدام. واستلهم عبقرية الزمان بكل تجاربه وخبراته، وعراقة الماضي بكل إنجازاته وإخفاقاته، وأُلقِيت عليه تبعات صنع الحاضر بكل تحدياته وطموحاته. وأنه امتلك القدرة على الموازنة بين القيم الروحية الموروثة والضرورات المادية الحاضرة، فلم يتجمد أمام الإعجاب بعظمة الماضي وإن ملأ عليه أقطار نفسه، ولم تأسره مظاهر النهضة الحاضرة، وإن وقعت بين يديه وحسه، وهو ما مكنه بحكمة بالغة من أن يُطلع غده من بين أسحار أمسه.

رياض نعسان آغا:
دبلوماسية قامت على العدل

أما الأديب والمفكر الدكتور رياض نعسان آغا سفير الجمهورية السورية لدى دولة الإمارات فكان نجم الندوة –ومن دون منازع– بلغته الرصينة وثقافته الواسعة وحضوره الطاغي، لكن –وهذا هو الأهم– بأفكاره المرتبة التي ساقها بسلاسة على الرغم من ارتجاله لمشاركته التي ركز فيها على أن دبلوماسية الشيخ زايد «رحمه الله» تستحق أن تدرس على الرغم من أن الرجل لم يتخرج في الأكاديميات المختصة بتخريج الدبلوماسيين، وأن هذه الدبلوماسية قامت – من وجهة نظر السفير– على العدل، ولا غرابة، فالعدل أساس الملك، وهو من أسماء الله الحسنى، ولكن عدل زايد وأساس دبلوماسيته لم يكن فقط العدل بمعناه القانوني، ولكنه العدل بمعناه الفلسفي الدقيق وهو الوسطية، فأعدل الشيء أوسطه.

واستعرض السفير نماذج من دبلوماسية زايد تجلت فيها عبقرية الرجل وفطنته وذكاؤه، ومنها مفاوضاته مع انجلترا قبل خروجها من الإمارات حول مسألة النفط، ومناقشاته مع أخيه الأكبر وأفراد عائلته لانتقال السلطة، وجهوده في المباحثات التي تمخضت عن قيام الاتحاد، وتعامله في قضايا الحدود بين الإمارات وكل من السعودية وعمان وقطر، وموقفة إبان حرب أكتوبر / تشرين عام ١٩٧٣م، وغيرها ليخرج بنتيجة مؤداها أن رؤية زايد في حل المشكلات تجلّت في محاولاته الذكية لإيجاد حلول للقضايا تقوم على حسن تقدير للموقف الدولي ومعرفة دقيقة بما يجب فعله وبما لا يجب، ومتى يفعل ومتى لا يفعل، وأنها قامت على أسس منها أن الاتحاد قوة والفرقة ضعف، وأنه يمكن اختصار الزمن إذا ما توفرت الإرادة، وأن الحكمة والموعظة الحسنة أساس الحل والعقد، وأن الإنسان في مقدمة القضايا وهو الأجدر بالاحترام والأخذ بعين الاعتبار، وأخيراً البساطة التي هي العظمة، وأن الفقيد كان عظيماً بقدر ما كان بسيطاً.



جانب من الندوة

د. حسن عباس:
حكمة لا يختلف عليها أحد

الدكتور حسن عباس زكي، الخبير الاقتصادي المعروف، وزير المالية والاقتصاد المصري الأسبق، والذي شغل منصب المستشار الاقتصادي لرئيس دولة الإمارات منذ بداية تأسيسها ولفترة ليست قصيرة، أتيح له خلالها العمل بقرب فقيد الوطن والأمة، قال: إن الله عز وجل قد منّ على دولة الإمارات العربية المتحدة برئيس اجتمعت فيه كل الصفات التي تكفل لدولته الرقي بها إلى أعلى مستويات المعيشة في العالم وقد عرف عنه حكمته التي لا يختلف أحد على التسليم بها كما عرف بشجاعته وإقدامه ومواقفه خاصة بالنسبة لما تتعرض له بعض الدول العربية والإسلامية. ومن المهم إبراز اهتمام الشيخ زايد بالمواطن فهو يؤمن بأن الإنسان خليفة الله في الأرض وله أن يتمتع بما من الله على بلاده من خيرات. وكان للشيخ زايد نظرة لمستها مراراً يرى من خلالها مسؤوليته الأعم والأشمل في نهضة الحضارة الإسلامية والدفاع عن الحق العربي في كل مكان ولذلك أنشأ في سنة ١٩٧٠م وفي باكورة جلوسه على عرش أبوظبي، صندوق أبوظبي للتنمية العربية الذي خصص مئات الملايين من الدولارات كل عام لخدمة الدول العربية وغيرها للنهوض بتنميتها، فكانت أبوظبي مصرفاً عربياً دولياً تلجأ إليه الدول للحصول على قروض ميسرة بفائدة زهيدة أو بدون فائدة وأحياناً كتبرع للدول المقترضة، ولقد نذر نفسه لخدمة وإسعاد مجتمعه فكان يجول بنفسه ويتنقل ليتابع عمليات البناء والتشييد والمواصلات ويتفقد مشاريع الإنماء والإعمار والمستشفيات بطريقة غير مسبوقة ولا معروفة بالنسبة للقادة والحكام.

الشعر ينعى زايد الخير

وكان الشعر حاضراً في ندوة (زايد في عيون المفكرين والأدباء) حيث ألقى الدكتور محمد أبو الفضل بدران من جامعة الإمارات العربية المتحدة قصيدة مؤثرة ومعبرة عن اللوعة والأسى اللذين يجتلجان في صدور العرب جراء فقد زايد عنوانها (ما جئت راثيه بل جئت أبكيه) صوّر فيها العرب كلهم في مأتم والكل يعزي الكل في وفاة رمز العروبة، لكنهم ملتزمين بقضاء الله وقدره، راجين الله أن ينزله دار الخلد، لكن الأهم في القصيدة تلك الصيحة التي يطلقها الشاعر مطالباً أمة العرب بعدم الركون لليأس من بعد وفاة زايد فإن للشعب ربٌّ سوف يحميه (طالع فيض المشاعر).

ثم صدحت الشاعرة المواطنة نورة البادي فأوجعت القلوب وهي تصيح (أواه من فقدك يا زايد)، ثم وهي تصور الإمارات بنخلها وصحرائها وأبنائها وبناتها وهم يلقون تحية المساء.. مساء الخلد يا زايد، لكن زايدا يحلق حراً ملكاً (للشواهين) بجناحي صقر من نوع (الحر) يمتلك الأجواء بعد أن حكم فعدل فسكن في سلام، ولبست البلاد من بعده ظلمة ومحولاً، ولكن الشاعرة أبت أن تترك الحضور في حزن فما لبثت أن ذكرتهم بأن فتية زايد يفوح منهم عبق زايد مسكاً وعوداً وأن فيهم خير عزاء، وأنهم خير خلف لخير سلف بإذن الله تعالى.

د. جمال حجر:
فطرة زايد وصناعة المستقبل

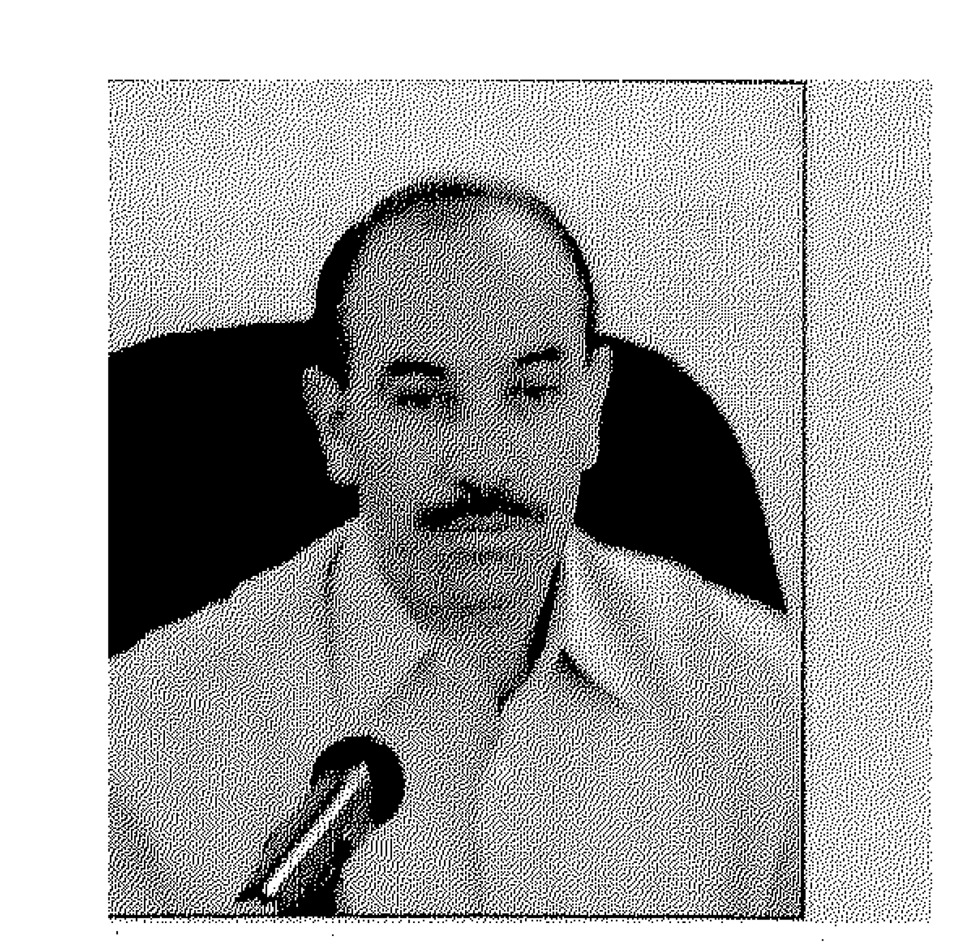
ثم توالى تقديم أوراق المشاركين، فكانت مساهمة الأستاذ الدكتور جمال محمود حجر، عميد كلية الآداب، جامعة الإسكندرية عن فطرة الشيخ زايد وصناعة المستقبل، وأقر في بدايتها على أنه ليس من السهل على المؤرخ أن يكون محايداً عند تناول موضوع معاصر، ويزداد الأمر صعوبة عند الحديث عن زعيم مثل المغفور له الشيخ زايد بن سلطان، لأن الحيدة عندئذ تفقد مضمونها وتصبح مجرد شعار أجوف، وربما ينصرف الباحث المحايد عن الإقدام على موضوعات معاصرة كهذا الموضوع الذي بين أيدينا، ثم يستدرك قائلاً: لكن الأمر يختلف تماماً عندما يكون (زايد) هو الزعيم، وعندما يكون (الاتحاد) هو الموضوع. والسبب في هذا الاستثناء يرجع فيما يتعلق بزايد إلى سماته الشخصية، وإلى الفطرة السوية التي يعالج بقوانينها كثيراً من القضايا، منذ عرفناه حاكماً للعين في عام ١٩٤٦م، ثم حاكماً لإمارة أبوظبي في عام ١٩٦٦م، ثم رئيساً لدولة الإمارات العربية المتحدة في عام ١٩٧١م وإلى أن توفاه الله عز وجل، حتى عده الجميع (حكيم العرب). وفيما يتعلق بالاتحاد، فقد كانت فكرة (الاتحاد) من بين الأفكار التي ارتبطت باسم زايد منذ المراحل المبكرة لممارسته السلطة، وهي الفكرة التي تحولت إلى قضية أولاها جلّ اهتمامه، حتى حققها بين (إمارات الساحل المتصالح)، لتصبح منذ عام ١٩٧١م دولة الإمارات العربية المتحدة.

د. جمال قاسم زكريا:
قائد مسيرة الخير

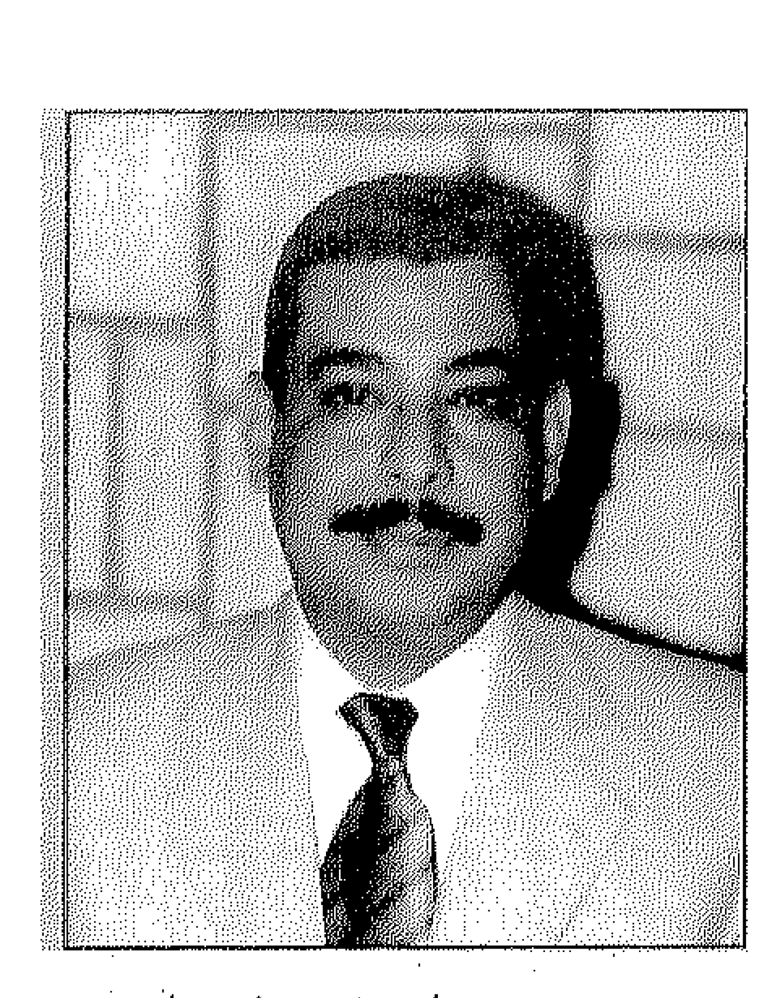
الدكتور جمال زكريا قاسم، العميد الأسبق لكلية الآداب في جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية بدأ مشاركته بحقيقة مؤداها أن مآثر المغفور له الشيخ زايد بن سلطان قد ارتبطت بالإنجازات التي استطاع تحقيقها والتي استحق بفضلها أن يعد بلا جدال من أبرز الزعامات السياسية في عالمنا المعاصر، ثم يفصل ذلك بالقول: لقد آمن رحمه الله بالعديد من المبادئ والمثل التي استمدها من معتقداته الدينية الراسخة وخاصة ما يتعلق منها بقضايا السلام، وإشاعة الاستقرار والعدالة الاجتماعية، والتضامن العربي والأخوة العربية، وتحقيق الوحدة على كافة مستوياتها. وظل في كل مرحلة من مراحل حياته يدير دفة الأمور بدبلوماسية هادئة ومتأنية، واتسمت كل خطوة من خطوات عمله السياسي والاجتماعي بالمثابرة، والتصميم المتحلي بالصبر والأناة.

ويضيف الدكتور قاسم قائلاً: ومن المعروف أن الشيخ زايد بدأ أولى ممارساته السياسية في مرحلة مبكرة من حياته، وقد أبدى اهتماما بالنواحي الصحية، وبإدخال التعليم، ومن أجل ذلك قام بزيارة تاريخية إلى مصر في عام ١٩٥٩م ليستفيد من الخبرات المصرية في هذا المجال. ولعل مما يؤثر عنه اهتمامه الشديد بتوفير مياه الري لإتاحة الفرصة لفقراء البدو لري أراضيهم، وذلك بحرصه على جعل موارد المياه حرة ومشاعة للجميع، وليست مقصورة على الأغنياء ضاربا المثل بنفسه. وقد قدر لي -من واقع تجربتي الشخصية- حين أتيحت لي فرصة زيارة الإمارات العربية في عام ١٩٦٩م أن أشاهد بنفسي مختلف المجالات الإنشائية والتنموية، على الرغم من أنه لم يكن قد مضى على تقلد سموه سدة الحكم أكثر من ثلاث سنوات. كما بدا اتجاهه واضحاً في مناصرة القضايا العربية وخاصة القضية الفلسطينية وتحقيق التنمية الاقتصادية في الوطن العربي، كما يذكر له دوره الرائد في دعم دول المواجهة العربية، إلى جانب دوره الإيجابي في تأسيس مجلس التعاون الخليجي، من أجل التأكيد على قدرات دول الخليج العربية الذاتية في حماية أمنها وأن مواردها حق طبيعي لشعوبها.

ويخلص المؤرخ الدكتور قاسم إلى أن الفقيد «رحمه الله» قد اتسم ببعد النظر خلال مباحثات الاتحاد في عدم ممارسته أي نوع من الضغوط، من أجل تركيز السلطة الاتحادية، مفضلاً إتاحة الفرصة أمام روابط الهوية المشتركة كي تتشكل وتتطور بطريقة هادئة لا عسف فيها. كما شهدت سنوات رئاسته إيجاد حلول للعديد من المشكلات المستعصية، إذ استطاع بحكمته أن يضع حلاً لمشكلة مزمنة استمرت عدة عقود، ونعني بها مشكلة البريمي بين أبوظبي والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان، كما وفق في التوصل إلى حلول للعديد من المشكلات الحدودية بين إمارات الدولة التي ارتبطت بالموروثات القبلية ومنافسة الشركات النفطية الأجنبية، واستطاع بسياسته الهادئة تخطي بعض الأزمات الدستورية التي اعترضت قيام الدولة، إضافة إلى تعامله مع إيران حول مشكلة الجزر، ووقوفه موقفاً صلباً باعتبارها قضية اتحادية، وليست كما أرادت إيران حصر الخلاف بينها وبين إمارة



د. رشيد بالحبيب



د. سيد علي إسماعيل



د. محمود فهمي حجازي

الشارقة حول وضعية جزيرة أبو موسى، وتمكن بذلك الموقف الصلب أن يؤكد سيادة الدولة على الإمارات التابعة لها.

د. رشيد بالحبيب: رحيل قائد مُلهَم

الدكتور رشيد بلحبيب من قسم اللغة العربية في جامعة الإمارات العربية المتحدة قال إن العالم كله، شرقه وغربه، قاصيه ودانيه قد عرف (زايد)، كما عرفه أهل المغرب غيثاً وينبوع خير روى عرفه الصغير والكبير والغني والفقير، وتعرفه المنطقة الشرقية من المغرب معرفة خاصة، وذكراه محفوظة في سويداء قلوبهم، فقد شيّد وبنى، وأكرم فأجزل، وأنعم فأوفى، كما عرفته جمعية المؤرخين المغاربة التي وضع حجرها الأساس، (التاريخ العربي)، التي لولا فضله ودعمه لبقيت حلماً بعيد المنال، وقد تواتر في عهده إنشاء الجمعيات والمنتديات العلمية والثقافية في كل ربوع الوطن وخارجه، وتأتي معلمة (مركز زايد للتراث والتاريخ) شاهداً على التعبير الصادق عن الإحساس بأهمية الواجهة الثقافية والعلمية في بناء الإنسان البناء المتوازن.

ثم يضيف الدكتور بلحبيب قائلاً: لقد كان -رحمة الله تعالى عليه- ربانيا في بساطة، بعيد الغور كثير التأمل، مؤمناً إيماناً عميقاً بإنسانية الإنسان، وحقه في العيش الكريم، وبوحي من ذلك ذلل الصعاب أمام المرأة عبر جمعياتها المتنوعة، وأمام الشباب عبر نواديه الجادة، وذوي الاحتياجات الخاصة، والمسنين، والمسلمين الجدد الذين أكرمهم وآواهم. وإن المتأمل في إنجازات المغفور له بإذن الله تعالى، ليقف مشدوهاً حيال هذا الرصيد الحضاري والعمراني الهائل الذي تحقق على يديه الكريمتين -في الداخل والخارج- في ظرف لا يتجاوز ربع القرن إلا بقليل، في مهمة تشبه المعجزة! ولطالما تساءلت، وتساءل غيري، أي سر يكمن خلف هذا الرجل العملاق الذي أعطى أروع الدروس في الحكم والسياسة، والحنكة والحكمة، والبذل والعطاء، أين تعلم؟ ومن أي الجامعات تخرج؟ وأي فلسفة له في الحكم؟ وأزعم أنني وقفت على مفتاح أدركت به سر هذه القدرة وجمال تلك النفس وبساطتها، ومصدر تلك الحكمة وينبوعها، فقد وجدت -وأنا أقرأ في سيرته- أنه «رحمة الله عليه» كان يحفظ القرآن الكريم ويديم النظر فيه، فقد كان يرى بنور الله، ويحكم بما أراه الله، أحبّ الله فقذف الله محبته في قلوب خلقه، ولقد تخرج «رحمة الله عليه» في مدرسة الفطرة والصفاء، وتعلّم في ربوع الصحراء برمالها وسكونها، بعيداً عن الضوضاء، قريباً من السماء حيث يصفو التأمل، وتتقد الأذهان، وتتضح الرؤى!

د. سيد علي اسماعيل: سنوات في حياة الفقيد

الدكتور سيد علي إسماعيل، الأستاذ في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات العربية قال: ليس غريباً أن تنجب الأمة العربية زعيمين عربيين في عام واحد هو عام ١٩١٨م. ففي هذا العام ولد الزعيمان الراحلان جمال عبد الناصر والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمهما الله وأفسح لهما جناته. فإذا كان لجمال عبد الناصر مآثر سياسية وعربية حميدة، فكذلك كان للشيخ زايد أكبر المآثر السياسية والإنسانية للأمة العربية. ومن الجدير بالذكر، أن الشعوب العربية لم تجتمع على حب زعيمين عربيين، بقدر ما اجتمعت على حب هذين القائدين في تاريخ

الوطن العربي الحديث، لما لهما من سمات مشتركة في مسيرة الأمة العربية. ومن الملاحظ أن تقدم ومدنية دولة الإمارات، لم يأتيا من فراغ، بل جاءا من خلال كفاح وصبر هذا الزعيم، في سبيل تقدم ورخاء دولته العظيمة، متمثلة في سنوات مسيرته المشرقة.

بدأ اسم الشيخ زايد يلمع في الحياة السياسية العالمية كقائد مغوار، عندما كان مرشداً لأول فرقة مسح جيولوجي لإحدى الشركات الأجنبية للتنقيب عن البترول في أبوظبي، والتي أثمرت عن حفر أول بئر استكشافية في عام ١٩٥٠م. ونتيجة لاحتكاك الشيخ بالأجانب في هذه المهمة، قام بأول زيارة له إلى إنجلترا وفرنسا عام ١٩٥٣م، فاطلع على تقدم الدولتين في مجال التعليم والطب وغيرهما من المجالات المدنية، فقرر تطبيق هذا التطور في أبوظبي، خصوصاً بعد أن زار العديد من الدول، مثل أمريكا ومصر ولبنان والعراق وسوريا والهند وإيران.

وبعد عودة الشيخ زايد اهتم بنتائج الاستكشافات البترولية، التي أثمرت عن اكتشاف أول حقل بترولي عام ١٩٥٨م، وبالتالي عن ظهور ثروة كبيرة، تمّ استغلالها في إنشاء المشاريع النافعة للمواطنين، وفي عام ١٩٨١ ترأس الشيخ زايد القمة العربية في أبوظبي، فأعلن فيها ميلاد مجلس التعاون الخليجي، الذي ضم دول الخليج العربية. وبروح القائد والزعيم العربي، رأى الشيخ زايد أن الأمة العربية تعيش حالة من الفرقة والتشتت، من خلال مقاطعة الدول العربية لمصر بسبب اتفاقية كامب ديفيد، فأعلن عام ١٩٨٧م عن عودة العلاقات مع مصر، فكانت دولة الإمارات أول دولة تفعل ذلك، ومن ثم تبعتها بقية الدول. ومن الصعب على أي إنسان أن يحصي مواقف الشيخ زايد السياسية تجاه الأمة العربية، فإنها كثيرة وتشهد بزعامته العربية.

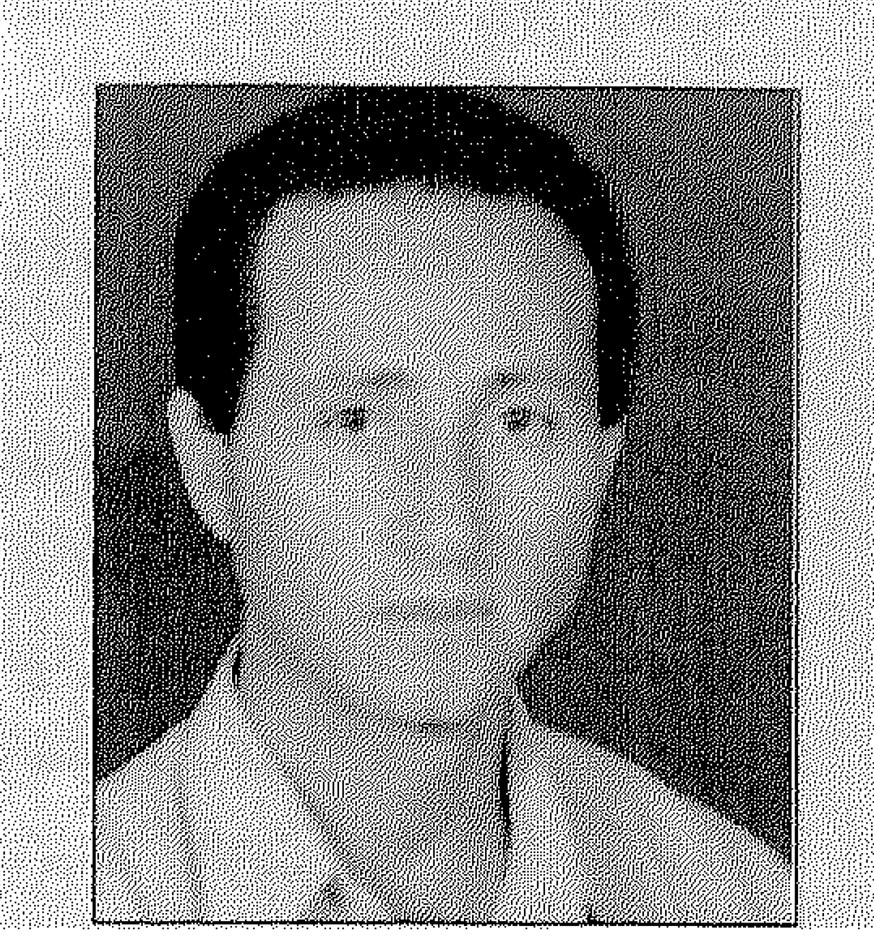
ثم راح يعدد إسهامات ومساعدات الفقيد للدول العربية والأجنبية ومنها فلسطين واليمن وموريتانيا والمغرب ومصر وجواتيمالا وبنجلاديش وكذلك المنظمات الدولية ومنها اليونسكو واليونيسيف، وخلص إلى أنه ليس غريباً بعد هذه المواقف الإنسانية النبيلة لهذا القائد والزعيم، أن تمنحه المنظمة الدولية بجنيف الوثيقة الذهبية عام ١٩٨٥م، لجهوده الإنسانية. ولا أن تختاره الهيئة الدولية بفرنسا كأبرز شخصية عالمية عام ١٩٨٨، ولا أن يتم اختياره ضمن أبرز عشر شخصيات عالمية لها دور بارز في مجال الإنماء السياسي والاجتماعي عام ١٩٩٠م، ولا أن يتم اختياره كرجل أول في العالم عام ١٩٩١م من خلال استطلاع مجلة الاثنين اللبنانية، ولا أن تمنحه منظمة الليونز العالمية وساماً عام ١٩٩٢م، ولا أن يتم اختياره كشخصية إنمائية عالمية عام ١٩٩٥م، ولا أن تمنحه جمعية المؤرخين المغربية الوسام الذهبي للتاريخ العربي في العام نفسه، ولا أن تختاره صحيفة العرب البريطانية كشخصية عام ١٩٩٧م، ولا أن يتم اختياره كشخصية عامة إسلامية عام ١٩٩٩م، ولا أن يتم اختياره ضمن عشر شخصيات عالمية بارزة في مجال الإنماء السياسي والاجتماعي في العام نفسه.

د. عبد الله المصعبي:
زايد رمز الوحدة وباني النهضة

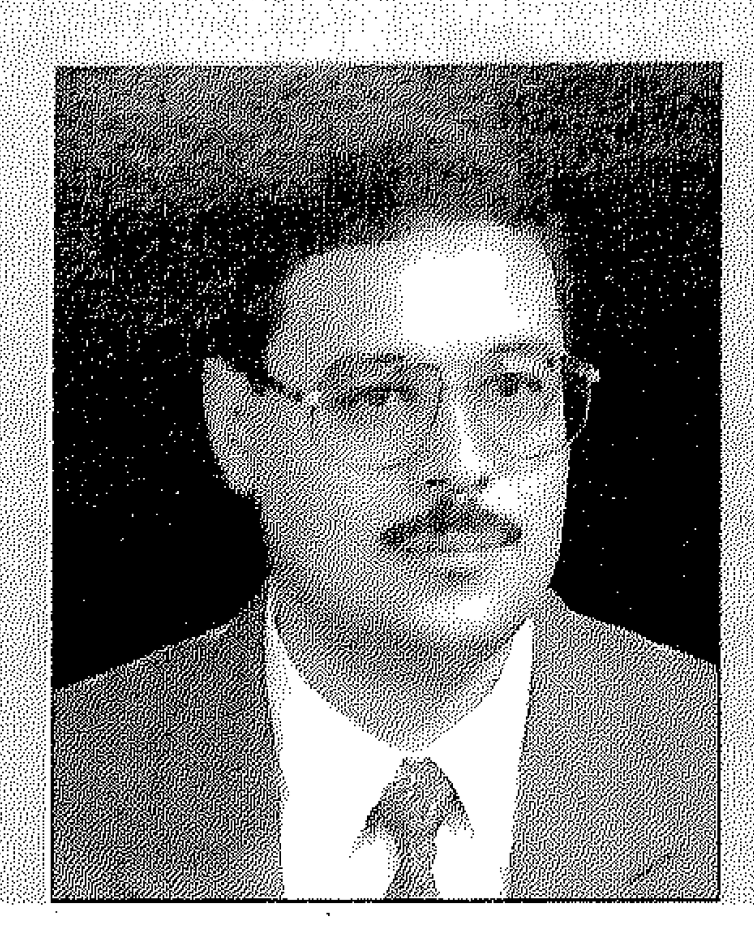
أما الدكتور عبدالملك منصور حسن المصعبي رئيس مؤسسة المنصور الثقافية قال: إن رحيل زايد كان خسارة فادحة بالنسبة للجميع خصوصاً من عرفه عن قرب وتحدث معه وأدرك نظرته الثاقبة وبصيرته النافذة إلى كل ما يجري في عالمنا اليوم من تطورات وتغيرات متسارعة. وقد عمل الشيخ زايد على تحقيق كل ما كان يطمح إليه شعب الإمارات من خير وتقدم وازدهار، وبالتالي فإن وفاء شعب الإمارات لقائده وحبه له، والذي تجلى بشكل واضح يوم رحيله إلى الدار الآخرة، ما هو إلا نوع من رد الجميل لرجل كان عطاؤه وخيره قد لامس كل شبرٍ في هذا الجزء من وطننا العربي الكبير.

د. أبوالفضل:
زرع الربع الخالي

وقال الأستاذ الدكتور محمد أبو الفضل بدران من جامعة الإمارات: إن المتأمل في أرض الإمارات يجد ملايين النخلات الشامخات الضاربة جذورها في الأرض في تمسك بالأرض ليغدو الوطنُ واحةً خضراء مثمرة، هذه الصورة ما كانت لتوجد لولا إيمان الشيخ زايد «رحمه الله» بأهمية الزراعة التي رآها أساس الحضارة، وإن في ارتفاع النخيل شموخُ الإنسان. وقد اتجه الشيخ زايد اتجه من بعد زراعة صحراء الأرض إلى زراعة صحراء العقل، يؤلف بين القبائل ويجعل الاتحاد هدفاً نصب عينيه، وينتظر في صبر قيام الاتحاد ليكون أول تجربة وحدوية ناجحة في العالم العربي، فتنمو التجربة كشتلة نخل ينتظر الجميع نموها وثمارها، فيرويها بعقله وقلبه، وكما أثمرت النخلات رطباً جنياً تثمر الإمارات اتحاداً قوياً شامخاً. وكما تطل النخلة، تطل الإمارات على العالم دولة فتية تنتزع


د. محمد عبد الرحمن


د. هاشم عبد الراضي


د. يحيى محمد محمود

الاحترام والإعجاب.ثم يتجه الشيخ زايد إلى التعليم والصحة والتعمير وغيرها، ويصل حاضره بماضيه ومستقبله، بإنشاء المراكز والأندية التراثية لتكون نبراساً للأجيال القادمة حتى لا تكون هناك هوة بين الماضي والحاضر فيصبح رجل البيئة والتراث في عالم العولمة وفي زمن يخبو فيه التراث، وذلك لأنه لم يتنصل من ماضيه بل كان يفخر به.

ثم يلفت بدران إلى أنه في أثناء الاهتمام بالشيخ زايد نسي النقاد التوقف أمام شعره، فهو يحمل روح شاعر، وقليل من أولي الأمر من يقرض الشعر ويقدر الشعراء ويأتي الشيخ زايد بشعره وبمجالسه الشعرية النقدية مثبتاً مكانته الشعرية وروحه الشاعرة، وإيمانه بدور الكلمة والقصيدة ومفصحاً عن الشاعرية التي ملكت فؤاده حبا وعشقا وصاغها عبر الشعر النبطي الذي بعث التراث الشعري الشفهي فغدا الخليج واحة للشعر وملاذا للشعراء.

د. الريحاني: حياة الخالدين

وفي مداخلة فلسفية رائعة -أو قُل إن شئت صوفية واضحة- راح الدكتور محمد عبد الرحمن مهنا الريحاني الأستاذ المشارك بجامعة الإمارات راح يطرح أسئلة عن الحكمة الظاهرة للعقل من الحياة؟ وعن معنى الخلود؟ وهل ثمة تعارض بين الموت والفناء؟ وبين الموت والحياة؟ وبين الموت والخلود؟ وكيف يكون زايد خالداً؟ ولِمَ استحق لقب شيخ العروبة؟

ثم توصل من خلال إجاباته على هذه الأسئلة إلى أن معنى الخلود يتحقق في فترة الاختبار في الدنيا بالأفعال والأعمال طبقاً للمنهج، وعليه ينقسم الناس إلى أصحاب شمال يخلدهم الذكر السيئ وأصحاب يمين يخلدون في القلوب والعيون والتاريخ ويمتد بهم عملهم للآخرة بالذكر الحسن، ومن ثم يتضح الفرق بين الموت والفناء، فالموت انقضاء أجل وسكون حركة المتحرك وانقطاع فعل بالاختيار، بينما الفناء هلاك موجود. فليس الموت إذاً بفناء فعل وإنما توقف حركة الاختيار، فمن سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين دون أن ينقص من أجورهم شيئاً، وكذلك من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، وينقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث «صدقة جارية وعلم نافع وولد صالح يدعو له».

ثم يطرح الدكتور الريحاني على العقل وعلى الحاضرين سؤالا آخر هو: أين أبو خليفة من هذه المعادلة؟ ثم يجيب قائلاً: قياساً على الأفعال التي هي مناط الأحكام في الوصف عند العباد قدر الله لأبي خليفة أن يكون شيخ العروبة في عصره، لأنه عربي أصيل رضع الأصالة من سلسلة مجد عريقة ليرث في أسرته أخلاق العربي في صورتها المثلى من الأفعال التي أقرها الإسلام، فكانت في نفس الشيخ عقيدة، وفي شخصيته مثالاً، وفي عمله واقعاً. ولننظر في المقدمات بالأدلة العقلية إلى أعمال الشيخ في ميزان أعمال الرجال العظام فقد انساب في الشيخ زايد الإيمان والأخلاق (والأخلاق شطر الإيمان) ولا يؤمن أحدنا بات في شبع وجاره جوعان، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾. تحققت في الشيخ كل هذه المبادئ من الإسلام، فكان رائد الوحدة، وتجسدت فيه المبادئ والقيم فبعد عنه البخل وحب النفس كبعد الأرض عن جو السماء، وطبق مبدأ من ينفق على ذويه شكرا لنعمة الله أدام الله عليه الفضل وبارك له فيه، فارتفعت مآذن في الهند وباكستان، ومعاهد دعوة للإسلام في بلاد الشرق والغرب، ومدن وجداول في مصر، ويد لا تكل من الإعمار في فلسطين،

عهد للوالد.. وإشادة بمواقفه

وفي مداخلة غير مدرجة في جدول أعمال الندوة تحدثت فاطمة المنصوري الباحثة بمركز زايد للتراث والتاريخ عما أسمته خواطر من ابنة عشقت والدها وأعجبت بمكارمه ومآثره وتفتقده، وقالت كأني بروحه الطاهرة تطل علينا كل ليلة من شرفات النجوم في السماء، وكأني بيده الحانية تلوح لنا بالتحية من سيارته التي كان يتجول بها بين أرجاء الوطن الذي بناه، وبين الصحراء التي عشقها وعرف رمالها حبة حبة، وعاهدت الابنة والدها على التمسك بمبادئه ومن أهمها تعظيم قيمة العمل والعمل الجاد، وأن النعمة لا تدوم إلا بالشكر وشكرها هو أداء زكاتها وأداء زكاتها هو المزيد من العمل، والتهبت القاعة بالتصفيق عندما أشادت بمواقف الراحل الغالي ودفاعه عن الحق ومناصرته لقضايا أمتيه العربية والإسلامية، وتأكيده على ضرورة التفرقة بين المقاومة المشروعة للمحتل والمغتصب وبين الإرهاب، وحيت صمود أبناء فلسطين والمقاومين الشرعيين من أبناء العراق.

وكما بدأت الندوة بالدعاء بالرحمة والمغفرة والرضوان للفقيد انتهت كذلك بالدعوة له بالرحمة والمغفرة والرضوان بالهدى والرشاد، وبالدعاء لخليفته بالتوفيق والسداد، وأن يعينه المولى عزّ وجلّ على قيادة محمل الاتحاد إلى شواطئ الخير والأمان. ■

وتمثل فيه العدل واقعاً فما جعل بينه وبين رعيته حجاباً، زوّج الشباب، وأعان المحتاج، وأنفق على الفقير، ووسّع على المقتر، ووصل الرحم قريبه وبعيده، فكان الدم العربي عنده أغلى من ثروته، وهو شعاره في حرب رمضان ١٩٧٣م، سعى بالصلح ونصح بالصدق، ووفق بين الفرقاء، ونادى بوحدة العرب من المحيط للخليج، وصدق عليه وصف القرآن في سلوك الرجال ﴿رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾. وصدق فيه وصف النموذج لرسول البشرية محمد عليه السلام: «ما يزال المرء يصدق ويصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» فعهد الله عنده وصدقه كان بالعمل، والعاقل ينمط الرجال بقدر الأفعال في وصف الظاهر، إذا أحب الله عبداً نادى في السماء: يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه، فينادي جبريل في الملائكة: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فتنادي الملائكة عباد الله في الأرض: أن الله يحب فلاناً فأحبوه. وما أعظم حب زايد في قلوب المسلمين وأمته العربية.

د. هاشم عبد الراضي:
إسهاماته في الثقافة الإسلامية

الدكتور هاشم عبدالراضي محمد عيسى أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعة الإمارات تحدث عن إسهامات زايد في الثقافة الإسلامية بادئاً بالإشارة إلى أن الفقيد «رحمة الله عليه» قد أدرك –في خضم التحولات السياسية والثقافية والاقتصادية التي شهدها العالم خلال فترة حكمه أن النهضة الثقافية التي تدفع مجتمع الإمارات نحو المزيد من الحداثة والتحديث والانفتاح على وقائع ومعطيات العصر ينبغي ألا تتم إلا بالحرص على مقومات الشخصية الوطنية، بما تشمله من قيم دينية، وعادات وتقاليد اجتماعية إيجابية، وأن الثقافة الإسلامية من الأمور التي ينبغي الإلحاح والتأكيد عليها، لذلك ظل سموه يردد الأفكار المتعلقة بالتعليم والثقافة والتراث في كثير من المناسبات حتى تحولت إلى أقوال يرددها النشء، وتستنير بها الوسائل الإعلامية والمؤسسات الثقافية، وقد ذكر في مناسبة المعرض الثاني لمدارس أبوظبي: «إن العلم والثقافة أساس تقدم الأمة، وأساس الحضارة وحجر الأساس في بناء الأمم» وينبغي ألا يعزب عن بالنا أن الثقافة الإسلامية هي عصب الحياة الثقافية في دولة الإمارات، باعتبارها من أبرز دول العالم الإسلامي، التي تأثرت بحركات اليقظة العربية والإسلامية الإصلاحية التي استهدفت العودة إلى الحياة الإسلامية، ونمو الوعي الديني الصحيح لدى أبناء الشعب الإماراتي.

ويسوق الدكتور عبد الراضي أمثلة شواهد على توجه زايد نحو الثقافة الإسلامية، منها مشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم الذي كانت فكرته وليدة إيمان الفقيد بأهمية العقيدة في درء الشرور عن المجتمع

وترسيخ القيم النبيلة والفضائل الكريمة في سلوك وأخلاق الأمة، خصوصاً في مواجهة التيارات الخلقية والفكرية المنحرفة، ومن الشواهد أيضاً مؤسسة زايد الخيرية وهي مؤسسة حرص الشيخ زايد على إنشائها من منطلق قناعته الدينية بأن أعمال الخير والبر من أهم الركائز التي يدعو إليها الإسلام، واضطلعت بكثير من أعمال الخير الإسلامية، التي كان من أبرزها ما يتعلق بنشاط الثقافة الإسلامية، إلى جانب دورها الخيري الاجتماعي، ثم يذكر شاهداً ثالثاً هو مواقف الفقيد وشهر رمضان وحرصه على أن يستضيف سنوياً على نفقته عدداً من كبار العلماء والمفكرين الإسلاميين من معظم الدول العربية والإسلامية خلال شهر رمضان، لإلقاء محاضرات عامة في المساجد والجامعات والمدارس، وبعض المؤسسات الحكومية. وكذلك إقامة احتفاليات عظيمة في أهم المناسبات الرمضانية، يُدعى إليها أيضاً عدد من أبرز قرّاء القرآن الكريم في العالم العربي والإسلامي.

د. مجدي عبد الحافظ:

رجل من طراز رفيع

وقدم الدكتور مجدي عبد الحافظ منسق حوار الحضارات في جامعة أميان فرنسا لمشاركته بالقول: عندما زرت الإمارات في المرة الوحيدة التي قمت بزيارتها ٢٠٠٣م مكثت أسبوعاً، وأعترف أنني فوجئت بما رأيت عليه هذه الدولة، وبما حققته من نمو وازدهار ودعاني هذا الأمر إلى التساؤل والتقصي لدى المحيطين بي في الأماكن العديدة التي قمت بزيارتها حول سر هذا التقدم، وتلك الطفرة التي تحققت على كل المستويات ولم أجد إجماعا في بلد عربي كما رأيته في الإمارات حول الشخصية التي اتفق الجميع على أنها تقف خلف ما حدث ويحدث وهي الشيخ زايد بن سلطان «رحمه الله». كان الإجماع لافتاً للنظر والانتباه، فالشيخ زايد هو رئيس الدولة، وقلّما أجمع المواطنون العرب في أي مكان على حاكم لهم، أو اعترفوا بجميل له، حتى ولو في الغرف المغلقة. ولكن ما يستحق التوقف عنده أن تلك الشخصية التي أجمع عليها الجميع، ونال أداؤها رضا واستحسان الجميع، تتصرف دائماً بأريحية غير مسبوقة، وحسن تقدير ومسؤولية تجاه عالمها العربي والإسلامي، فكان «رحمه الله» رجل دولة من طراز فريد، لم يرتكن في خطواته ومبادراته المحسوبة على حنكة علوم السياسة والاقتصاد التي كان يحملها مستشاروه ومعاونوه، بل اعتمد على الحس السليم والنخوة والشجاعة، والنبل والكرم، وكلها سمات الفروسية العربية الأصيلة.

ويضيف الدكتور عبد الحافظ قائلاً: إن شخصية الشيخ زايد فيها من الغني والثراء ما يحتاج لمعالجات ودراسات تكشف عن جوانب كثيرة مازالت الأقلام لم تقترب منها. ومن هذه الجوانب الثرية أنه يعتبر من طلائع الأيكولوجيين في العالم العربي، إذ إن اهتماماته بالبيئة وبالمساحات الخضراء في دولة الإمارات وفي مناطق كثيرة من العالم العربي والإسلامي ومنذ فترة طويلة تضعه بحق في طليعة من اهتموا بمشكلات البيئة في عالمنا العربي.

د. يحيى محمد محمود:

آخر الفرسان العظماء

وكانت آخر المشاركات للدكتور يحيى محمد محمود من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الإمارات العربية المتحدة الذي قال إن المغفور له الشيخ زايد بن سلطان هو آخر الفرسان العظماء الذين سطر التاريخ سيرهم وحفظ لهم مكانتهم، فقد كان آخر مؤسس لدولة حديثة، وآخر زعيم يبني دولة، فقد انتهى زمان تأسيس الدول، وزمان بناء الحضارات مع رحيل آخر الفرسان.

واستعرض الدكتور يحيى حياة الفقيد موضحاً أن البادية كانت مدرسة الإدارة والحكم التي تمرس فيها المغفور له بإذن الله تعالى، وهو ما شكله بأخلاق البادية إدارياً، فقد أصبح حاكماً وسط القبائل الصعبة المراس ومع ذلك تمكن الشيخ الشاب من قيادة تلك القبائل، وأصبحت كلمته هي الأولى في المنطقة، وهو ما أدهش الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة، ثم ذكر إنجازاته في المنطقة الشرقية خلال حكمه لها والتي كانت تبشر بشخصية قيادية سيكون لها الشأن العظيم في حياة البلاد، ثم يخلص إلى القول: «لقد وصلت الإمارات إلي ما وصلت إليه نتيجة جهده «رحمه الله» وليس نتيجة لإيرادات النفط وحده، فكم من دول لديها من النفط أكثر، ومن القدرات ما يفوق الإمارات ولم تصل إلى مكانتها، لعل ذلك يرجع إلى أن الإمارات هي هبة زايد «رحمه الله» وليست هبة النفط». ■



بعد نجاح معرض التمور

معرض سنوي للنخيل تنظمه جمعية أصدقاء النخلة

■ حمدي نصر

لأن النخلة تستحق كل اهتمام ورعاية باعتبارها رفيق درب ابن الإمارات في زمن العسر واليسر.. قررت جمعية أصدقاء النخلة تنظيم مؤتمر سنوي حولها يناقش الإكثار منها والاهتمام بها وبإنتاجها.. ويأتي ذلك أيضاً تواصلاً مع الحرص الكبير الذي كان يوليه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيّب الله ثراه» لهذه الشجرة المباركة.. أعلن ذلك معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التربية والتعليم رئيس مجلس إدارة جمعية أصدقاء النخلة لدى استقباله للوفود المشاركة في فعاليات المعرض الأول لمنتجي ومصنعي التمور ٢٠٠٤م الذي نظمته جمعية أصدقاء النخلة بمدينة العين منتصف الشهر الماضي واستمر لمدة ثلاثة أيام.



معالي الشيخ نهيان بن مبارك يلقي كلمته في الافتتاح

وكان معاليه قد افتتح المعرض بكلمة قال فيها: إن المعرض يأتي ضمن الأنشطة الرائدة والملحوظة لجمعية أصدقاء النخلة إسهاماً منها في تشجيع العاملين بهذا القطاع الحيوي والمهم وإتاحة الفرصة لتبادل الخبرات بينهم وذلك على طريق الاهتمام المستمر بالنخيل والعناية الخاصة بزيادة إنتاجيته ورفع عوائده.

وأكد أن هذه العناية وذلك الاهتمام هما اللذان أرسى مبادئهما ورسخ جوانبهما المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، منوهاً إلى جزء يسير من منجزات فقيد الوطن والأمة وقال: إنه «رحمه الله» أسس منظومة رائعة للتنمية الزراعية الشاملة في الدولة بوجه عام إلى جانب حرصه وتصميمه على الأخذ بخطة طموحة لشجر النخيل على وجه الخصوص سواء في الاهتمام بطرق زراعته والعمل على استنباط سلالات جديدة منه إضافة إلى السعي نحو تحقيق المنافع الاقتصادية له.

وأشار معاليه إلى ما يمثله هذا المعرض من حرص على استمرارية التواصل والبحث والتشاور حول مختلف الإمكانات والعناصر وبالذات تنمية مراكز البحوث والتوسع في مختبرات الأنسجة النباتية والتي من شأنها توفير سلالات أفضل لأشجار النخيل بل وتقديم أنواع أجود من الصناعات الغذائية المرتبطة بها والمترتبة عليها.

وقد تفقد معاليه، ومعه معالي سعيد الرقباني وزير الزراعة والثروة السمكية وكبار الضيوف الأجنحة المشاركة بالمعرض البالغ عددها ٨٥ جناحاً تمثل إحدى وعشرين دولة عربية وأجنبية يمثل القطاع الحكومي منها ما نسبته ٣٥ بالمائة والقطاع الخاص ٦٥ بالمائة.

واشتملت فعاليات المعرض على عرض أصناف التمور والمنتجات الثانوية والشتلات النسيجية ومعدات تصنيع التمور .. وعرض الجانب الصحي والقيمة الغذائية للتمور واللوحات الفنية والصور الفوتوغرافية وعرض تقنيات وخدمة زراعة النخيل، وقد أقيمت على هامش المعرض ندوات علمية متخصصة لتسليط الضوء على زراعة النخيل في العالم بشكل عام وبدولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص وركزت على تقنيات الإكثار والإنتاج ومحاربة الأمراض والآفات والمعوقات التي تواجه تصنيع التمور وتسويقها ونوقشت خلالها بعض أوراق العمل ومنها:

القيمة الغذائية للتمور

الورقة التي قدمها اختصاصي التغذية سفيان عثمان ببرنامج التدريب الغذائي – إدارة التغذية – منطقة العين الطبية.. وذكر فيها أن التمر يعتبر غذاءً مركزاً بسبب انخفاض نسبة الرطوبة فيه والتي تصل إلى ١٢٪، لذلك فهو مصدر غني بالطاقة الكربوهيدراتية، إذ تشكل الكربوهيدرات تقريباً ٥٧٪ من التمر، وهي كربوهيدرات سريعة الهضم والامتصاص، وللتمر أهمية خاصة لمن يحتاجون إلى استرداد قواهم كالصائم والجائع والرياضي، وتحتوي خمس حبات كبيرة من التمر على ١١٥ كيلو سعر تقريباً.

وذكر أن تناول عدد محدود من حبات التمر بعد الصيام أو الشعور بالجوع الشديد يقي من المبالغة أو الإفراط في تناول الطعام، وذكر أن التمر يرفع من مستوى سكر الدم بسرعة فيخفف من الشعور بالجوع، إضافة إلى أنه مصدر جيد للألياف الغذائية التي تقي من بعض الأمراض المزمنة ومن الإمساك. وتحتوي خمس حبات من التمر على غرام واحد من البروتين النباتي، وكميات ضئيلة لا تذكر من الدهون، و٣ غرامات من الألياف الغذائية، و١٣ ملغم من الكالسيوم، ونصف ملغم من الحديد، وهي تعد نسبة جيدة وإن كان امتصاص الحديد من التمر ضعيفاً.

ويعتبر التمر غنياً بالبوتاسيوم إذ تحتوي ٥ حبات

كبيرة على ٢٧٤ ملغم، وهذا يعطي قيمة للتمر من حيث الوقاية من ضغط الدم، لأن الأطعمة الغنية بالبوتاسيوم تخفض الضغط.

ومن إيجابيات التمر أنه غذاء ذو محتوى متدن جداً من الصوديوم، إذ تحتوي ٥ حبات كبيرة على ملغم واحد فقط من الصوديوم.

أما الرطب فيتفوق على التمر من حيث احتوائه على ضعف ما يحتويه التمر من حمض الفوليك الهام للحوامل وصحة الجنين، لأن حمض الفوليك يلزم لانقسام الخلايا ومرحلة الحمل وتكوّن الجنين تشتمل على أعلى معدلات التكاثر الخلوي في حياة الإنسان. وكذلك يحتوي الرطب على نسبة لا بأس بها من فيتامين (ج).

إلا أن الرطب يحتوي على نصف السعرات الحرارية الموجودة في التمر بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة فيه والتي تصل إلى ٥٧٪، وكذلك نسبة الألياف في الرطب هي نصف نسبة الألياف في التمر، كما يحتوي التمر على الكبريت والفسفور والمنغنيز والمغنيسيوم والعديد من الفيتامينات.

والدبس وهو عصير التمر الصافي غني جداً بالعناصر المعدنية ومنها الحديد الذي يقي من فقر الدم.

ويعتبر الدبس مصدراً عالياً للطاقة الحرارية غير الدهنية لذلك له أهميته للمصابين بالنحافة والمرضى في مرحلة النقاهة ومن يجدون صعوبة في مضغ وبلع الطعام، أو الذين يجدون صعوبة في تلبية احتياجات الطاقة من الغذاء العادي كالمسنين وبعض المرضى.

منجم المعادن

وتحدث الدكتور إسماعيل الحوسني عن القيمة الغذائية للتمور فقال: اعتمد سكان الجزيرة العربية في غذائهم على التمر بشكل كبير لأن شجرة النخيل تتناسب مع البيئة الخاصة بالجزيرة العربية، وتنمو في الظروف البيئية القاسية مثل الحرارة العالية والرياح الشديدة والحارة وقلة المياه وارتفاع الرطوبة. وتعتبر التمور مصدراً رئيساً للسكريات المولدة للطاقة، فهي تحتوي على عدد كبير من العناصر الغذائية والمعادن وبعض الفيتامينات والمواد اللازمة لنمو جسم الإنسان. وتشكل السكريات الأحادية (الجلوكوز والفركتووز) حوالي ٩٥٪ من سكريات التمر، وهي سهلة الهضم وسريعة الامتصاص، لذلك ينصح الصائم بالإفطار على التمر ليمده بالطاقة بيسر وبسرعة لتعويض الطاقة المفقودة طوال يوم صيامه.

الخواص الطبية

لثمار النخيل قيمة طبية ومزايا استشفائية ووقائية، حيث يقي البلح من ارتفاع ضغط الدم ويكافح الدوخة وزوغان النظر والكسل ويساهم في علاج السعال ويرطب الأمعاء ويقوي اللثة والكبد والأعصاب والعضلات ويليّن الأوعية الدموية.

ونظراً لكثرة العناصر الغذائية في التمر فقط أطلق عليه بعض الأطباء (منجم المعادن) ويعتقد البعض منهم بأن التمر يدرّ البول ويغسل الكلى. فهو يزيد حيوية المراكز المسؤولة عن التفكير والجنس بوجود الفسفور ومقادير مناسبة من العناصر الرئيسة التي تلعب دوراً هاماً في العمليات الحيوية في الجسم. وهو غني بالمغانسيوم الذي يقي الجسم من السرطان، ويحتوي على كثير من الفيتامينات مثل (B1, B2, B3, A) ويعرف فيتامين (A) لدى الأطباء بعامل التمور حيث يقوي البصر ويعالج العمى الليلي (العشى)





معالي الشيخ نهيان بن مبارك يتفقد أنواع التمور التي ضمها المعرض

وتقوية الأعصاب البصرية والسمعية والفيتامينات (B3, B2, B1) ولها دور كبير في مرونة الأوعية الدموية، ويقلل مخاطر ضغط الدم، ويقوي الأعصاب، وتناول فيتامين (B2) يقلل من أمراض الكبد واليرقان وتشقق الشفاه وتكسر الأظافر وجفاف الجلد.

وتعتبر التمور من المصادر المهمة للأحماض الأمينية النادرة مثل (bebo colic)، كما أنها تحتوي على نسبة عالية من الألياف الضرورية لتنشيط حركة الأمعاء والوقاية من حالات الإمساك، وفي وجود هرمون البيتوسين الذي يسبب انقباض الأوعية الدموية للرحم عقب الولادة مباشرة ويقلل النزف.

التصنيع

هناك صناعات عديدة يمكن قيامها على التمور، مثل: الدبس - السكر السائل - الجلوكوز - والفركتوز (سكر الفاكهة، والخل والكحول الطبي والخميرة والبروتين المركز، وحامض الليمون والمعجنات، والنقطة الهامة أن تصنيع التمور بسيط وغير معقد، وأن تصنيعه يقلل من قيمته الغذائية، وكذلك الصناعات اليدوية وغيرها، حيث تستخدم العذوق بعد الجني والسعف في صناعة الحبال والحصران والجفران (زنبيل) والسلال والجذوع للأعمدة وأسقف البيوت والعرشان، والتفنن في الصناعات التراثية اليدوية والتقليدية وذلك حسب حاجة الأسواق في المناطق المختلفة وتلبية أذواق محبي التراث.

التمور.. والوجبات المحلية

وعن التمور في الوجبات المحلية والخليجية قدم د. عبد الرحمن عبيد مصيفر رئيس المركز العربي للتغذية - المنامة - مملكة البحرية، ورقة قال فيها: تشكل التمور تراثاً مهماً في غذاء دول مجلس التعاون الخليجي، ولكن مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت خلال العقود الأربعة الماضية، انحسر تناول التمور وكذلك استخدامها في تحضير الوجبات المحلية. فقد كان الخليجيون يستخدمون خلاصة التمر (الدبس) بديلاً للمربى (الذي لم يكن معروفاً آنذاك)، وكذلك في تحضير وجبة المحمر المشهورة، وفي تحضير اللقيمات في شهر رمضان، وأدى ذلك إلى رفع القيمة الغذائية لهذه الوجبات. كما استخدم التمر في تصنيع العديد من الحلويات الشعبية ومن أهمها البثيث، والذي يعتبر أفضل من الشوكولاته والحلويات المصنعة بخاصة من ناحية العناصر الغذائية، كما استخدم التمر في تحضير نوع مميز من الخبز والذي يحتوي على قيمة غذائية أعلى من الخبز الاعتيادي، وقد كان الخليجيون

يبدأون يومهم بالتمر والقهوة مما يعطيهم طاقة لممارسة أعمالهم الشاقة مثل الغوص والزراعة والرعي.

واستعرض في ورقته القيمة الغذائية والفوائد الصحية للأطعمة المحلية التي يتم استخدام التمر فيها، وكيفية تطويرها صحياً، كما اقترح بعض الوجبات المعتمدة على التمر والتي تتناسب مع النمط الجديد في المعيشة، والتي يمكن أن تقوم بإعدادها ربة الأسرة في المنزل بكل سهولة، وأوضح في ورقته كذلك المقادير التي يمكن أن يتناولها الشخص حسب العمر والنوع من التمر أو الرطب يومياً. وتقارن التغير في القيمة الغذائية للتمر في مراحله الأربعة: الخلال والبسر والرطب والتمر وإلى أي مدى يمكن الاستفادة من هذه المراحل. كما استعرض الفوائد الصحية لمنتجات النخيل الأخرى والتي كانت تستخدم بكثرة في العقود الماضية.

التمور.. والوقاية من السرطان

وفي ورقته التي قدمها للندوة تحدث د. محمد عبد الغني عوض - قسم زراعة الأراضي القاحلة - كلية نظم الأغذية - جامعة الإمارات العربية المتحدة، عن التمور كمصدر لمضادات الأكسدة الطبيعية للوقاية من أمراض السرطان والقلب فقال: إن تناول بعضاً من التمور كل يوم يبعد الطبيب عن المنزل!.. وتساءل: لماذا؟ ثم أجاب:

إن جاذبية التمور وأنواع ثمار الفاكهة الأخرى للمستهلكين تحدد بواسطة المواصفات الظاهرية مثل اللون والحجم والمواصفات غير الظاهرية مثل القيمة الصحية. ففي المستقبل القريب «إن لم يكن قد بدأ فعلاً» سيتم تحديد أسعار الثمار المختلفة بناءً على قيمتها الصحية، وكذلك ترتيب أهمية الأصناف المختلفة من التمور للتوسع في زراعة صنف معين دون الآخر سيعتمد في المستقبل القريب على محتواها من مضادات الأكسدة الطبيعية ذات الصلة بتحسين فعالية وعمل جهاز المناعة والحماية من الجوامح الشاردة المسببة لأمراض السرطان والقلب.

فثمار التمور تحتوي على عدد من المركبات والتي تعمل كمضادات طبيعية سواء في جسم الإنسان أو حتى في أنسجة الثمرة نفسها. ومن هذه المركبات ما هو مرئي مثل مركبات الأنثوسيانين المسؤولة عن اللون الأحمر في بعض أصناف التمور مثل الخنيزي والخصاب، وكذلك مركبات الكاروتين وهي المسؤولة عن اللون الأصفر في بعض الأصناف الأخرى مثل الهلالي والنغال. ومنها ما هو غير مرئي مثل مركبات الكويرزيتين - الكاتكينز - الفلوريديزين وعدد من الأحماض الفينولية مثل حمض الكلورجينيك، وتتركزمعظم هذه المركبات في الفجوات العصارية لخلايا القشرة فقط دون الطبقات الداخلية من لحم الثمار.

وفعالية هذه المركبات تفوق الدور الذي تلعبه الفيتامينات الكلاسيكية مثل فيتامين (ج) أو (هـ) في تقوية جهاز المناعة وفي دورها كمضادات أكسدة طبيعية.

وعلى الرغم من أهمية هذه المركبات بالنسبة لخواص جودة التمور وقيمتها الصحية، إلا أنها لم تدرس بشكل جيد، والمعلومات الموجودة غير كافية حول تركيزها في أصناف التمور المختلفة أو حول تغيراتها أثناء نمو وتطور الثمار وتأثير العوامل البيئية وعوامل ما بعد الحصاد والتخزين والتصنيع على محتوى التمور من هذه المركبات الصحية. وبالتالي لا نستطيع الإجابة على التساؤل حول أهمية المرحلة التي يجب أن تستهلك فيها التمور: هل البسر أفضل من الرطب أم التمر مثلاً؟ أم العكس؟ أم لا توجد فروق في القيمة الصحية بين هذه المراحل؟

وقال: إن توفر هذه المعلومات بشكل علمي سوف يساعد في فتح أسواق جديدة لتصدير التمور وخاصة الأسواق الأوروبية والتي تتلهف إلى كل منتج طبيعي وصحي يمكن أن يحمي من أمراض العصر كأمراض السرطان والقلب. وهذا بالطبع سينعكس إيجاباً على نمو وتطور وازدهار إنتاج وتصنيع وتصدير التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة ذات الـ ٤٠ مليون نخلة.

ومن المعروف أن تركيزات هذه المركبات الصحية يزداد في الثمار المعرضة للإجهاد البيئي الشديد، وذلك لأن الثمار تنتج هذه المركبات لحماية أنسجتها بالدرجة الأولى، ولكن من حسن الحظ أن هذه المركبات تلعب دوراً مشابهاً في جسم الإنسان. وعلى ذلك يمكن القول إن المناخ القاسي في دولة الإمارات العربية المتحدة أثناء نمو وتطور الثمار يساعد على إنتاج ثمار أكثر صحية مما يحسن فرص التصدير وفتح أسواق جديدة كما فعلت نيوزيلاندا «تلك الجزيرة ذات الكثافة الضوئية المرتفعة من الأشعة فوق البنفسجية» مع ثمار العينات الصغيرة. ■

ستون عاماً على إنشاء أول بنك في الإمارات

■ خليفة سيف الطنيجي

تبقى العملات وثائق حية، وشواهد ملموسة شاهدة على حضارات الأمم والشعوب، وهي مرآة عاكسة لقوة الدولة من الناحية الاقتصادية والمالية وأيضاً السياسية.

ودولة الإمارات العربية المتحدة شأنها شأن أي بلد في العالم، من حيث المعاملات والتبادل التجاري، ونظراً لما تتمتع به من موقع جغرافي على اعتبار أنها حلقة وصل بين القارات الخمس، فقد كانت محطة للتجار ومركزاً للتجارة من أقدم العصور، وقد تنوعت مصادر دخلها واختلفت أنواع تجارتها.

وأكدت ذلك الآثار والعملات المختلفة التي تم اكتشافها والتي أظهرت أن الإمارات قد عرفت التجارة منذ أكثر من أربعة آلاف عام، وسجل التاريخ لسكان الإمارات الأوائل أنهم تجار من الطراز الأول، فكانت سفنهم تجوب ضفاف الخليج العربي والمحيط الهندي والشرق الأفريقي وكانت لهم علاقات تجارية مع تجار هذه المناطق، كما وصلوا بتجارتهم إلى البلاد الأوروبية، لهم السبق في ترويج اللؤلؤ في فرنسا حيث كان لهم وسيط من الإمارات أقام أكثر من عشرين عاماً في باريس.

العملات

العملات وسيلة من وسائل التبادل التجاري التي استعملها الإنسان منذ القدم، وهي أداة بديلة أوجدها الإنسان لما يسمّى بالمقايضة، حيث يتم استبدال منتج أو شيء معيّن مقابل منتج أو شيء آخر، ودولة الإمارات العربية المتحدة شأنها شأن بقية المناطق في العالم تراوح استخدامها للعملات ما بين الإغريقية والرومانية، ثم العملات الإسلامية مع وصول الفتوحات الإسلامية لهذه المنطقة، والتي حملت بعضها اسم القائد الإسلامي المهلب بن أبي صفرة الذي وُلد في مدينة دبا(1).

ومع الانفتاح الاقتصادي لأبناء الإمارات على مناطق العالم، تم الاتصال بالحضارات والشعوب الأخرى سعياً وراء لقمة العيش وتوسيع النشاط التجاري لهم، ونتيجة لذلك حمل تجار الإمارات عملات جديدة لم تكن معروفة من قبل في دولة الإمارات، فكان الريال النمساوي أو ريال ماريا تريزا(2) والمعروف بالريال الفرنسي(3)، ثم الليرة العثمانية، ومن ثم العملات الفارسية التي وصلت إلى الإمارات بحكم النشاط التجاري وقرب الموانئ الفارسية من مناطق الإمارات من باب استخدامها كوحدة نقدية صغيرة كأجزاء لريال ماريا تريزا. ومع الانتداب البريطاني لمنطقة الخليج العربي(4) إثر انحسار الدولة العثمانية، كان من الطبيعي أن يتم تداول عملات جديدة، فكانت الروبية الهندية ثم الروبية الخليجية التي تم تداولها في الإمارات كما في باقي مناطق الخليج العربي الأخرى، حتى شهدت منطقة الخليج بدايات الاستقلال وظهور الدول المستقلة كدولة الكويت وقبلها العراق، وأصبح لهذه الدول الحرية في إصدار عملات تحمل اسمها بعد استقلالها، فكان الريال عملة قطر ودبي في عام ١٩٦٦م، ثم الدينار البحريني الذي تم تداوله في إمارة أبوظبي في عام ١٩٦٥م، واستمر الأمر على هذا الوضع حتى إعلان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في العام

---

* باحث في التراث والتاريخ
Altunaiji1@yahoo.com

١٩٧١م، وإصدار أول عملة باسم درهم الإمارات عام ١٩٧٣م.

الروبية الهندية

وهي من أهم العملات التي تم تداولها في منطقة الخليج العربي ودولة الإمارات، وتنسب كلمة الروبية إلى اللغة السنسكريتية ومعناها الفضة المشغولة، وضربت لأول مرة في عام ١٥٤٢م، وبدأت تأخذ مكانتها في الخليج العربي بعد ازدياد السيطرة البريطانية على المنطقة في أوائل القرن التاسع عشر، وأصبحت الروبية البريطانية - الهندية وحدة الحسابات للمعاملات الحكومية والسجلات الرسمية بمنطقة الخليج العربي[٥].

وكان كل ملك بريطاني يتولى العرش يسك عملة باسمه، فقد سكّ وليم الرابع الذي حكم بريطانيا خلال الفترة ١٨٣٠- ١٨٣٧م عملة باسمه وتبعته الملكة فيكتوريا ١٨٣٧- ١٩٠١م وكانت روبيتها تسمى في الخليج العربي باسم (روبية أم بنت) لوجود صورتها عليها، ثم روبية الملك إدوارد السابع ١٩٠١- ١٩١٠م، وكانت تسمى (أم صلعة)، ثم روبية جورج الخامس ١٩١٠- ١٩٣٦م وكان يطلق عليها اسم (روبية الشايب) لأن صورته على العملة رسمت له وهو مسن، ثم جاءت روبية الملك جورج السادس من ١٩٣٦- ١٩٥٢م وكانت تعرف في منطقة الخليج العربي بـ (روبية الولد).

وتنقسم العملة البريطانية - الهندية إلى عدة أقسام، أكبرها الروبية المصنوعة من الفضة وتنقسم إلى ١٦ آنه، أما الآنه فكانت تصنع من النحاس المخلوط بالنيكل وتنقسم إلى وحدات أصغر تسمى بيزة، وكانت كل آنه تنقسم إلى ٤ بيزات وتنقسم البيزة بدورها إلى وحدات أصغر تسمى اردي، وتتكون كل بيزة من ٣ ارديات وتصنع الاثنتان من النحاس.

الروبية الهندية الخليجية

لقد ظلت الروبية الهندية التي ظهرت بعد استقلال الهند عام ١٩٤٧م كعملة رئيسة تم تداولها في الإمارات حتى سنة ١٩٥٨م حين أعلنت الحكومة الهندية عن عزمها إصدار روبية خاصة بالخليج العربي، فقام البنك الاحتياطي الهندي الذي يمثل السلطة النقدية في الهند آنذاك بإصدار عملة خاصة بمنطقة الخليج، وتم طباعة نماذج جديدة من الأوراق النقدية تختلف في اللون لاستخدامها في هذه المنطقة، وأصدرت الروبية الخليجية بنفس مواصفات الروبية الهندية ونفس سعر الصرف فيما عدا لون الورق المستعمل حيث كان لون الروبية الخليجية أحمر، بينما لون الروبية الهندية أزرق. وقد فضلت الحكومة البريطانية إصدار عملات محلية للإمارات إلا أن الحكومات المحلية لم تشجع إصدار عملات خاصة بها آنذاك، إضافة إلى أن الحكومة الهندية فضلت استخدام عملتها (الروبية) في المنطقة.

وكان لقرار الهند في شأن إصدار روبية خاصة بالخليج وقع سيئ على حكومات منطقة الخليج العربي، لما لهذا القرار من أبعاد سلبية علي العلاقات التجارية والاقتصادية التي تربط منطقة الخليج بالهند لا سيما وأن الروبية الهندية كانت تتمتع بالقوة الاقتصادية.

وكان هدف الهند من وراء الإصدار الحد من عمليات تهريب الذهب التي تتعرض لها الهند، وحماية اقتصاد الهند من عمليات التهريب غير المشروع للعملة في وقت تعاني الخزينة العامة للهند من وضع متردٍ، إلى جانب أن عملية التحويل سوف تتم بدون مشاكل وأنه يحق لأبناء المنطقة من المسافرين إدخال الكمية التي يرغبون فيها من العملة إلى الهند دون قيود،وقد حددت قيمة الروبية الخاصة بالخليج العربي على أساس قيمة الروبية الهندية التي استبدلت عام ١٩٥٩م أي أنها تساوي ١٣ر٣٣ بالنسبة للجنيه الإسترليني أو ما يعادل شلنا وست بنسات للروبية الواحدة في تلك الحقبة.



وقد قدرت قيمة الإصدارات من روبية الخليج بحوالي ٥٠٠ مليون روبية أو ما يعادل ٣٧ر٥ مليون جنيه إسترليني، وفي ١٩٦٦م قامت الحكومة الهندية بتخفيض قيمة الروبية الهندية بنسبة ٣٥٪ ما أدى إلى قيام البنوك في إمارات الساحل بإغلاق أبوابها ريثما يتم الاستيضاح فيما إذا كان التخفيض ينحصر فقط على الروبية الهندية المعمول بها في الهند أم يشمل الروبية الهندية الخاصة بمنطقة الخليج العربي، وجاء الرد بعد عشرة أيام بأن التخفيض يشمل روبية الخليج الهندية ذات اللون الأحمر، مما سبب أضراراً مادية لإمارات الساحل، مثلها مثل بقية إمارات الخليج العربي التي

كانت تستخدم هذه الروبية كعملة لها.

وعلى إثر الانخفاضات المتوالية في الروبية الهندية التي كانت مخصصة لمنطقة الخليج والأضرار التي لحقت بإمارات الساحل جراء ذلك، قامت هذه الإمارات بإصدار عملات خاصة بدول المنطقة فكان ريال قطر ودبي.

ريال قطر ودبي

اختارت إمارتا قطر ودبي إصدار عملة مشتركة خاصة بهما، وشجعهما على ذلك تجربة الكويت والبحرين حيث كانت الكويت أولى الدول في الخليج العربي التي أنشأت نظام نقد وطني مستقلاً في عام ١٩٦١م عندما أصدرت الدينار الكويتي، ليحل محل الروبية في التداول داخل الكويت ولحقت البحرين بالكويت في عام ١٩٦٥م، فأصدرت الدينار البحريني.

وفي ٢١ مارس ١٩٦٦م وقعت كل من قطر ودبي اتفاقية لإصدار عملة موحدة لهما تحت اسم ريال قطر ودبي وبقوة شراء تعادل ١٨٦٦٢١ر٠ غراماً من الذهب الخالص، وكخطوة مؤقتة تم الاتفاق بين الإماراتين على إحلال الريال السعودي محل الروبية في التبادل النقدي الداخلي بينهما إلى حين إصدار العملة الجديدة، وحيث إن الإماراتين قد ضمنتا في اتفاقيتهما مع الهند بنداً يقضي بأن إحلال أية عملة محل الروبية لا بد أن يتم بناءً على السعر السائد قبل أي تخفيض، فقد تم إحلال الريال السعودي محل الروبية على أساس أن ١٠٠ ريال سعودي تساوي ٥ر١٠٦ روبية الخليج، وعليه تم تحويل ما قيمته ٧ر٦٨ مليون روبية في قطر و٣ر٤١ مليون روبية في دبي والإمارات الشمالية إلى الريالات السعودية، بحيث سحب ما قيمته ٦ر٢٩ مليون روبية من دبي وحدها والباقي من الإمارات الشمالية وقدرت بـ ٧ر١١ مليون روبية[٦].

الدينار البحريني في أبوظبي

إثر الانخفاض في الروبية الهندية عام ١٩٦٦م، وقيام بعض دول الخليج العربي بإصدار عملات خاصة بها، أصبحت إمارة أبوظبي هي الأخرى أمام خيارين: إما إصدار عملة خاصة بها أو الاعتماد على إحدى العملات الموجودة في المنطقة، وقد ارتأت اعتماد الدينار البحريني كحل مؤقت وذلك في يوليو ١٩٦٦م، وكان قد صدر الدينار البحريني في العام ١٩٦٥م يساوي ١ر٢ دولاراً أمريكياً.

وقد مثل أبوظبي في مجلس نقد البحرين فرع البنك الشرقي المحدود الذي يتولى تدبير النقد للبنوك العاملة في أبوظبي، بعد دفع القيمة الموازية بالإسترليني لحساب مجلس نقد البحرين لدى البنك المركزي في لندن، حيث تحتسب عمولة قدرها ٨ر٠٪ على المبلغ الذي يتم تدبيره وذلك لتغطية نفقات طبع الأوراق النقدية وبعض الأمور الأخرى، كما أن عمليات استرداد النقود تتم بالطريقة ذاتها، إذ يقوم كل من يرغب في استرداد النقود بإرجاعها بالدينار البحريني إلى البنك الشرقي لحساب مجلس نقد البحرين الذي يقوم بدوره بتحويل الغطاء بالجنيه الإسترليني لحساب البنك المسترد، وتحسب في هذه الحالة أيضاً عمولة مقدارها ٨ر٠٪ لصالح نقد البحرين، وهذا معناه أن مجلس نقد البحرين يستوفي العمولة مرتين، عند الإصدار وعند الاسترداد، ولا تشارك أبوظبي في الأرباح التي يحصل عليها مجلس نقد البحرين نتيجة لإصدار الدينار البحريني والتعامل به، بالرغم من أن المتداول من الدينار البحريني في أبوظبي يفوق كثيراً المتداول في البحرين نفسها[٧].

البنوك

ظهرت البنوك في منطقة إمارات الساحل كنتيجة حتمية للتطور والتحول الاقتصادي خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وعودة الانتعاش للتجارة مع بداية ظهور ملامح اكتشاف النفط، لذا كان وجود البنوك أمراً محتماً لتسهيل ومواكبة ذلك التحول، وأول ظهور للبنوك في المنطقة كان لبنك إيران الإمبراطوري حيث كان لتواجده قصة جاءت فصولها إثر منافسة كبيرة مع مصرف الهند والخليج حول إنشاء فرع في إمارة دبي بعد الحرب العالمية الثانية، حيث وجّه كلا المصرفين طلبهما إلى وزير شؤون الهند والذي بدوره رفع مذكرة إلى المقيم السياسي في الخليج، ليأخذ رأيه في هذا الأمر، وجاء رأي المقيم السياسي من مدينة بوشهر على ضفاف الساحل الإيراني للخليج العربي، بدعم إنشاء فرع لبنك إيران على حساب بنك الهند في دبي ولأسباب كان من أهمها:

١- إنّس بنك إيران على علم ودراية بالأمور التجارية في المنطقة.

٢- نجاح البنك في كل من البحرين والكويت.

٣- للبنك عدة فروع منتشرة في أنحاء إمارات الخليج.

٤- موظفو البنك مؤهلون بالخبرة السياسية اللازمة للتعامل مع إمارات المنطقة.

أول بنك في دبي

ثم جاء التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية لإنشاء بنك إيران الإمبراطوري بين حاكم إمارة دبي الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم (١٩١٢- ١٩٥٨م) والسيد اف. اج. جونسن الممثل المفوض للبنك في يوم ٥ يناير ١٩٤٦م. وكانت مدة الامتياز بين البنك وحاكم الإمارة عشرين عاماً، ونصت على ألاّ يأذن حاكم دبي بفتح فرع لأي بنك آخر خلال مدة الامتياز، ويحق للبنك الانسحاب من دبي في أي وقت، وكانت إيجار قطعة أرض البنك مائة روبية في الشهر وفي نهاية مدة الإيجار يسلم بنك إيران المباني لحاكم إمارة دبي.

ولقد اختار البنك إمارة دبي لما تمثله من ثقل تجاري متميز في المنطقة آنذاك بالرغم من أن اكتشاف النفط بالإمارة قد جاء متأخراً نوعاً ما عن باقي إمارات الخليج العربي (الكويت والبحرين وقطر وأبوظبي) في عام ١٩٦٩م، إلى جانب تركز نشاطه في دبي مقارنة بالإمارات الأخرى لامتياز دبي الجغرافي والمؤسسي وسياساتها التشجيعية للتجارة فضلاً عن كون دبي تمثل مركز النشاط التجاري في منطقة الخليج العربي ولا سيما تجارة الترانزيت. وفي مرحلة لاحقة تغير اسم البنك من بنك إيران الإمبراطوري إلى البنك البريطاني للشرق الأوسط(٨).

ولقد لعب البنك البريطاني للشرق الأوسط دوراً بارزاً في تجارة دبي، وكان لارتباط البنك الوثيق بحاكم دبي الأثر الكبير والعامل الأهم في نمو هذا البنك، ومن العوامل التي ساعدت أيضاً على نمو البنك أن الحكومة الهندية الجديدة والمستقلة أصدرت في أغسطس ١٩٤٧م قانوناً جديداً خاصاً بالعملات الأجنبية والذي تطلب فيه من تجار الخليج أن يودعوا قيمة البضائع التي يستوردونها من الهند من خلال بنوك مسموح لها ببيع العملات الأجنبية للهند.

ودأب فرع البنك البريطاني للشرق الأوسط في إمارة دبي، على تقديم تقارير حول نشاطاته كل عام إلى الضابط السياسي في الشارقة، حيث يوضح هذا التقرير في جزء منه النشاط التجاري في دبي، باعتبارها أهم المراكز التجارية في الخليج العربي، مما يساعد المسؤولين البريطانيين على مراقبة النشاط التجاري في المنطقة.

وتشير الودائع لدى البنك إلى مدى تطوره في إمارة دبي، إذ بلغ حجم الودائع في مارس ١٩٤٧م نحو ٨١٣٤٦٢ روبية هندية أي حوالي ٦١٠٢٤ جنيه إسترليني في حين سجل حجم الودائع في عام ١٩٥٠م نحو ٦ر٢ مليون روبية أي ما يعادل ١٩٥٠٤٩ جنيه إسترليني، كما بلغ في العام ١٩٦٠م نحو ٤ر١٢ مليون روبية هندية، وكانت قروض البنك البريطاني للشرق الأوسط عام ١٩٥٠ لإمارات الساحل حوالي ٠٠٠ر٧٦٠م روبية، وأصبحت عام ١٩٦٠م ٤ر٧ مليون روبية هندية.

البنوك في الشارقة

بعد فشل بنك الهند والخليج في افتتاح فرع له في إمارة دبي جاءت المحاولة الثانية في إمارة الشارقة، حيث عرض على حاكم الإمارة الشيخ سلطان بن صقر القاسمي (١٩٦١- ١٩٦٥م) طلب افتتاح فرع للبنك مع تعهد بدفع عشرين في المائة من صافي الأرباح للحاكم، وإذا حدثت تطورات إيجابية في الأرباح ارتفعت النسبة إلى خمسة وعشرين في المائة ومدة الامتياز عشر سنوات، وعندما يقرر البنك إنهاء أعماله يقوم بإخطار الحاكم بذلك قبل تاريخ الانتهاء بستة أشهر، لكن المقيم السياسي عمل على إفشال هذه المحاولة كسابقتها في إمارة دبي.

وفي ٥ فبراير ١٩٥٣م عقد البنك البريطاني للشرق الأوسط اتفاقية مع حاكم إمارة الشارقة الشيخ صقر بن سلطان القاسمي لافتتاح فرع للبنك بالإمارة، وقد تم ذلك بالفعل في مارس ١٩٥٣م، كما تم توقيع عقد الإيجار لمبنى البنك لمدة خمس



سنوات مع خيار بالتجديد لمدة ثلاث سنوات أخرى ببدل إيجار قدره ١٦٠٠ روبية في السنة، وبحيث يفتح الفرع يومين في الأسبوع في البداية ومع زيادة التعاملات يصبح باستطاعة البنك أن يفتح ستة أيام في الأسبوع.

وسعى البنك لافتتاح فروع أخرى وبالأخص في الشارقة، لقربها من دبي حيث النشاط التجاري، ولكون الشارقة مقراً للمحطة (المطار) البريطاني في إمارات الساحل في تلك الحقبة، إلى جانب وجود مقر المعتمد البريطاني فيها قبل انتقاله إلى إمارة دبي في عام ١٩٥٤م.

كما افتتح البنك الشرقي فرعاً له في إمارة الشارقة بحلول العام ١٩٥٧م، ليكون بذلك ثاني بنك في الإمارة، ولقد كانت للشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة محاولة للحصول على قرض من البنك الشرقي بهدف توفير تمويل لإمداد الشارقة بالمياه خلال حقبة الستينات من القرن المنصرم لكن المحاولة لم يكتب لها النجاح[٩].

البنك البريطاني في أبوظبي

استطاع البنك البريطاني للشرق الأوسط افتتاح فرع ثالث له في إمارات الساحل وذلك في إمارة أبوظبي عام ١٩٥٨م، نتيجة الاكتشاف الفعلي للنفط في الإمارة وافتتاح مكتب للمعتمد البريطاني بالإمارة إلى جانب ظهور انتعاش اقتصادي أدى إلى جلب رجال الأعمال الأجانب إلى أبوظبي مما حتم وجود بنك يجاري هذا التحول.

كما استطاع البنك الشرقي هو الآخر أن يفتتح له فرعاً في إمارة أبوظبي خلال العام ١٩٦٢م، وكان مقره خلف المبنى القديم لبلدية أبوظبي وبجوار منافسه التقليدي البنك البريطاني للشرق الأوسط[١٠]، وقد نجح البنك الشرقي في دفع ا لشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي (١٩٢٨-١٩٦٦م) إلى إيداع مبلغ من المال لديه، حيث أشار الشيخ شخبوط إلى أنه سوف يودع مبالغ أخرى شريطة أن تكون تعاملات البنك في مستوى راقٍ مع الحاكم، وكان الشيخ شخبوط يهدف من وراء ذلك إلى الارتقاء بالعمل البنكي بالإمارة وإذكاء روح المنافسة الشريفة. وإلى جانب البنك البريطاني والبنك الشرقي نجح البنك العثماني أيضاً في إيجاد موطئ قدم له في أبوظبي ١٩٦٢م[١١].

وعن البنك البريطاني للشرق الأوسط في أبوظبي يقول السيد محمد عبد الجليل الفهيم رجل الأعمال المعروف في كتابه (من المحل إلى الغنى.. قصة أبوظبي): «عندما فتح والدي محلاً أصبح أكثر إدراكاً لأهمية النقل الحديث وبدأ بالتركيز على السيارات وقطع غيار وخدمة السيارات، وعندما توسع عمله خلال عدة أشهر توجه إلى البنك البريطاني للشرق الأوسط في أبوظبي وطلب مساعدتهم في تطوير شراكة مع موردي قطع غيار السيارات في بريطانيا، كانت رغبته هي التعامل مباشرة مع الصانعين بدلاً من أن يكون ذلك من خلال وسطاء، وأخبره البنك أن أفضل طريقة لتحقيق هدفه هي زيارة الصانعين شخصياً وعرض اقتراحه عليهم، لذا فقد رافقه سعيد ناصر المدير المساعد للحسابات التجارية في البنك البريطاني للشرق الأوسط كمترجم، عندما سافر إلى إنكلترا خلال صيف العام ١٩٦١م، وبعد رحلته قرر أن يستورد شاحنات بدفورد المجددة من إنكلترا إلى أبوظبي، وتم شراء أول شحنة من أربع شاحنات وجرى بيعها قبل الوصول إلى أبوظبي».

إلى جانب دور البنوك في العمل المصرفي فقد عمدت أبوظبي إلى الاستعانة بالبنكين البريطاني والعثماني لبيع الطوابع وتوزيعها، فكان عنوان كل السكان هو عنوان أحد البنكين، تأتي الرسائل باسم المرسل إليه إلى البنك، وفي صباح كل يوم يقوم اثنان من موظفي البنكين بتوزيع الرسائل بالمناداة على أسماء أصحابها، وذلك قبل ظهور خدمات البريد في الإمارة عام ١٩٦٣م.

البنوك الوطنية

ظهر بنك دبي الوطني المحدود كأول مؤسسة وطنية مصرفية في الإمارات وذلك حين قرر مجموعة من تجار دبي في عام ١٩٦٢م المبادرة بإنشاء مصرف وطني، الأمر الذي اعتبر صدمة لإدارة البنك البريطاني للشرق الأوسط في الإمارات التي لم تستطع منع ذلك بسبب الظروف

السياسية، ورغبتها بالحفاظ على علاقة جيدة مع حاكم الإمارة.

ويُعَدُّ بنك دبي الوطني المحدود هو أول بنك محلي تم تأسيسه في دولة الإمارات بموجب مرسوم أميري صادر من الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي (١٩٥٨- ١٩٩٠م)، لمجموعة من تجار دبي البارزين، وبدأ عملياته في دبي يوم ٩ مايو ١٩٦٣م وكان المؤسسون للبنك هم السيد سلطان علي العويس الذي تولى رئاسة مجلس إدارة البنك منذ تأسيسه حتى وفاته، والسيد ناصر عبد اللطيف السركال نائباً للرئيس، والسادة محمد سعيد الملا ومير هاشم خوري ويوسف حبيب ومحمد مهدي التاجر أعضاء مجلس الإدارة.

كما بدأ البنك أعماله برأسمال مدفوع قدرة ١٣٫٥٠٠٫٠٠٠ روبية ومع بداية خدماته المصرفية افتتح البنك عدة فروع لمواكبة الازدهار الاقتصادي ووفرة السيولة، فكان أول الفروع بمنطقة العبرة في بردبي عام ١٩٦٣م، وامتدت نشاطاته إلى أبوظبي حيث افتتح فرعه فيها في يونيو ١٩٦٨م، ثم في مارس من عام ١٩٦٩م حيث افتتح البنك فرعه الأول بإمارة أم القيوين.

بنك أبوظبي الوطني

وفي أبوظبي ونتيجة لما شهدته من تطور كبير ومع ازدياد إيرادات النفط وتطور الحركة المصرفية بالإمارة، كان لا بد من إنشاء مصرف وبنك وطني، فكان تأسيس بنك أبوظبي الوطني في عام ١٩٦٨م أي بعد عامين من تولي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «رحمه الله» مقاليد الحاكم في إمارة أبوظبي، وكان أول مجلس إدارة للبنك برئاسة السيد خليفة بن يوسف والسيد أحمد خليفة السويدي ممثلاً لحكومة أبوظبي وعضوية كل من السادة أحمد بن محمد المسعود وعبد الجليل محمد عبد الجليل وخلف العتيبة وهامل بن خادم الغيث والسيد محمد علي شلبي مديراً تنفيذياً. ■

الهوامش:

١) مدينة على الساحل الشرقي لدولة الإمارات.
٢) ملكة المجر والنمسا، وقد سكت هذه العملة عام ١٧٨٠م.
٣) الريال الفرنسي يساوي مائة بيزة.
٤) منذ ظهور شركة الهند البريطانية الشرقية في عام ١٦٠٠م، في حين أصبح لبريطانيا موطئ قدم في إمارات الساحل منذ أن نفذت الحملة على القواسم عام ١٨١٩م.
٥) كما استخدمت إمارات الساحل أيضاً بيزة برغش التي سكت في عهد السلطان برغش بن سعيد بن سلطان الذي حكم عمان وزنجبار في حوالي العام ١٨٧٨م.
٦) قدرت القيمة النقدية المتداولة في دبي والإمارات الشمالية عام ١٩٦٦م بنحو ٤١٫٣ مليون روبية في حين كانت في نفس الفترة في أبوظبي نحو ١٨٫٨ مليون روبية هندية.
٧) حيث قدرت العملات المتداولة في البحرين عام ١٩٦٨م بنحو ٧٫٣ مليون دينار، بينما كانت وفي نفس الفترة في أبوظبي تقدر بـ ٩٫٦ مليون دينار.
٨) افتتح البنك البريطاني للشرق الأوسط فرعه في الكويت عام ١٩٤١م، وفي البحرين ١٩٤٥م، وفي مسقط ١٩٤٨م.
٩) طلب الشيخ صقر الحصول على ٣٠٠٫٠٠٠ روبية هندية لجلب المياه من الذيد لإمارة الشارقة، ولكن التدخل البريطاني حال دون نجاح مسعاه.
١٠) وهو المكان الكائن حالياً بالقرب من برج الساعة في أبوظبي.
١١) كان البنك الشرقي والبنك العثماني مؤسستين ماليتين تتبعان التاج البريطاني ومقرهما في لندن.

المراجع:

١) عبد القوي فهمي محمد: مشيخات الساحل العماني ١٨٩٢- ١٩٥٢م، رسالة دكتوراه غير منشورة، ١٩٨٨م.
٢) مانع سعيد العتيبة: اقتصادية أبوظبي قديماً، ١٩٧١م.
٣) محمد فارس الفارس: الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل.. دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً ١٨٦٢- ١٩٦٥م، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٠م.
٤) محمد مرسي عبد الله: تاريخ الإمارات العربية المتحدة.. مختارات من أهم الوثائق البريطانية ١٧٩٧- ١٩٦٥م، مركز لندن للدراسات العربية ١٩٩٦م.
٥) ناصر علي الباخشي: سياسة بريطانيا تجاه إمارات الساحل المهادن ١٩٣٩- ١٩٤٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٩٥م.
٦) فاطمة حسن الصايغ: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (٢) المجلد (١٥) أكتوبر ١٩٩٩م.
٧) نجيب عبد الله الشامسي: اقتصاديات الإمارات قبل ١٩٧١، ١٩٩٥م.
٨) نجيب عبد الله الشامسي: النقود في الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٩٩٤م.
٩) نورة محمد القاسمي: الوجود الهندي في الخليج العربي، ١٨٢٠- ١٩٤٧م، دائرة الثقافة والإعلام الشارقة ٢٠٠٠م.
١٠) شركة نفط أبوظبي المحدودة: تاريخ النقود في شبه الجزيرة العربية، تقرير الشركة السنوي لعام ١٩٧٧م، أبوظبي.
١١) البيان: دبي ٣ مارس ٢٠٠٢م.

شهر مايو المقبل

عدد خاص عن

المخطوطات

كنوز عربية وإسلامية على وشك الضياع

كيف نستعيد المفقود..

وكيف نحمي الموجود؟

دعوة للكتابة

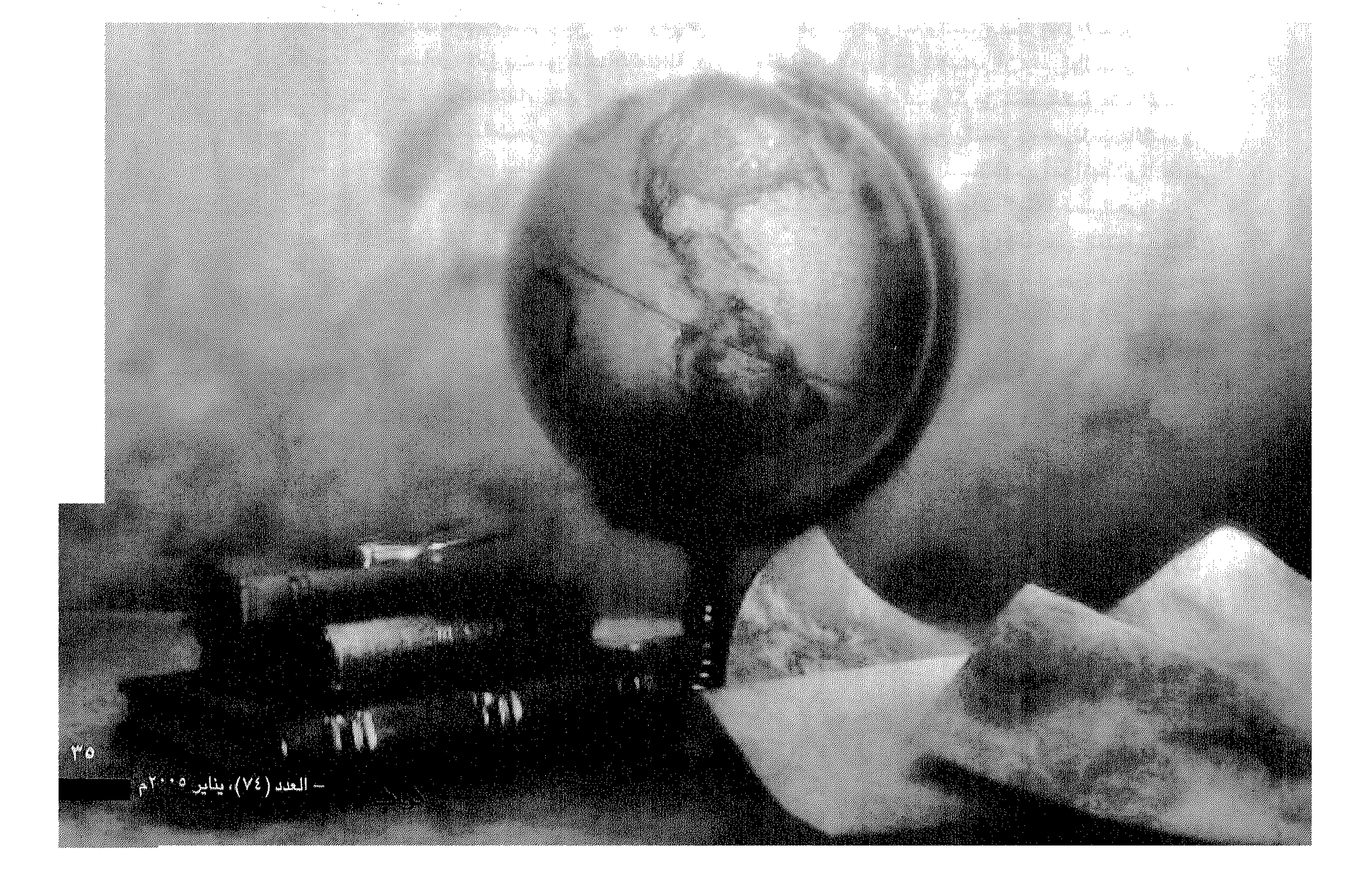
التقويم
في التراث العربي والإسلامي

■ صلاح عبد الستار الشهاوي

التقويم كلمة عربية وتعني: تعديل الاعوجاج وتنظيمه وإعادته إلى مجراه وتشكيله وتنسيقه وترتيبه، والتقويم: الجداول التي تحسب الزمن وتقسمه إلى سنوات وشهور وأسابيع وأيام وساعات ودقائق. وأساس التقويم هو التاريخ[1]. والتاريخ هو المراحل المتتابعة للحياة، والتأريخ هو الوسيلة لتسجيل أحداث تلك المراحل[2] وللتقويم مكانة مهمة بين العلوم والحوادث التي تتعلق بالتاريخ تحدد الأعياد والأيام المهمة والدورة السنوية دائماً بمساعدة التقاويم.

ولا يعرف بالضبط المكان أو الزمان الذي وضع فيه أول تقويم، إلا أننا نجد أنه استخدم في كل بلد تقويم مختلف في فترات زمنية مختلفة، وكانت هناك تقاويم خاصة بالمصريين القدامى واليونانيين والرومان والسومريين والصينيين والهنود والأتراك. تستند معظم هذه التقاويم على حركة الشمس والقمر، كما كان هناك تقاويم نظمت على أساس الحوادث الطبيعية لأن العادة أن تتخذ حادثة مهمة - بداية التاريخ[3].

كان العرب قبل الإسلام كما كانوا في العصور التاريخية الأولى يتذكرون السنوات باسم الأحداث المهمة، وعليه فقد قبلوا بناء الكعبة بداية للتاريخ، وجاءت الأحداث تترى فأرّخوا بها واستمرت هذه



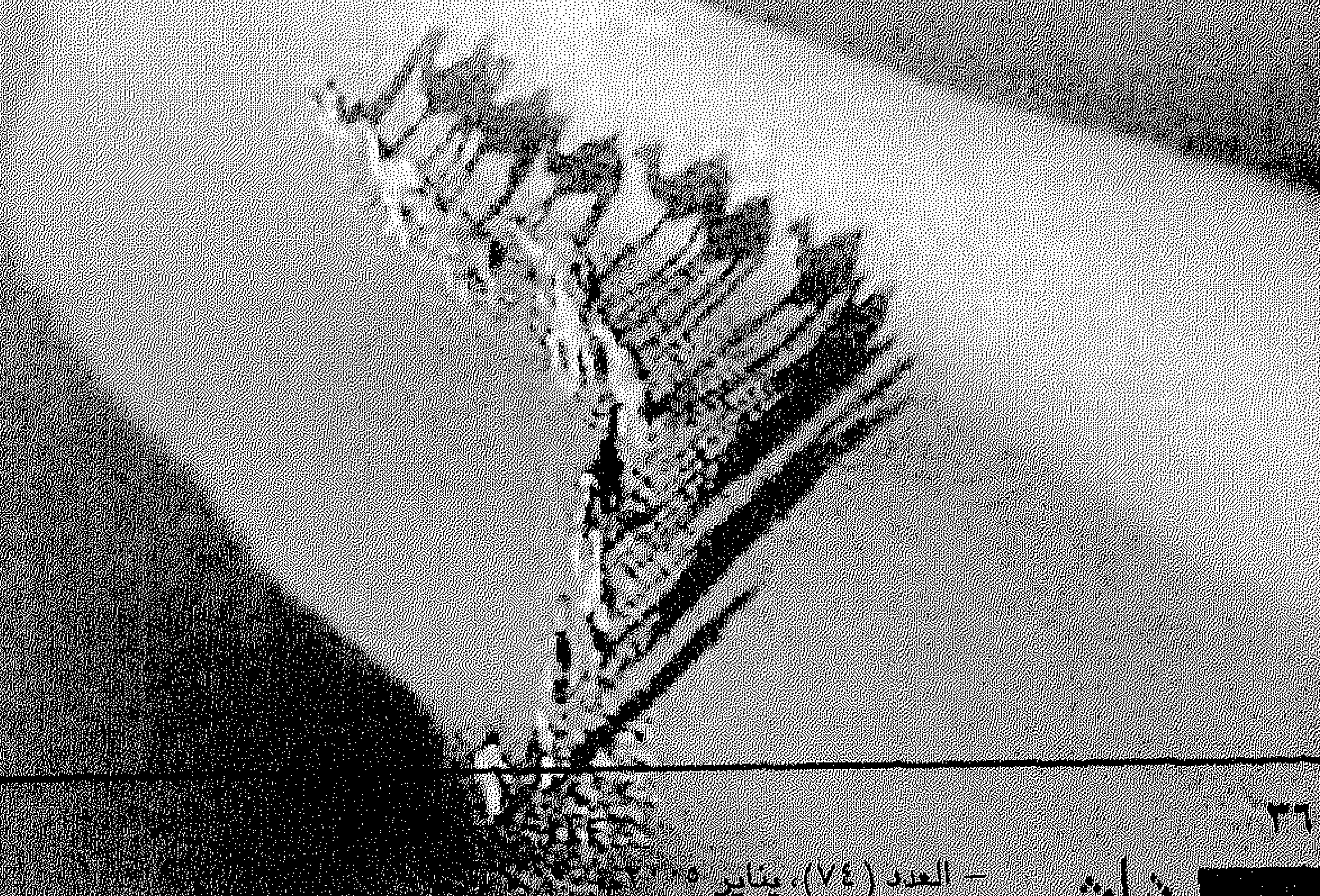
الحالة بعد انتشار الإسلام بفترة فأطلقوا على السنة التي أُذن فيها للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة من مكة إلى المدينة (سنة الأمر) وبالسنة التي حج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع (سنة الوداع)[٤]. وبذلك لم يكن هناك تقويم محدد للعرب في الجاهلية، ويعتقد أنه كانت لكل قبيلة سنوات خاصة بها تسميها بأهم أحداثها، فهناك قبائل عاصرت انهيار سد مارب في اليمن (نحو ١٢٠ق.م)، فكانت تؤرخ بذلك العام، وهناك قبائل أرّخت بعام الفيل (٥٧٠م) وهو العام المشهور الذي غزا فيه أبرهة الحبشي الكعبة، ومن أشهر القبائل التي أرخت بهذا الحدث قريش التي وقع في أرضها الحدث. إلا أن الشيء الملاحظ عند قبائل العرب أنها اتخذت الأشهر القمرية في تعاملها، وقد وضعت لها أسماء تحمل دلالة معينة كدلالة على المناخ السائد وقت التسمية، ودلالة أخرى على أشهر العبادة، وهناك دلالة على أشهر خاصة بالحرب والسلم، أما أسماء الأشهر الحالية لدينا فقد جاءت من العرب المستعربة، وقيل إن الذي سمّاها هو كلاب بن مرة، وقد جاءت هذه الأسماء على هذا النحو، الشهر المحرم: سمي بذلك لتحريم العرب القتال فيه، شهر صفر: سمي بذلك لأن العرب كانوا يغيرون على بلاد يقال لها الصفرية، شهر ربيع الأول: سمي بذلك لمجيء وقت الربيع في ذلك الشهر، شهر ربيع الآخر، وهو من ذلك الشهر عند وضع الأسماء، شهر جمادى الآخر: قيل لتجمد الماء في ذلك الشهر، شهر رجب: ويعني التعظيم وكان يكف الناس فيه عن القتال وكانت قبيلة مضر من أكثر الناس تعظيماً لذلك الشهر فقيل رجب مضر، وكان يطلق عليه الفرد لمجيئه منفرداً عن الأشهر الحرم الأخرى ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ويطلق عليها السرد. شهر شعبان: سمي بذلك نتيجة تشعب (تفرق) القبائل فيه للغزو أو العودة من الغزو، وشهر رمضان: وهو من الرمضاء أي شدة الحر لوقوعه في شهر حار جداً. شهر شوال: وهو الشهر الذي تشول فيه الإبل طلباً للإخصاب، شهر ذي القعدة: وهو القعود عن القتال لأنه من الأشهر الحرم، شهر ذي الحجة: وهو الشهر الذي كانت تقصد العرب فيه الكعبة للحج[٥].

أما العرب العاربة فقد كانت تسمي هذه الأشهر بأسماء أخرى هي: المؤتر (يقابل المحرم)، وناجر، وخوان، وبصان، وختم، وزياد، والأصم، وعادل، وناتق، ووغل، وهواغ، وبرك.

كما وضع العرب أسماء لأيام الأسبوع كما يلي: الأحد (أول يوم) وأهون وجبارد ودبار ومؤنس وعروبة وشيار بدلاً من السبت[٦]. كذلك استخدمت بعض القبائل العربية التقويم الشمسي بشهور قمرية محاولة بذلك المحافظة على ثبات الشهور حسب الأحوال الموسمية للطقس، فقد كانوا يرغبون في تثبيت وقت الحج والتجارة ليأتي في وقت يلائمهم وبشكل ثابت كل عام. ولما لم يكن ذلك ممكناً نتيجة اختلاف السنة الشمسية عن القمرية (يوجد فرق ١١ يوماً) بين التقويم الشمسي والتقويم القمري، ولأن ذلك يؤدي إلى خلط مواسم الزراعة والبيع والشراء والأشهر الحرم فقد اعتاد العرب قبل الإسلام أن يضيفوا شهراً فارغاً كما لجؤوا إلى ما يسمى بالنسيء وهو تأخير الشهور إلى أوقاتها وذلك جلباً لمصالحهم وأهوائهم، ولما جاء الإسلام لاحقاً حرّم هذه العادة[٧]. كما قسم العرب أيام السنة حسب التقويم القمري ولغرض السهولة فقد جعلوا الأشهر الفردية ذات أيام زوجية والأشهر الزوجية ذات أيام فردية وبذلك فقد اعتبر شهر محرم (٣٠) يوماً وشهر صفر (٢٩) يوماً وربيع الأول (٣٠) يوماً.. وهكذا[٨].

التقويم الهجري

جاء الإسلام فيما جاء به من الخير للبشرية بتحريم النسيء الذي كانت تمارسه في الجاهلية، قال تعالى: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يُضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله﴾ (التوبة: ٣٧). فبذلك التحريم وضع حد لثبات السنين على نسق واحد، وجاء قوله



تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (التوبة: ٣٦). لتنظيم أصول التقويم في الإسلام. والآية: ﴿ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ (البقرة: ١٨٩) لتنظيم وحدة مقياس الزمن ولأن الشهور القمرية تلائم هذا الأمر الإلهي قبلت كما هي بعد أن أضيف إليها من التعديل ما يلائم نظم الإسلام وقوانينه[٩]. وقد استعمل المسلمون على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الأشهر القمرية، أما السنوات فكانت حسب أهم أحداثها لذلك كانت أسماء السنوات العشر الأولى من قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم هي:

عام الإذن: وهو العام الذي صدر الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة.

عام التمحيص: وهو العام الذي محص الله فيه المؤمنين بعد غزوة أحد.

عام الترفئة: وهو العام الذي حدث في إجلاء اليهود عن المدينة المنورة.

عام الزلزال: وهو العام الذي حصلت فيه غزوة الأحزاب وزلزل أهل الإيمان.

عام الاستئناس: وهو العام الذي وقعت فيه بيعة الرضوان قبل فتح مكة.

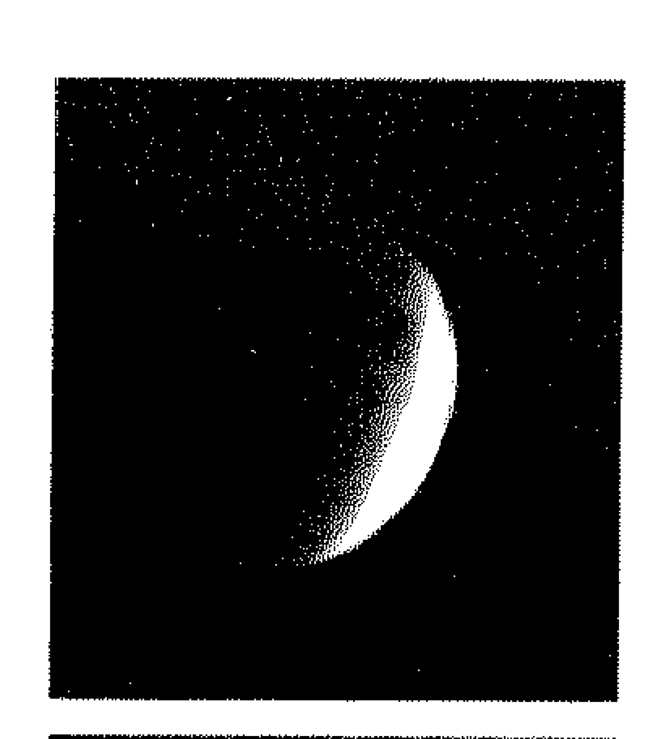
عام الاستغلاب: وهو العام الذي وقعت فيه غزوة خيبر.

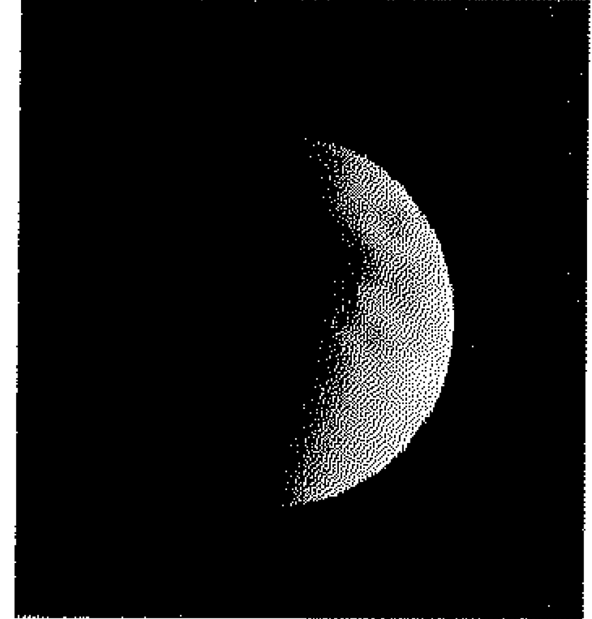
عام الاستواء: وهو العام الذي فتح الله فيه على المسلمين مكة.

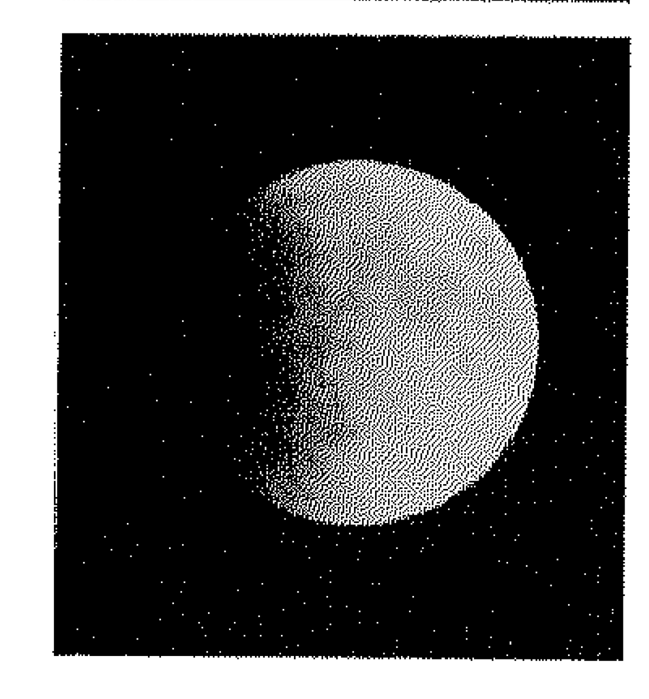
عام البراءة: وهو العام الذي نزلت فيه سورة براءة.

عام الوداع: وهو العام الذي حج فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع المشهورة[١٠].

وبقي المسلمون على تلك الحالة في تسمية السنوات حتى وقعت حادثة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نحو عام ١٧هـ إذ بعث والي البصرة أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه يخبره عن حيرته في العمل بما يرد عليه من كتب أمير المؤمنين قائلاً: «إنه يأتينا من أمير المؤمنين كتب فلا ندري على أي نعمل ولقد قرأنا كتاباً محله شعبان فلا ندري أهو الذي نحن فيه أم الماضي»، فبادر عمر رضي الله عنه إلى جمع الصحابة حين أدرك ضرورة وضع التاريخ الإسلامي فتبادلوا الرأي فيما يتخذونه تاريخاً إسلامياً ولم يلتفتوا إلى التواريخ السابقة وإن كان منها ما هو لأهل الديانات السماوية بعد أن جالوا فيها لكنهم تذاكروا فيما يتخذ مبدأ للتاريخ الإسلامي من الإسلام، فكان رأي بعض الصحابة أن يؤرخ من ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهم من رأى أن تكون البداية من سنة البعثة، ورأى آخرون أن تكون البداية من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جاء رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبدأ التقويم من عام الهجرة وهو الاقتراح الذي استحسنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأيده بقوله: «إن الهجرة فرقت بين الحق والباطل» واقترح أن يكون مبدأ السنة شهر المحرم لأنه منصرف الناس عن حجهم[١١].







وقد عقد ذلك الاجتماع بتاريخ ٢٠ جمادى الآخر سنة ١٧ هجرية، واتفق أن يكون غرة محرم سنة ١ هجرية الموافق ليوم الجمعة ١٦ تموز / يوليو ٦٢٢م بداية للتاريخ الهجري في حين كانت الهجرة يوم الاثنين ربيع الأول الموافق ٢٤ أيلول / سبتمبر ٦٢٢م، وقد وضع العلماء المسلمون قواعد لهذا التقويم الذي كتب له الانتشار في العالم الإسلامي حتى عصرنا. فقد وجد العلماء أن السنة القمرية تبلغ ٣٥٦،٣٦٦٦٦ يوماً وهي مكونة من اثني عشر شهراً يبلغ طول كل شهر ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٢،٨ ثانية أي أن الشهر نحو ٢٩،٥ يوماً وللتخلص من قيمة الكسور في الشهر فقد اصطلح أن تكون الأشهر الفردية (الأول، الثالث.. إلخ)، أشهراً كاملة طولها ٣٠ يوماً، أما الأشهر الزوجية فهي أشهر ناقصة بطول ٢٩ يوماً، أما مشكلة الكسور الباقية التي لا يمكن إهمالها فهي تبلغ خلال عام واحد ٨ ساعات و٤٨ دقيقة و٣٣٫٦ ثانية أي ما يعادل يوماً خلال ٣٠ سنة! ولعلاج ذلك الفرق قسم العلماء دورة التقويم الهجري إلى ٣٠ سنة يتم إضافة ١١ يوماً إلى ١١ سنة من الدورة الكاملة (٣٠ سنة) وتسمى هذه السنوات بالسنوات الكبيسة إذ يضاف على شهر ذي الحجة يوم إضافي فيصبح ٣٠

يوماً، أما باقي السنوات الـ١٩ من الدورة الكاملة (٣٠ سنة) فتبقى سنوات عادية من دون أي إضافة. اصطلح معرفة السنة الكبيسة في السنة البسيطة في دورة التقويم الهجري الكاملة (٣٠ سنة) على أن تكون السنوات التي تحمل الأرقام التالية: ٢، ٥، ٧، ١٠، ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٩ سنوات كبيسة!! وهناك طريقة جد يسيرة لمعرفة السنة الكبيسة وهي أن يتم قسمة السنة المطلوبة معرفتها على الرقم ٣ ثم ينظر للباقي خارج القسمة، فإن قابل ذلك الرقم أحد الأرقام المذكورة آنفاً كان ذلك العام سنة كبيسة وإلا فهي سنة بسيطة[١٢]. وفي التقويم الهجري تحدد بداية كل شهر وعدد أيامه من قبل علماء الفلك المسلمين بالمشاهدة الخاصة ويسمى ذلك باجتماع النيرين الذي يعني عدم تواجد الشمس والقمر على نفس الاستقامة ويحصل ذلك ١٢ مرة في السنة، وعلى هذا يتم تحديد بداية الشهر القمري. وفي حالة اجتماع النيرين يمكن رؤية الهلال في السماء وفي حالة ما إذا كان القمر يميل نحو شمال الشمس يكون الشهر العربي ٢٩ يوماً، أما إذا كان القمر يميل نحو جنوب الشمس فلا يمكن رؤية الهلال في تلك الليلة ولذلك يعتبر الشهر موضع البحث ٣٠ يوماً ذلك لأن اليوم اللاحق لا يمكن أن يكون بداية الشهر الجديد، ويرى علماء الفلك المسلمين أنه إذا حدث اجتماع النيرين قبل الزوال (الظهر) أمكن رؤية الهلال في ليلة ذلك اليوم ولغرض التأكد من ذلك تقارن المجموعات الشمسية والقمرية - إذا سبقت مجموعة القمر مجموعة الشمس نصف ساعة اعتبر اليوم التالي غرة الشهر الجديد وتحدد الأيام الأول من الأشهر العربية بهذه الطريقة[١٣]، ويلاحظ في التقويم الهجري أنه ذو خصوصية مرتبطة بالدين الإسلامي فهو يؤرخ للحدث الأهم في الدعوة الإسلامية (حادثة الهجرة)، كما أنه جاء مرتبطاً بأمور العبادة كالصيام والحج والزكاة، وجاء هذا التقويم مرتبطاً بأمور اجتماعية كمواقيت العدة للنساء وهي الفترة التي تنتظر فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها وبداية الشهور تكون مرتبطة برؤية القمر وليست مرتبطة بسلطان وهي من السهولة بحيث يمكن أن يعرفها الإنسان من دون جهد أو عناء، وجاء هذا التقويم أيضاً بأمر فريد. إذ أنه يعد بداية اليوم من غروب الشمس وليس من شروقها كما هو الحال في التقويم الشمسي[١٤]. كما أنه التقويم الذي ينظم الأعياد الدينية والأيام والليالي المقدسة تغير مواقعها من التقويم الميلادي ولهذا فلا تتوالى بشكل منتظم وتكون عرضة للنسيان ولغرض التذكير فإننا نسجل الأيام والليالي المقدسة حسب التقويم الهجري.

الأشهر

١- محرم
٢- ربيع الأول
٣- رجب
٤- شعبان
٥- رمضان
٦- شوال
٧- ذو الحجة

الأيام والليالي المقدسة

* اليوم الأول منه بداية سنة التقويم الهجري.
* اليوم العاشر منه يوم عاشوراء.
* اليوم الثاني عشر منه عيد المولد النبوي الشريف.
* أول ليلة منه ليلة الرغائب.
* ليلة ٢٦-٢٧ ليلة الإسراء والمعراج.
* ليلة ١٤-١٥ ليلة تحول القبلة.
* يبدأ الصوم من اليوم الأول. * ليلة ٢٧ ليلة القدر.
* الأيام: الأول، والثاني، والثالث: عيد الفطر.
* الأيام ١٠-١٣: عيد الأضحى المبارك.

ملحق

تفسير قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيّم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (التوبة: ٣٦).

ذكر ابن كثير رحمه الله ما نصه: «عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته فقال: ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»[١].

ماهية الشهور القمرية

يعرف الشهر لغة بأنه مدة مشهورة بإهلال الهلال، وقيل الشهر القمري سمي بذلك لشهرته وظهوره، وقيل هو العدد المعروف من الأيام يشهر بالقمر وفيه علامة ابتدائه وانتهائه والجمع أشهر وشهور،

والعرب تقول رأيت الشهر أي: رأيت هلاله، وقال الإمام الرازي «وأما الشهر فهو عبارة عن حركة القمر من نقطة معينة من فلكه الخاص إلى أن يعود إلى تلك النقطة ويعرف الشهر القمري فلكياً بأنه دورة القمر حول الأرض منسوبة إلى موقع الشمس في صفحة السماء وهي دورة معقدة يدخل فيها دوران القمر حول الأرض، ودورانه مع الأرض حول الشمس ومع باقي أفراد المجموعة الشمسية حول مركز المجرة وما فوق ذلك من حركات لا يعلمها إلا الله[٢].

ماهية السنة القمرية

تعرف السنة القمرية بالفترة الزمنية التي يتم فيها القمر اثنتى عشرة دورة كاملة حول الأرض وتستغرق هذه الفترة (٣٥٤,٣٧ يوماً) لأن متوسط عدد الأيام في كل شهر قمري هو نحو (٢٩,٥٣ يوماً)، ولما كانت كسور الأيام لا تدخل في حساب الشهور ولا في حساب السنين اعتبرت السنة القمرية مساوية للرقم الصحيح (٣٥٤ يوماً)، وتعرف بالسنة القمرية البسيطة. وتتجمع الكسور لتتم يوماً كاملاً مرة كل ثلاث سنوات تقريباً تصبح مدة السنة القمرية فيها (٣٥٥ يوماً)، وتعرف باسم السنة القمرية الكبيسة وتظهر ١١ مرة كل ٣٠ سنة تقريباً. والتعبير اللغوي (سنة) مستمد من (سنا) (سنيو) بمعنى دار - يدور حتى يعود إلى مكانه الأول، وكذلك تعبير (الحول) مستمد من حال يحول وهو بنفس المعنى، كما أن السنة هي أول السّن[٣].

ماهية الشهر الشمسي

يقوم حساب الشهور الشمسية أساساً على مراقبة بروج السماء الاثني عشر الرئيسة، وهذه البروج هي تجمعات النجوم تمر بها الأرض في دورتها السنوية حول الشمس ودائرة البروج هي مسار الشمس السنوي بين النجوم حيث تمر الشمس بكل برج شهراً، وهذه البروج هي: (الجدي - الدلو - الحوت - الحمل - الثور - الجوزاء - السرطان - الأسد - العذراء - الميزان - العقرب - القوس)[٤].

ماهية السنة الشمسية

السنة الشمسية تحددها دورة كاملة للأرض حول الشمس، وتنقسم هذه السنة بواسطة بروج السماء الاثنى عشر شهراً، كما يمكن أن تقسم بواسطة اثنتي عشرة دورة كاملة للقمر حول الأرض بفرق يقدر بنحو أحد عشر يوماً، وهو الفرق بين السنين الشمسية والقمرية، لأن السنة الشمسية يقدر زمنها بنحو ٣٦٥,٢٥ يوماً، بينما يقدر زمن السنة القمرية بنحو ٣٥٤ يوماً[٥].

تعريف اليوم

اختلف مفهوم اليوم اختلافاً واضحاً عبر التاريخ وتم تحديده حسب قواعد جعلته ملائماً لظروف اجتماعية وسياسية معينة أو لدين معيّن فاختلف اليوم ليكون لفترة بين شروق الشمس وشروقها التالي، فحسب التقليد العبري مثلاً يبدأ اليوم عند غروب الشمس وكذلك عند المسيحيين، أما العرب فقد قسموا اليوم إلى نهار وليل[٦].

المراجع:

١) د. أورخان سيفي يوجه ترك: تاريخ التقاويم وبدايات السنين، مجلة المنهل، شعبان ١٤٠٨هـ، ص١١٦.
٢) عبد الرؤوف حسن خليل: إعادة كتابة تاريخ وحضارات الأمم، مجلة المنهل، شعبان - رمضان ١٤٢١هـ، ص٣٠.
٣) د. أورخان سيفي ترك: مصدر سابق، ص١٦.
٤) المصدر السابق: ص١١٦.
٥) نصرة سليمان أبو زيد: نظرات في التقاويم عبر العصور، مجلة الفيصل، العدد ٢٧٦، ص٥٢، الرياض.
٦) د. إحسان هنيدي: من تقاويم الشعوب، مجلة الفيصل، العدد ٢١٥، ص٨١، الرياض.
٧) د. أورخان سيفي يوجه ترك: مصدر سابق، ص١٢٢.
٨) المصدر السابق: ص١٢٢.
٩) المصدر السابق: ص١٢٣.
١٠) نصرة سليمان أبو زيد: مصدر سابق، ص٥٢.
١١) محمد الشاذلي النيفر: قضية الشهر بين الهجري والميلادي، مجلة المنهل، شعبان ١٤٠٨هـ، ص٩٨.
١٢) نصرة سليمان أبو زيد: مصدر سابق، ص٥٢.
١٣) د. أورخان سيفي يوجه ترك: مصدر سابق، ص١٢٤.
١٤) نصرة سليمان أبو زيد: مصدر سابق، ص٥٣.

مراجع الملحق

١- تفسير ابن كثير: مكتبة الإيمان، الجزء الثالث، ص١٥٣.
٢- د. زغلول النجار: الإشارات الكونية في القرآن الكريم دلالاتها العلمية، جريدة الأهرام المصرية، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٢م، ص١٢.
٣- المصدر السابق.
٤- المصدر السابق.
٥- المصدر السابق.
٦- د. رضا عبد الحكيم إسماعيل: تاريخ التقاويم، مجلة تراث، العدد ٥٠، ص٥٨.

حضور البديهة

يوصف بعض الموالي بالذكاء وحضور البديهة في المواقف التي تتطلب ذلك. فقد روى سعيد بن يحيى الأموي عن أبيه قال: كان فتيان من قريش يرمون فرمى واحد منهم، من ولد أبي بكر وطلحة، فقرطس، فقال: أنا ابن عظيم القريتين

فرمى آخر من ولد عثمان فقرطس، فقال: أنا ابن الشهيد.

ورمى رجل من الموالي فقرطس، فقال: أنا ابن من سجدت له الملائكة. فقالوا له: من هو؟

فقال: آدم.

(ابن الجوزي: أخبار الأذكياء)



ما تشتهي؟

قال الجاحظ: مرض علي بن عبيدة الريحاني، فدخلت عليه عائداً وقلت له: ما تشتهي يا أبا الحسن؟ فقال: عيون الرُّقباء، وألْسُن الوُشاة، وأكباد الحسّاد.

(التكريتي: طبقات الأطباء)



الدراهم قبل الحبّ

قيل: إنّ بصرياً دخل مدينة بغداد مرةً، فلم يزل يمضي في محالها حتى انتهى إلى قطيعة الربيع، فإذا بجارية مشرفة تنظر إلى الطريق فهويها، فلم يزل يكتب إليها فلا تجيبه. فكتب إليها يوماً رقعة يشكو فيها بثه وفي آخرها:

هل تعلمين وراء الحبّ منزلة
تُدْني إليكِ فإنّ الحبّ أقصاني

فكتبت إليه:

نعم حبيبي وراءَ الحبّ منزلةٌ
بذْلُ الدراهم يُرْضِي كلَّ إنسانِ
من زادَ في الوزنِ زدنا في محبتهِ
ما يطلب الدهر إلاّ فضل رُجْحانِ

(العاملي: المخلاة)





د. حسن محمد النابودة

مدير مركز زايد للتراث والتاريخ - العين

أول شعر قاله الأخطل

روى رجل تغلبي قال:

لحظ الأخطل شَكْوَةً لأمّه فيها لبنٌ، وجراباً فيه تمر وزبيب، وكان جائعاً، وكان يُضَيَّق عليه، فقال لها: يا أمَّه، آل فلان يزورونك ويقضون حقك وأنت لا تأتينهم وعندهم عليلٌ، فلو أتيتهم لكان أجمل وأولى بك. قالت: جُزيت خيراً يا بني! لقد نبهت إلى مكرمة. وقامت فلبست ثيابها ومضت إليهم. فمضى الأخطل إلى الشكوة ففرغ ما فيها وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كلّه. وجاءت فلحظت موضعها فرأته فارغاً، فعلمت أنه قد دهاها، وعمدت إلى خشبةٍ لتضربه بها، فهرب وقال:

ألمَّ على عتبات العجوز
وشَكْوَتِها من غياثٍ لَمَمْ
فظلّت تنادي ألا ويْلَها
وتلعنُ واللعنُ منها أَمَمْ

وذكر يعقوب بن السكيت هذه القصة، وقال في خبره: وهذا أول شعر قاله الأخطل.

(الأصفهاني: الأغاني)■



بلاغة لغتنا الجميلة
في وصف أوائل الأزمنة والأوقات

■ أحمد فضل شبلول

يسعى الإنسان دائماً إلى الحصول على المراكز الأولى، في جميع مراحل حياته العلمية والعملية. وقد ينجح في ذلك، وقد يفشل، وقد ينشأ صراعٌ بينه وبين الآخرين من بني البشر في محاولة للتفوق وإثبات الذات.
وعلى مستوى الدول، تحاول كل دولة التفوق على غيرها من الدول، بشتى الطرق السلمية وغير السلمية، ومن هنا جاءت فكرة الحروب والاستعمار في محاولة لإثبات هذا التفوق ومدِّ مظلَّةِ السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من العالم.

أما في الطبيعة، فالأمر يختلف. فهناك أسماء وأشياء وأوقات وأزمنة حباها الله، واختارها لأن تكون من الأوائل والطلائع، أو في المقدمة دائما، بحكم وجودها في الحياة، أو بحكم وظيفتها، أو بحكم دورة الوجود، وهي سنن نجدها في خلق الكون، وما أراد الله لها تبديلا.

ومن أوائل الوجود، التي نلاحظها بانتظام، أو نلاحظُ انتظامَها، مع دوران الأرض حول نفسها، ودورانها حول الشمس، أوائل الأزمنة أو الأوقات، فهناك دائما أوَّل النهار، وهناك أوَّل الليل، وهناك أوَّل الأسبوع، وأوَّل الشهر، وأوائل الفصول، وأوائل السنة، فضلا عن أوائل مواقيت الصلاة .. وغيرها، وداخل هذه الأوائل فروق واضحة، ومسمياتٌ عربيَّةٌ جميلة.

وفي هذا البحث سنتعرف على أسماء هذه الأوائل الزمنية بالتفصيل، ونراقب سيرها الحثيث في الكون، ونتتبعها في سماء بلادنا، وكيف تعمل من خلال جماليات اللغة العربية.

أوائل النهار

لِنُمسك أوَّلَ خيوطِ الفجر، وأوَّلَ ضوءٍ يُنيرُ الكونَ أثناء تفتُّحه بعد ظلام الليل الدامس.

فنجد السُّدْفَة: وهي اختلاطُ الضوء والظلمة جميعاً كوقت ما بين صلاة الفجر إلى أوَّلِ الإسفار (أي وضوح الصبح وانكشافه). ومنها السَّدَفُ: وهو أوَّلُ شيء يكونُ من الصبح.

وهناك الغَطَاطُ، والغُطَاطُ: وهو اختلاط ظلام آخر الليل بضياءِ أوَّلِ النهار. وهو أيضا أوَّلُ الصُّبْح.

أما الغَلَسُ: فهو ظلمةُ آخر الليل إذا اختلطت بضوءِ أوَّلِ الصباح. أو أوَّلُ الصبح حتى ينتشرَ في الآفاق.

ومنها التَّغْلِيسُ: أي وِرْدُ الماء أوَّل ما ينفجرُ الصُّبْح.

وفي الحديث الشريف أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم «كانَ يُصَلِّي الصُّبْحَ بِغَلَسٍ».

ثم ينْشَقُّ بعد ذلك الفجر الجميلُ: أي يطْلَعُ ويظْهَرُ.

والفَجْرُ: أوَّلُ ضوءٍ نراه في الصباح، وهو حُمْرَةُ الشمس في سوادِ الليل. وأفْجَرنا: بمعنى دخلنا في الفجر. وأنت مُفْجِرٌ من ذلك الوقت وحتى طلوع الشمس.

وفي الآية ٥ من سورة القدْر يقول عزَّ من قائل عن ليلة القدر ﴿سلامٌ هي حتى مطلع الفجر﴾. ويقسم الله تعالى بالفجر في الآيتين ١و٢ من سورة الفجر، فيقول ﴿والفجرِ. وليالٍ عشر﴾.

وفي الحديث الشريف «وكَانَ الْمُؤَذِّنُ يُؤَذِّنُ إذَا بَزَغَ الْفَجْرُ».

وفي الحديث الشريف أيضا «فَأَقَامَ الْفَجْرَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ وَالنَّاسُ لا يكَادُ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً».

ويُقَال «بَدَا شِمْرَاخُ الفجر» بمعنى ظهَرَ رأسُهُ، أي أوَّله. وهو استعارة جميلة من عالم النبات، حيث الشِّمْرَاخ هو عنقود العنب. (والجمع: شماريخ).

وتُطلق البُلْجة والبَلْجة على أوَّلِ ظهورِ الفجر. ومنه

قيل «بَلَجَ الحقُّ» إذا وضح وظهر.
كما يُطلق عمود الصبح أيضا على أوَّلُ وقت الفجر.
وفي الحديث الشريف «حَتَّى إِذَا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ الأَوَّلِ أَرَدْتُ أَنْ أَنْطَلِقَ».
وقال البحتري:

كالصبح يضربُ في الدُّجَى بعمودِهِ

وقال أبو تمام:

نَسَبٌ كأنَّ عليه من شمْس الضُّحَى
نوراً ومن ضَوْءِ الصَّباح عَمُودا

ثم تبدأ الشمسُ في الارتفاع تدريجياً، وتفرش على الدنيا أشعتها الدافئة، والبُتَيْرَاءُ: اسم الشمس في أوَّلِ النهار.
ونقول بَزَغَتِ أو بَزَقَتِ الشمسُ، (وأيضا بَزَغَ القمرُ، أو النَّجْمُ): أي بدأ طلوعُهاً. وفي الآية ٧٨ من سورة الأنعام يقول الله تعالى: ﴿فلمَّا رأى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾.
وقَرْنُ الشمس، أو القَرْنُ من الشَّمْسِ: أوَّلُ ما يبدو منها، أو أوَّلُ شُعَاعِهَا، أو أوَّل ما يبزغ عند طلوعها.
والبُسْرَةُ: أيضا الشَّمْسُ في أوَّلِ طُلوعِها.
أما بَشَائِرُ الصبح: فهي أوائله.
وتباشيرُ الصبح: أيضا أوائله التي تُبَشِّرُ به.
وبكَرَ الإنسانُ أو الطيرُ بُكُوراً: أي خرج أوَّلَ النهارِ وقبل طلوع الشمس.
وفي الحديث الشريف قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا».
وفي المثل السائر يُقال «بكُور الغراب».
وقال بعض العلماء: «تعلَّموا من الغراب بُكُورَهُ وحذره».
والبُكْرة والبَاكِرُ، والمبكّر والإِبْكَار: يعني أوَّلُ النهار إلى طلوع الشمس.
وفي الآية ١١ من سورة مريم يقول الله تعالى: ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بُكْرَةً وعشيا﴾.
وفي الآية ٤١ من سورة آل عمران ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾.
وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «الإِبْكَارُ أَوَّلُ الْفَجْرِ».
وحاجبُ الشمس: أوَّلُ ما يبدو منها. وفي الحديث الشريف كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم «يُصَلِّي الْمَغْرِبَ سَاعَةَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ إِذَا غَابَ حَاجِبُهَا».
أما حَوَاجِبُ الصُّبْحِ: فهي أوائِلُهُ، يُقال: «لاحتْ حواجبُ الصبح».
ويقال كذلك «بدا حِجَاجُ الشمس» أي حاجبها.
وذَرَّتِ الشمسُ تَذُرُّ ذُرُوراً: أي ظهرت أوَّلَ شُرُوقِها أو أوَّلَ طلوعِها. أو أوَّل ما يسقط ضوؤها على الأرض والشجر.
والذُّرُورُ: أوَّلُ طُلُوع الشمس.
أما رَأْدُ الضُّحى: فهو وَقْتُ ارتفاع الشمس عند الخُمْسِ الأوَّلِ من النهار، وانبساط ضوئها، وذلك شبابُ النهار، وهو استعارة جميلة من شباب الإنسان.
أما أَدِيمُ الضحى، ورَوْنَقُ الضُّحَى وسَرَاةُ الضحى: فهو أوَّلُهُ.
ورَيْعَانُ النهار: أيضا أوَّلُهُ. حيث إن الرَّيْعان من كلِّ شيء: أوَّلُهُ وأفضلُه كرَيْعَانِ الشباب، ورَيْعَان المطر.
والسَّبْرَةُ: البردُ من أوَّلِ النهار.
والصُّبْحُ، والصَّبَاحُ، والإِصْبَاحُ، والصَّبِيحَةُ، والمُصْبح (والجمع: أَصْبَاح): فتعني أيضا أوَّلَ النهار.
وفي الآية ١٨ من سورة التكوير يقول المولى عزَّ وجل ﴿والصبح إذا تنفَّسَ﴾ يعني ضوء النهار إذا أقبلَ وتبيَّن.
وفي الآية ٩٦ من سورة الأنعام يقول عَزَّ من قائل: ﴿فالق الإِصْبَاحِ﴾ أي فالق ظلام الليل عن غُرَّة الصباح، أي عن أوَّل الصباح.
وفي الحديث الشريف عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَصْبِحُوا بِالصُّبْحِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلأَجْرِ».
وفي الحديث الشريف أيضا، أنه صلَّى الله عليه وسلم نهى عن الصُّبْحة، وهي النوم أوَّل النهار فقال: الصُّبْحَةُ تَمْنَعُ الرِّزْقَ. وكذلك التَّعْوِيةُ: نومةٌ خفيفةٌ عند أوَّلِ، أو عند وجْهِ الصبح.
وصَبِيحَةُ اليومِ: أوَّلُهُ. ويقال أصبحَ القومُ: أي دخلوا في الصَّبَاح.
وفي الحديث الشريف «قُولِي حين تُصْبِحين: سبحان الله».
وصَدْرُ النهار: أيضا أوَّلُهُ. يُقال: «أتيتُ في صَدْرِ النهار» أي في أوَّله.
أما الصَّرْعَانِ: فهما نصفُ النهار الأوَّلِ، ونصفُهُ الآخر.
والغُدْوَة: البُكْرَة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. ومنها غَدِيَ غداً وتَغَدَّى: أي أكَلَ أوَّلَ النهار. وغدَّى الرجلَ: أي أطعمه أوَّلَ النهار.
والغَدَاةُ والغَدِيَّةُ: أوَّلُ النهار. والجمع: غَدَوَاتٌ، وغَدَايا، وغَدِيَّات.

والغدوة تُطلق أيضا على سير أوَّل النهار، وهو نقيض الرواح.
وفي الآية ٢٠٥ من سورة الأعراف يقول المولى عزَّ وجل: ﴿ودون الجهر من القول بالْغُدُوِّ والآصال﴾. وفي الآية ١٥ من سورة الرعد ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغُدُوِّ والآصال﴾ وفي الآية ٣٦ من سورة النور ﴿يسبح له فيها بالغُدُوِّ والآصال﴾. وفي الآية ٤٦ من سورة غافر ﴿النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيا﴾. وفي الآية ٥٢ من سورة الأنعام ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالْغَدَاةِ والعشي﴾. وفي الآية ٢٨ من سورة الكهف ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالْغَدَاةِ والعشي﴾.
وفي الحديث الشريف ﴿لَغَدْوَةٌ أو رَوْحَةٌ في سبيل الله﴾.
والغَداءُ: رعي الإبل في أوَّل النهار.
ومازال لأوَّل النهار أسماء أخرى:
فيُقال «أتيتُه غَارضاً» أي أوَّل النهار. والغَارِضُ في الأصل، مَنْ وَرَدَ المَاءَ بَاكِراً.
وغَزَالةُ الضحى (الشمس) وغزالاته: أوَّلُهَا، أو أوَّلُها إلى مُضِيِّ خُمس النهار.
يُقال «أتيتُهُ غَزَالَةَ الضُّحى، وغَزالاتِ الضُّحَى». أي أتيته أوَّل النهار، وقبل مُضي خُمْسِهِ.
والفُرْطُ من الصباح: أوَّلُ تباشيره. (الجمع): أفْرَاط.
ويُقال: «طلعتْ أفراطُ الصباح» لتباشيره الأُوَل.
وأَفْضَحَ الصبحُ: بدا ضوؤه وظهر.
والفَطُورُ: تناولُ الطَّعام الأوَّل في الصباح.
ومَيْعَةُ النهار، وفَوْرَةُ النهار والفَوْعَةُ من النهار: أوَّلُهُ. يُقَال «أتيتُ في فَوْعَةِ النهار» أي في أوَّلِهِ.
وفِيْقَةُ الضحى: أوَّلُهُ، وارتفاعه. ج: فِيْق، وفِيَق، وفِيْقات. وأفْوَاق، وأفاويق. يقال «أتيتُه فِيْقَةَ الضحى» أي أوّله.
أما قَرِيحةُ النهار: فهي أيضا أوَّلُهُ. وقَرَحَ النهارُ: أي النهار في أوَّلِهِ وشبابه.
ونَحْرُ الظهيرة: أوَّلُها. وفي حديث الهجرة: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نَحْرِ الظهيرة.
ونَحْرُ النهارِ، أو الضُّحَى: أوَّلُهُ. (الجمع: نُحُور).
والنَّاشِىءُ: أيضا أوَّلُ النهار. ج: نَشْءٌ، ونَشَأٌ، وناشِئَةٌ.
وبصفة عامة فإن أوَّلَ النّهار: من وقت طلوع الشمس إلى الضُّحَى، ولا يعد ما قبل ذلك من النهار.
ويطلق أيضا: وَجْهُ النهار أو الوَجْهُ من النهار: على أوّله.
يُقال: «أتيتُ في وَجْهِ النهار، أو بوَجْهِ النهار» أي في أوَّلِهِ.
وفي الآية ٧٢ من سورة آل عمران يقول الله تعالى ﴿وقالت طائفةٌ من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنْزِلَ على الذين آمنوا وجْه النهارِ واكفروا آخره﴾.
أما القَسَامُ: فتطلق على أوَّلِ وَقْتِ الهاجِرَة.

أوائل الليل

الليلُ يعقبُ النهارَ دائما، ونبدأ بالشَّفَقُ: وهو بقيَّة ضوء الشمس، وحمرتُها في أوَّلِ الليل إلى قريب من العشاء. أو هو: أوَّلُ ساعة من الليل، وهو وقتُ صَلَاةِ المَغْرب. وقد وردتْ الكلمة في قوله تعالى في الآية ١٦ من سورة الانشقاق: ﴿فلا أُقْسِمُ بالشَّفَق﴾.
وفي الحديث الشريف عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَفْتَحُ بَاباً مُغْلَقاً».
يعقب ذلك العَتَمَة: وهي الثلثُ الأوَّلُ من الليل، أو ثلثُ الليل الأوَّل، بعد غيبوبة الشَّفَق.
وفي الحديث الشريف «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لأَبِي بكْرٍ «أَيَّ حِينٍ تُوتِرُ؟ قَالَ: أَوَّلَ اللَّيْلِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ.
ويُقال «أعْتَمَ الرجلُ» أي سار في ذلك الوقت، أو دخل في العتمة، مثل أصبحَ دخل في الصباح.
وعَتَمَةُ الليل: ظلامُ أوَّلِهِ، عند سقوط نور الشَّفَق، أو بعد زواله.
أما الغَسَقُ فهو ظلمةُ أوَّلِ الليل، أو أوَّلُ الليل بعامة. وكذلك الغاسِقُ، والغسَّاق. وفي الآية ٧٨ من سورة الإسراء يقول الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشمس إلى غَسَقِ الليل وقرآنَ الفجر﴾. وفي الآية ٣ من سورة الفلق ﴿ومن شرِّ غاسق إذا وَقَب﴾.
وفي الحديث الشريف عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ.
ويُقال «من الغَسَق إلى الفَلَق». أي من دخول أوَّل الليل حين يختلط الظلام.
وقد غَسَقَ الليلُ يغسِقُ غَسْقاً وغُسوقا.
والعِشَاء أيضا: أوَّلُ ظَلام الليل. ومنه العُشْوَةُ،

والعِشْوَةُ، والعَشْوة: أي أَوَّل ظلمة الليل، أو أول رُبع من الليل، أو ما بين أَوَّلِ الليلِ إلى رُبْعِهِ. واعْتَشَى فلانٌ: سارَ في أَوَّلِ الليل.

وفي الآية ١٦ من سورة يوسف يقول الله تعالى ﴿وجاءوا أباهم عِشَاءً يبكون﴾.

ويُقال «مضى من الليل عشْوَة». وفي الحديث الشريف ﴿حتى ذَهَبَ عَشْوة من الليل﴾.

وفي الآية ٤١ من سورة آل عمران ﴿واذكر ربك كثيرا وسبح بالعَشِيِّ والإبكار﴾ .

وفي الحديث الشريف: أنه كان في سفر فاعْتَشَى في أَوَّلِ الليل، أي سار وقت العشاء. أما المُعَرِّسُ: فهو الذي يسيرُ نهارَه، ويُعَرِّسُ، أي ينزل أَوَّلَ الليل.

وفي الحديث الشريف «وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْجَدْبِ فَأَسْرِعُوا السَّيْرَ فَإِذَا أَرَدْتُمُ التَّعْرِيسَ فَتَنَكَّبُوا عَنِ الطَّرِيقِ».

ويطلق أيضا على السير أَوَّلَ الليل: الحَقْحَقَةُ.

وأيضا الإِدْلاَجُ، والدُّلْجَةَ: السَّيْرُ من أَوَّلِ الليل.

وأَدْلَجَ القومُ: ساروا في أَوَّلِ الليل، أو من أَوَّلِ الليل.

وفي الحديث الشريف عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ».

والغُبْسَةُ، والغَبَسُ: أَوَّلُ ظلام الليل. أو أَوَّل الليل. ومنها غَبَسُ الليل: أي ظلامُه من أَوَّلِهِ.

ومَحَارِمُ الليل ومَحَارِمُهُ: أوائله. وكذلك جُنْحُ الليل، وجِنْحُهُ.

والنَّاشِئُ من الليل: أَوَّلُ ساعاته. (الجمع: نَشْءٌ، ونَشَأٌ، وناشِئَةٌ).

وفي الآية ٦ من سورة المزمل يقول المولى عز وجل ﴿إن نَاشِئَةَ الليل هي أشدُّ وَطْأً وأقوم قيلا﴾.

وقيل: الناشِئَة والنَّشِيئَةُ إذا نمتَ من أَوَّل الليل نومةً ثم قمتَ. مثل الفَاشِيَةُ: وهي نَومةٌ ينامها الإنسانُ أَوَّلَ الليل، ليستيقظَ بعدها. أما الهَجْعَةُ: فهي نومةٌ خفيفةٌ في أَوَّلِ الليل.

وفي الآية ١٧ من سورة الذاريات يقول الله تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون.﴾

وفي الحديث الشريف «طَرَقَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ هَجْعٍ مِنَ اللَّيْلِ فَضَرَبَ الْبَابَ حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ».

ويُقال «أتيتُ فلاناً بعد هَجْعَةٍ» أي بعد نومة خفيفة من أَوَّلِ الليل.

أما الهَجْمَةُ من الليل: فهي أَوَّلُ ظلامه.

ومن أوائل الليل أيضا: رَيِّقُ الليل. ويُقال: «كنتُ في رَيِّقِ زماني» أي في أَوَّلِهِ.

والمُطْلَخِمُّ: وتطلق على أَوَّلِ الظلمة.

والغِشَاشُ، والغَشَاشُ: أيضا أَوَّلُ الظلمة، وآخرها (من الأضداد). يُقال «لقيته غِشَاشاً، وغَشَاشاً» أي عند الغروب.

أما الفَخْتُ والفَاخِتَةُ: فضَوْءُ القَمَرِ أَوَّلَ ما يبدو. أو أَوَّل ما يبدو من ضوءِ القمر.

والظَّلام: أيضا أَوَّلُ الليل، وإن كان مقمراً.

ومَلْثُ الليل، ومَلَثُهُ، ومُلْثَتُهُ: أَوَّلُ سوادِهِ وظلامِهِ.

أما المَلْثَةُ والمَلْثُ: فأَوَّلُ سوادِ المغرب.

وهَوَادِي الليل، أو الهَوَادي من الليل: أوائِلُهُ.

وكُفَّةُ الليل أيضا أَوَّلُهُ. يُقال: «جئتُه في كُفَّةِ الليل» أي في أَوَّلِه.

والغَلْثَةُ: أيضا أَوَّلُ الليل، ومنها غَلْثَةُ الليل: أي أَوَّله.

والاقتحام والقَسْوَرَةُ: أَوَّلُ الليل. وقيل إن قَسْوَرَةَ الليل: نصفُه الأَوَّل.

والهَدْءُ: أَوَّلُ الليل إلى ثلثِهِ، وذلك ابْتِدَاءُ سكُونِه.

ويُقال: «أتيتُه بعد هَدْءٍ من الليل» أي من أَوَّلِ الليل. و«مَضَى هَدْءٌ من الليل» وذلك من أَوَّلِهِ إلى ثُلُثٍ منه.

والهُذْلُول: أيضا أَوَّلُ الليل، أو بقيَّتُهُ (من الأضداد).

والفَوْعَةُ من الليل: أَوَّلُهُ. يُقال «أتانا فلانٌ عند فَوْعَةِ العشاءِ» أي أَوَّل الظلمة.

وفي الحديث الشريف «احْبِسُوا صِبيانكم حتى تَذْهَبَ فَوْعَةُ العشاء، أي أَوَّله».

وأما الوهن من الليل: فأوله، يُقال «أتيتُه بعد وَهْنٍ من الليل، ومَوْهِنٍ» أي من أَوَّلِ الليل.

أيضا الفَحَمُ من الليل: أَوَّلُهُ. وفَحْمَةُ العشاء: أَوَّل الظُّلْمة.

وفَحْمَةُ الليل: أَوَّله، أو أشدُّ سوادٍ في أَوَّلِهِ. سُميتْ بذلك لحرِّها، لأنَّ أَوَّلَ الليل أحرُّ من آخره، ولا تكون الفحمةُ في الشتاء.

وفي الحديث الشريف قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لا تُرْسِلُوا فَوَاشِيَكُمْ وَصِبْيَانَكُمْ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْبَعِثُ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ».

ويُقال «افْحِمُوا عنكم من الليل، وفحِّموا» أي لا تسيروا أَوَّلَ الليل حتى تذهب فحمتُهُ.

ويُقال «أقبلتُ ذُرَى الليل» أي أوائله.

قال زهير بن أبي سلمى:

على عَجَلٍ مِنِّي غِشَاشاً وقد دَنَا
ذُرَى الليلِ واحمرَّ النهارُ وأَدْبَرا

ويُقال أيضا «خرجوا برَوَاحٍ من العَشِيِّ، ورياحٍ، وأرْوَاحٍ» أي بأوَّلٍ منه.

ويُقَالُ «أتيتُه بعد جَرْشٍ من الليل» (بالفتح، والضمِّ، والكسر، والتحريك) أي ما بين أوَّلِهِ إلى ثُلُثِهِ. والجمع: جُرُوش، وأجْراش.

ويقال أيضا «أتيته بعد جَوْشٍ من الليل» أي من أوَّلِ الليل.

ويقال أيضا «مضتْ جِزْعةٌ من الليل» أي ساعة من أوَّلِه.

وكثيرا ما نسمع عن الليالي البيضاء: وهي الليالي التي يطلع فيها القمرُ من أوَّلِهَا إلى آخرها، وهنَّ ثلاث ليال. وتسمى كذلك المُحْمِقَات (وهي ليالي ١٣، و١٤، و١٥ من الشهر الهجري، وأنورها ليلة ١٤ التي يذكرها العامة، فيقولون قمر ١٤ بل يتغنون بها، فيقولون قمر ١٤ يشبه لك).

أما الدَّعْجَاء: فهي أُولَى ليالي المحاق، وهي ليلةُ ثمانيةٍ وعشرين، أي بداية اختفاء الهلال في السماء.

وأما الزُّلْفَةُ: فهي الطائفة من أوَّلِ الليل. (الجمع: زُلَفٌ، وزُلَفَاتٌ).

وزُلَفُ الليل: ساعاتٌ من أوَّلِهِ، أو أوَّلُ ساعاتِه.

ومنه قوله تعالى في الآية ١١٤ من سورة هود ﴿وأقِمِ الصلاة طَرَفَيِ النَّهار وَزُلَفاً من الليل﴾.

السَّدَى: ما يسقطُ من رذاذٍ أو مطر خفيف أوَّلَ الليلِ. (عكس النَّدَى الذي يسقط آخر الليل).

تَسَفَّرَ: أتى أو رعى في أوائل الليل. (عكس الغَداءُ: وهو رعي الإبل في أوَّلِ النهار).

ويُقال «أتيتُه بعد صُبَّةٍ من الليل» أي من أوَّلِ الليل.

أما صَريما الليل: فهما أوَّلُهُ وآخره.

والعِنْكُ، والعِنَكُ: سُدْفَةٌ من الليلِ، من أوَّلِهِ إلى ثُلُثِهِ. (الجمع: أعْنَاك).

ويُقال: مضى عِنْكٌ من الليل: أي الثلث الأوَّل منه.

والقِطْعُ، والقِطْعَةُ، والقِطَعُ، والقِطَاع، والقطيع من الليل: من أوَّلِهِ إلى ثلثِهِ. (الجمع: أقْطاع).

ومنه قوله تعالى في الآية ٨١ من سورة هود ﴿فَأسْرِ بأهلِكَ بِقِطْعٍ من الليل﴾.

ويُقال «أتيتُه بعد مِلْءٍ من الليل» أي من أوَّلِ الليل. (الجمع: أمْلاء).

والهِتْرُ: النِّصْفُ الأوَّلُ من الليل، أو الأقل منه. (الجمع: أهْتَار).

يُقال: «مضى هِتْرٌ من الليل» إذا مضى أقَلُّ من نصفه.

أما الهَزِيعُ من الليل: فنحو الثلث أو الربع الأوَّل منه.

ويُقال: «أتيتُه بعد هَزِيعٍ من الليل» أي من أوَّلِ الليل.

و«مَضَى هَزِيعٌ من اللَيل» أي من أوَّلِهِ، إلى ثُلُثٍ منه.

أما الجُهْمَةُ والجَهْمَةُ: فهي أوَّل أوقات السَّحَر. والسَّحَر هو آخر ظلام الليل، وأشده، أو آخر الليل قبل الفجر، والذي يعقبه السَّدَفة، وهي اختلاطُ الضوء بالظلمة.

وفي رباعيات الخيام:

سمعتُ صوتاً هاتفاً في السَّحَرْ
نادى من الغيبِ غُفَاةَ البشر

أوائل الأسبوع

يوم الأحد: أول أيام الأسبوع (الجمع: آحاد، وأُحْدَان).

وفي الجاهلية، كانوا يُسَمُّونَ الأَحَد: أوَّلَ.

وأحد السَّعف: أوَّل يوم من الأسبوع المقدَّس. وهو الأحد الأخير في الصوم الكبير عند المسيحيين. وذكر الإنجيل أن المسيح عليه السلام دخل فيه أورشليم راكبا حماراً، فاستقبله الشعب استقبالاً رائعاً، حاملاً سعف النخيل.

يوم السَّبْتُ: أوَّلُ الجمعة. ج: سبوت، وأسبت.

وفي الآية ١٢٤ من سورة النحل يقول الله تعالى: ﴿إنما جُعِلَ السَّبْتَ على الذين اختلفوا فيه﴾.

أوائل الشهور

الغُرَّةُ من الشهر: أوَّلُهُ. ج: غُرَر.

وفي الحديث الشريف كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ.

والغُرَر، والغُرُّ: ثلاثُ ليالٍ من أوَّلِ كلِّ شهرٍ قمري. سُميت كذلك لبياضها وطلوع القمر في أوّلها. وتسمى كذلك: القُرْحُ، أو ثلاثٌ تِسَعٌ.

والغُرَّةُ من الشهر، أو غُرَّة الشهر: لَيلةُ اسْتِهْلال القمر، أو أوَّلُ ليلة يُرى فيها الهلال الذي يكون كالغُرَّةِ في وجه الفرس.

ورأْسُ الشهر (أو العام): أوَّلُ يوم منه.

والسِّرُّ أيضا: مُسْتَهَلُّ الشهر.

وفي الحديث الشريف «صُومُوا الشَّهْرَ وَسِرَّهُ». وسِرُّهُ أوَّلُه. (وَقَالَ البعضُ: سِرُّهُ وَسَطُهُ وَقَالُوا آخِرُهُ).

والبَرَاء: أوَّلُ ليلةٍ، أو أوَّلُ يوم من الشهر.

ويُقال إنه سمي براءً لتبرُّؤِ القمر فيه من الشمس، وكانت العرب تتيمَّنُ به.

أما ابن البَراء: فهو أوَّلُ يوم من الشهر.
ويُقال «ظلمةُ ابن جَمِير» لأوَّلِ ليلة من الشهر.
قال أبو حنيفة:

نَهارُهم ظمآنُ أعمَى، وليلُهُم
وإن كان بَدْراً ظُلْمةُ ابن جَمِير

أما النَّاجِرَةُ، والنَّجِيرَةُ، والنَّجِيرُ: فأوَّلُ يوم من الشهر. (الجمع: نَوَاجِر، ونَاجِرَات).

يُقال «ما أقابله إلا في نَحْرِ الشهر» أي في أوَّلِهِ.

و«نَحَرَتِ الليلةُ شهرَ كذا» أي هي في أوَّلِهِ.

ونُحُورِ الشهور: أوائلها.

أما هَلَّةُ الشهر: فأوَّلُهُ.

ويقال اسْتَهْلَلْنَا الشهرَ: أي ابتدأناه.

والهلالُ: غُرَّةُ القمر، أو أوَّلُ ما يُرى من القمر ليلةَ يهلُّ، ويُسمى هِلاَلاً لليلتين من أوَّلِ الشهر، أو إلى ثلاث، أو إلى سبع، أو لليلتين من آخر الشهر. ج: أَهِلَّة (على القياس) وأَهاليل (نادرة).

وفي الآية ١٨٩ من سورة البقرة يقول المولى عز وجل: ﴿يسألونك عن الأَهِلَّةِ قل هي مواقيت للناس والحج﴾.

وفي الحديث الشريف «فَإذَا أُهِلَّ هِلالُ ذِي الْحِجَّةِ».

وعند أهل الهيئة: الهلالُ ما يُرى من القمر أوَّلَ ليلة.

أما الدَّأْدَاءُ: فهو اليوم الذي يُشك فيه أهو من أوَّلِ الشهر، أم من آخره.

وفي الحديث الشريف، أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم الدَّأْدَاء، (قيل: هو آخر الشهر، وقيل: يوم الشك).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: الدَّأْدَاء الليلة التي يُشك فيها أَمِنْ آخر الشهر الماضي هي، أم من أوَّلِ الشهر المقبل؟.

أما عُقْبة رمضان: فهي أوَّلُ ليلةٍ من شوَّال، وهي ليلة الفِطر (أي التي تأتي في أعقاب رمضان).

وأما عيد الفطر: فهو الأيام الثلاثة الأولى من شهر شوال (الشهر العاشر الهجري). يلي صيام شهر رمضان.

والزُّهْر، والزُّهَر، مثل الغُرَر: ثلاثُ ليالٍ من أوَّلِ الشهر.

أما الثلاثُ الظُّلَمُ: فتأتي أوَّل الشهر، بعد الليالي الدُّرَع، أي الليالي الثلاث في أواخر الشهر الذي مضى.

أما ذو القِعْدَة، وذو القَعْدَة: فهو أوَّلُ الأشهر الحُرُم الثلاثة المتتابعة في شهور السنة الهجرية (ذو ا لقعدة، وذو الحجة، والمحرم) سُمِّيَ بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الأسفار والغَزْوِ والمِيرة (والميرة الطعام الذي يُجمع للسفر والحرب). (الجمع: ذوات القعدة).

أوائل الفصول

ابْتَزَغَ الربيعُ: يعني أنه جاء أوَّلُهُ.

وقُرْحَةُ الربيع: فأوَّلُهُ.

والربيع عند العرب، ربيعان، ربيع شهور، وربيع زمان، فربيع الشهور اثنان، قالوا لا يقال فيهما إلا شهر ربيع الأوَّل، وشهر ربيع الآخر. أما ربيع الزمان فاثنان، الأوَّل الذي تأتي فيه الكَمْأَةُ والنَّوْرُ، والثاني الذي تدرك فيه الثمار.

أما الاعْتِدَالُ: فهو الوقتُ الذي يتساوى فيه الليل والنهار في أرجاء العالم جميعه، وهو: ربيعيٌّ، ويكون في أوَّلِ يوم من فصل الربيع، وخريفيٌّ، ويكون في أوَّلِ يوم من فصل الخريف.

وفي الصيف نجد أن الأُفُرَّةُ من الصَّيْفِ، أو أُفُرَّةُ الصيف: أوَّلُهُ.

وأن عُنُقَ الصيف والشتاء: أوَّلهما، ومقدَّمتهما.

ويُطلق الفَصْل الصيفي: على الرُّبْع الأوَّل من الصيف.

أما الانْقِلابُ: فهو الوقتُ الذي ترتدُّ فيه الشمسُ من أقصى انحرافها بالنسبة إلى الأرض. وهو شتويٌّ، ويكونُ في أوَّلِ يوم من أيام فصل الشتاء، وصيفيٌّ، ويكونُ في أوَّلِ يوم من أيام فصل الصيف.

أما الفَصْلُ الشتوي: فهو الرُّبْع الأوَّل من الشتاء.

وقُرْحَةُ الشتاءِ: أوَّلُهُ.

أوائل السنة

الرِّبْعية: أوَّل السنة. لأنهم يذهبون بأوَّلِ السنة إلى الربيع. (الجمع: رِباعِيّ).

أما النَّيْرُوز: فهو أوَّلُ يوم من السَّنَةِ. (وهو لفظ مُعَرَّبٌ من نَوْرُوز الفارسية).

وقيل إن الصَّفَرِي لفظ يطلق على أوَّل السنة.

والمُحَرَّم: أوَّلُ شَهر في السنة الهجريَّة. أو أوَّلُ الشهور في الإسلام. أدخلوا الألف واللام على اسم المفعول (مُحَرَّم) ليكونا عَلَماً على الشهر. والجمع: المحرَّمات، والمَحَارِم، والمحاريم.

وفي الحديث الشريف: «إِذَا رَأَيْتَ هِلالَ الْمُحَرَّمِ فَاعْدُدْ وَأَصْبِحْ يَوْمَ التَّاسِعِ صَائِماً».

ويناير: أول شهور السنة الميلادية أو الرومية. ويقابله كانون الثاني من الشهور السُّريانية.

وتُوت: أَوَّلُ الشهور في السنة القبطية، أو المصرية، ويقع في أَوَّلِ الثلث الثاني من سبتمبر الميلادي.

أوائل أوقات الصلاة

بكَّرَ المصلِّي تَبْكِيراً: أي أتى الصلاةَ من أوَّلِها. أو صلاها لأَوَّلِ وَقْتِهَا.

وبكَّرَ إلى صلاة الجمعة: خرج إليها في أوَّلِ وقتِها.

وفي الحديث الشريف: «لا يزال الناس بخير ما بكَّروا بصلاة المغرب».

وابْتَكَرَ: أي أَدْرَكَ أَوَّلَ الخُطْبَةِ. أو ابْتَكَرَ الخطبةَ: سمع أوَّلها.

ومنه قولُ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم: «من بكَّرَ وابْتَكَر»، أي مَنْ أسرع قبل الأذان، وسمع أوَّلَ الخطبة.

أما نَحَرَ الصلاةَ: فتعني صَلاَّها في أوَّلِ وقتِهَا.

وفي الحديث الشريف: أنَّه صلى الله عليه وسلم خرج وقد بَكَّرَ المصلُّون بصلاة الضُّحى (أو صلاة الأضحى)، فقال: نَحَرُوها نَحَرَهُمُ اللَّه أي صلُّوها في أوَّلِ وقتها. وقوله نحرهم الله يحتمل أن يكون دعاءً لهم، أي بكَّرَهم الله بالخير كما بكَّروا بالصلاة في أوَّلِ وقتها، ويحتمل أن يكون دعاءً عليهم بالنَّحْرِ والذبح لأنهم غيَّرُوا وقتها.

والتَّهْجِيرُ: المُضِيُّ إلى المسجد في أوائل أوقاتِ الصلاة.

وفي الحديث الشريف: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ».

في باب الأزمنة المُطْلَقة (غير المرتبطة بوقت محدَّد)

الدَّهَارِير: أَوَّلُ الدهر في الزمان الماضي (ولا واحد له).

يُقال «كان ذلك في دهرِ الدَّهَارِير» أي في أوَّلِ الدهر.

و«كان ذلك في دَهْرِ النجم» أي أوَّل الزمان، وفي القديم، أو حين خلق اللَّهُ النجوم.

أما اسْتُ الدَّهْرِ: فتعني أَوَّلَهُ. يُقال: «كان هذا على اسْتِ الدهر» أي في أوَّلِهِ.

ويُقال «كان ذلك في القرون الأوالي، والأمم الخَوَالي» أي في أوائل الزمان.

كما يقال إن الصَّفَرِيَّةُ: تعني أَوَّلُ الأَزْمِنَةِ، وتكونُ شهراً.

أما القُبُلُ والقُبُلُ من الزمانِ: فأَوَّلُهُ. (الجمع: أَقْبَال).

يُقَال: «كان ذلك في قُبُلِ الصيف، أو في قُبُلِ الشتاء، أو في قُبُلِ الشباب» أي في أوَّلِهِ.

أيضا وَجْهُ الدَّهْرِ، أو الوَجْهُ من الدَّهْرِ: أَوَّلُهُ.

يُقال: «كان ذلك على وَجْهِ الدهر» أي أوَّله.

أما لفظة آنفاً: أي قريباً، فتعني أوَّل هذه الساعة، أو أوَّل وقتٍ كُنَّا فيه.

وفي الحديث الشريف قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلاةً يَجْهَرُ فِيهَا ثُمَّ سَلَّمَ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ قَرَأَ مَعِي أَحَدٌ آنفاً» قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنِّي أَقُولُ مَا لِي أُنَازَعُ الْقُرْآنَ».

دابَّةُ الأرض: أوَّلُ أَشْرَاطِ الساعة (أي من أوَّل أشراط يوم القيامة).

وفي الآية ٨٢ من سورة النمل يقول المولى عزَّ وجل: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابَّةً من الأرض﴾.

وفي الحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ».

الرَّاجِفَةُ: النَّفْخَةُ الأولَى في الصُّورِ يوم القيامة.

وفي الآيتين ٦ و٧ من سورة النازعات يقول الله تعالى: ﴿يومَ ترجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾.

وفي شرح غريب القرآن، الراجفة: النفخة الأولى لخراب العالم.

وفي الحديث الشريف: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ».

وفي شرح الحديث، الراجفة النفخة الأولى التي تموت لها الخلائق، والرادفة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة.

ويُقال «كنتُ في رَيِّقِ زماني» أي في أوَّلِهِ.

أما العَدَّان، والعِدَّان: فزمانُ الشيءِ وعهدُه، أو الأفضلُ من زمانه، والأَوَّلُ منه. (الجمع: عَدَادِين).

والفِطْرَةُ: الصفةُ، أو الخِلْقَةُ، التي يتَّصِفُ بها، أو يكونُ عليها، كلُّ موجودٍ في أوَّلِ زمانِ خِلْقتِهِ.

وفي الآية ٣٠ من سورة الروم يقول الله تعالى: ﴿فطرَةَ اللَّهِ التي فطَرَ الناسَ عليها﴾.

وفي الحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ

عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ».

متفرقات زمنية

حَتِنَ اليومُ، ويومٌ حاتِنٌ: استوى أَوَّلُهُ وآخِرُهُ في الحرِّ.

أما الزمن الثالث: فاسم اطلق في منتصف القرن الثامن عشر على الجزء الأوَّل والرئيس من دور الحياة الحديثة.

ويطلق مصطلح زمن طرياسي (الثلاثي): على أوَّل أزمنة حقب الحياة الوسطى من التاريخ الجيولوجي.

بينما الزمن الكمبري: يطلق على القسم الأول من حقب الحياة القديمة.

أما الفَوْرُ: فهو أَوَّلُ الوقت. يقال «أتيتُ من فَوْري، وفعلتُ ذلك من فَوري، وفوراً، وفَوْرَ وصولي».

أما يومُ ذي قارٍ: فهو أَوَّلُ يومٍ انتصرتْ فيه العربُ على العجم.

قائمة المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) القرآن الكريم (أسطوانة مليزرة). شركة صخر لبرامج الحاسب.

٣) أساس البلاغة. جار الله أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م .

٤) الإفصاح في فقه اللغة. عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م .

٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. أبو منصور الثعالبي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف (سلسلة ذخائر العرب ٥٧)، ١٩٨٥م.

٦) شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة. عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي. تحقيق: كمال مصطفى. القاهرة: دار المعارف (سلسلة ذخائر العرب ٢١) ط، ١٩٦٨م.

٧) فقه اللغة وسر العربية. أبو منصور الثعالبي. تحقيق د. فائز محمد. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

٨) القاموس المحيط. الفيروزآبادي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

٩) كتاب الألفاظ الكتابية. عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني. بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

١٠) كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني. شرح وتحقيق عبد الحميد جيدة. طرابلس لبنان: دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦ م .

١١) كتاب الأيَّام والليالي والشهور للفرَّاء. تحقيق وتقديم إبراهيم الإبياري. القاهرة، بيروت: دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري اللبناني، ط ٢، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م .

١٢) كتاب التلخيص في معرفة الأشياء. أبو هلال العسكري. عني بتحقيقه د.عزة حسن. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، بيروت: دار صادر، ط ٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ٢ مج.

١٣) لسان العرب. ابن منظور. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ١٨ مج.

١٤) المخصَّص. ابن سيده الأندلسي. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت. (مصورة عن طبعة المطابع الأميرية بالقاهرة ١٣٢١هـ) ١٧ ج × ٥ مج.

١٥) المرصَّع في الآباء والأمهات والأبناء والبنات والأذواء والذوات. ابن الأثير الجزري. دراسة وتحقيق د. فهمي سعد. بيروت: عالم الكتب، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

١٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي. شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ٢ ج × ٢ مج، دار الفكر: د.م، د.ت.

١٧) المصباح المنير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

١٨) معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية. عبد الحليم محمد قُنْبس. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

١٩) معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين. د. فؤاد صالح السيد. بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

٢٠) معجم الدهر. أحمد فضل شبلول. الرياض: دار المعراج الدولية للنشر،١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

٢١) المعجم في بقية الأشياء. أبو هلال العسكري. أكمله وعلَّق عليه وضبطه: إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤م.

٢٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. رتبه ونظمه لفيفٌ من المستشرقين تحت إشراف د. أ. ي. ونسنك. الاتحاد الأممي للمجامع العلمية، ٨ مج ، ليدن: مكتبة بريل ١٩٣٦م.

٢٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٤) المعجم الوسيط. القاهرة: مجمع اللغة العربية، دار عمران، ط ٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

٢٥) المنجد في اللغة والأعلام. بيروت: دار المشرق، ط ٢٨، ١٩٨٦ م.

٢٦) موسوعة الحديث الشريف (أسطوانة مليزرة). الإصدار الأول، شركة صخر لبرامج الحاسب الآلي (١٩٩١. ١٩٩٥م).

٢٧) الموسوعة العربية الميسرة. القاهرة: دار الشَّعب، ٢ مج، ط ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

رئيس «لسان العرب»:

لغتنا تواجه سطوة الإعلام وهيمنة الاقتصاد الخارجي

■ القاهرة- علي فراج:

حذّر اللغويون العرب من حالة التدهور التي تعاني منها اللغة العربية أمام طوفان (اللغات الأجنبية) التي غزت اللسان العربي، وطالب اللغويون بضرورة تعريب العلوم في كافة المراحل الدراسية خاصة مرحلة التعليم العالي، مؤكدين أن التعريب لم يعد قضية قومية فحسب بل غدا واحداً من المستلزمات الأساسية لتنمية الملكات الإبداعية لدى الجيل الجديد من العرب وبلغتهم الأصلية، وأنه بات من الضروري أن يتعلم الشباب العربي التفكير النقدي بلغتهم الأم.

كانت (جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية) قد عقدت مؤتمرها السنوي الحادي عشر عن (دور اللغة العربية في تنمية المعرفة العربية) بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة، وكرّمت الجمعية ثمانية عشر متخصصاً في اللغة على رأسهم الدكتور رضوان الدبسي السوري المقيم بدولة الإمارات وأستاذ الآداب بجامعة عجمان.

وفي بداية المؤتمر أوضح الدكتور سامي نجيب أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان ورئيس مجلس إدارة (لسان العرب) أن الثقافة العربية بمجملها تواجه تحديات واضحة من جانب ركنين من أركان الثقافة العالمية الراهنة، هما سطوة وسائل الاتصال الجماهيري وهيمنة القدرة الاقتصادية، بل إن هناك مخاوف من انقراض اللغة العربية كما أن الثقافة العربية نفسها قد أصبحت من الهواجس التي تساور العقل العربي والمجتمع العربي بأسره.

وأشار سامي نجيب إلى أن مؤتمر لسان العرب هذا العام جاء لتقييم دور اللغة وأثرها وتأثيرها في المعرفة إنتاجاً واستهلاكاً؛ لأن المعرفة هي القاعدة الأساسية لأي تقدم حضاري فهي التي أنتجت الحضارة الإسلامية قديماً، والأساس الذي يبني عليه الغرب حضارته الحديثة، وأوضح أن تأخر المعرفة في الوطن العربي لا تشكل اللغة العربية عقبة فيه، فهي اللغة نفسها التي استوعبت الحضارة من قبل ووسعت كل علومها وفنونها وهي قادرة على استيعاب كل العلوم، ولكنه أكد أن علينا إدراك أن طغيان اللغة الأجنبية على اللغة الأم في الوطن يجعلها دائماً في حالة قليلة التداول سوى في المحافل الرسمية والبيانات وقاعات الدرس مما قد يشكل حالة انحسار وليس جموداً، وأكد رئيس مجلس إدارة (لسان العرب) أن معاناة اللغة نتيجة طبيعية لتقاعسنا في الذود عنها والغيرة عليها وناشد سامي نجيب وزراء التعليم والثقافة العرب بإنشاء مدرسة تضم مراحل التعليم المختلفة تدرس اللغة العربية كمستوى رفيع أسوة باللغات الأجنبية



اهتمام كبير بانتشال لغتنا العربية من كبوتها

الأخرى.

أما الدكتور رضوان الدبسي الأستاذ بجامعة عجمان فقد ناقش في ورقته البحثية المقدمة للمؤتمر (دور المؤسسات الثقافية والإعلامية وأثرها في العربية)، موضحاً أن المجامع اللغوية والعلمية استطاعت المحافظة على سلامة اللغة العربية والعناية بوسائل نشرها وبطرائق تعليمها وبتوظيف مناهجها كي تستوعب جميع ما وصلت إليه المعارف الإنسانية في العصر الحاضر، وأكد الدبسي أن اللغة العربية أثبتت جدارتها العلمية على مر العصور لأنها لا تعجز عن مجاراة اللغات الأخرى إذا ما تعهدها أبناؤها وأخلصوا لها، وأشار إلى أن العبقرية العربية تجلت في الحواضر المتعددة لاستيعاب المعارف الإنسانية علماً وفكراً وأنها قادرة على الصمود والثبات في عصر التقنية، وأكد أستاذ الآداب بجامعة عجمان أن اللغة العربية سوف تبقى صامدة أمام التحديات الطارئة لأنها اللغة الوحيدة التي أفسحت المجال بغناها، إضافة إلى قداستها لاستيعاب العلوم التجريبية ومناهجها على مر العصور.

وتحدث الدكتور باهر الجوهري عميد كلية اللغات والترجمة بجامعة ٦ أكتوبر المصرية عن دور الترجمة في التنمية المعرفية العربية، وأكد أنه لا تطور ولا نماء للمعرفة دون نقل وترجمة؛ فكل شيء ينشأ على شكل فكرة مجردة في عقل الإنسان تتبلور وتأخذ شكلها في التعبير اللغوي كمرحلة مبدئية في التنفيذ العادي ويتم تواصل الأفكار عن طريق نقلها إلى الآخر وبدون ذلك تصبح الجماعات الإنسانية جزراً منعزلة عن بعضها ويتضخم الاختلاف مع استمرار الانعزال وتصبح كل مجموعة مجهولة لدى الأخرى.

وهنا يبرز دور الوسيط المترجم لإحداث التقارب، وأشار الجوهري إلى أن المترجم يكون أحياناً سبباً في إنقاذ اللغة التي ترجم عنها مثلما حدث في اللغات القديمة التي ترجمها العرب في صدر الإسلام إلى اللغة العربية مثل الفارسية واللاتينية وكان العرب سبباً في ازدهارها وقوتها، كما أسهم العرب عن طريق الأندلس في إثراء الحضارة الغربية.

وأكد الجوهري أن لواء الحضارة لا يظل في يد واحدة على الدوام فقد حمله العرب مئات السنين ثم سلموه للغرب وتلقاه الأوروبيون وصانوه وأحاطوه بالرعاية حتى اليوم.

وأشار الدكتور محمد عبدالعال الواقدي أستاذ اللغة العربية بجامعة المنصورة - (مصر) إلى أن اللغة العربية قد عاقت فاعليتها في الوقت الراهن علل شتى، صرنا بسببها نعاني أزمة لغوية حادة تلطخ جبيننا

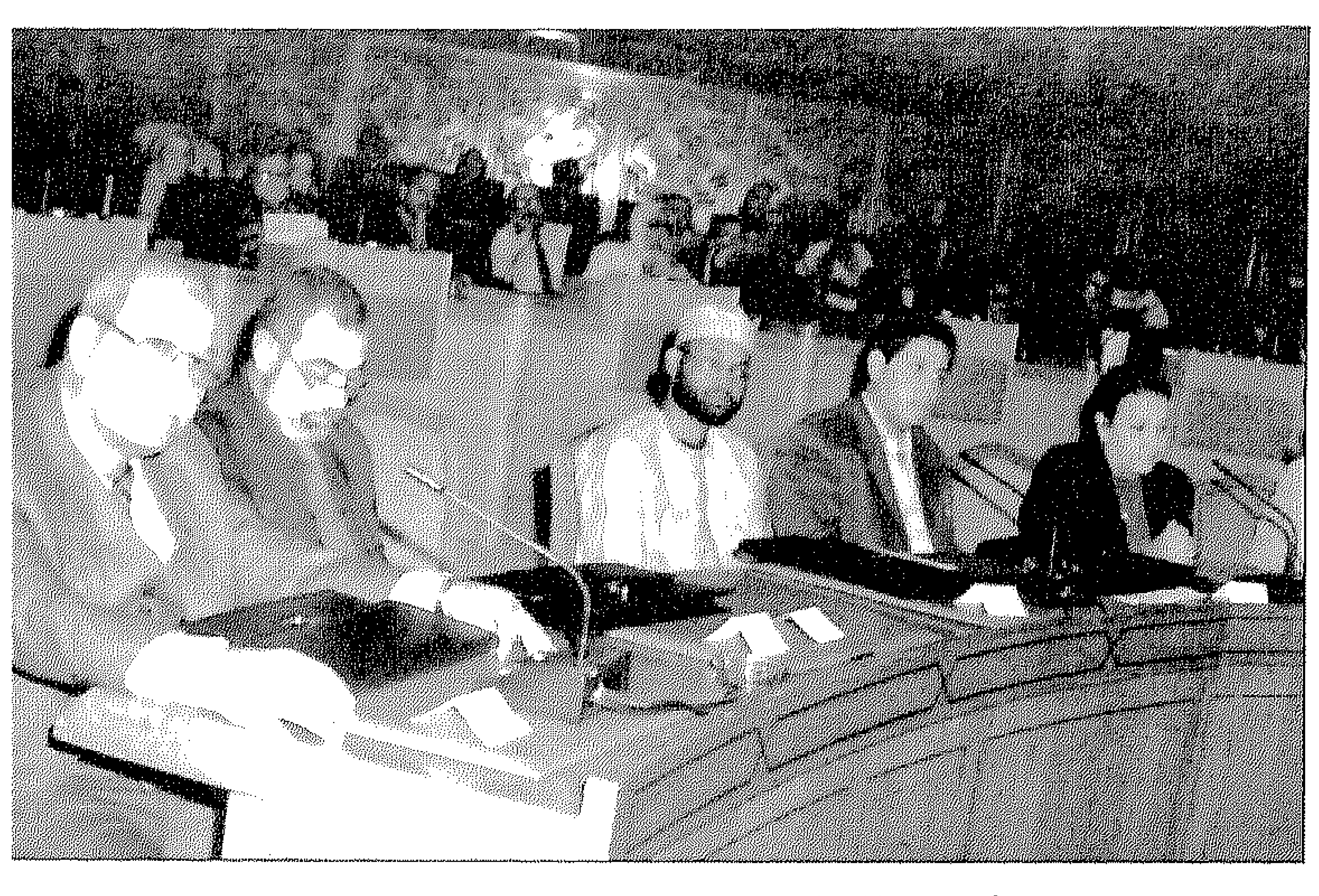
الحضاري ولا يخفى على أحد أن وضعنا اللغوي الراهن ينذر بفجوة لغوية تفصل بيننا وبين كثير من الأمم التي تولي لغاتها القومية أقصى درجات الاهتمام. ولخص الواقدي العلل التي تعوق تقدم اللغة العربية في استخدام كثير من الكتاب والباحثين الألفاظ والتراكيب الأجنبية اعتقاداً منهم أن ذلك من عوامل ثراء البحوث وخصوبتها، ومنها أيضاً أن اللغة العربية في المحيط التعليمي للطلاب تعيش في صراع مرير دائم مع اللغة الأجنبية لغة التعليم المفروضة وتعاني من تداخل بغيض متواصل مع هذه اللغة وهذا ما يزيد الموقف سوءاً وخطراً، ويبرر الخوف على مستقبل لغة هؤلاء الطلاب ولغة المجتمع ككل، كما أن هناك أزمة أخرى تواجه العربية وهي تراجع استخدام اللغة الأم إلى درجة كبيرة خاصة في الأسواق التجارية والمؤسسات فأصبحت العناوين تكتب باللغة الأجنبية، وهذا كله على حساب اللغة العربية، حيث يعمل هذا على التقليل من الرصيد المستخدم من مفردات اللغة الأم ويضعف من القدرة على التعبير السليم المقبول في مجال الكتابة.

واعترض الدكتور عبدالرحمن الرفاعي (السعودية) على محور (التوحد اللغوي) وقال: لست أدري ما المعنى الذي رمى إليه من وضع هذا المدلول ضمن محاور هذا المؤتمر؟ ورب قائل يقول: إن الهدف من ذلك هو الأثر الإيجابي للإنتاج المعرفي للفكر العربي إن اتحد لسان الأمة وأصبح واحداً مما يساعد على وحدة الفكر وانتشاره.

وأوضح الرفاعي أن هذا المدلول يغاير ما تقوله اللغة العربية نفسها لأن المدلول اللغوي لكلمة التوحد لا ينسجم مع ما رمى إليه واضعه ضمن محاور المؤتمر لأن معناه في لسان الفصحى لا يعني إلا التفرد والاستقلالية في كل شيء مما يعني أن دلالته سلبية الأثر.

وفي كلمته أمام المؤتمر أكد الدكتور رشاد محمد سالم الأستاذ بجامعة الشارقة (الإمارات) أن اللغة مقوم أساسي من مقومات التقدم العلمي والأخذ بأسباب التكنولوجيا، وأنها أداة للتعبير عنه.

وأشار إلى أن اللغة العربية كان لها شأنها العظيم في مسيرة الإنسانية بما لها من خصائص العراقة في تكوينها وسلامة أصولها وغزارة مفرداتها وسعة أصوات الحروف فيها وانفتاحها على التطور، مؤكداً أن اللغة العربية مفتاح لمغاليق المعرفة، فهي تجعل المرء



جانب من الحضور

متصلاً ببيئته غير بعيد عن الحياة التي تحيط به، كما يكون بمقدوره أن يتابع ما تصل إليه العلوم والآداب من تطوير وتجديد وتحديث.

وأوضح رشاد سالم أن التاريخ لم يشهد لغة ذاع صيتها وكثر الناطقون بها وسادت أمتها وتسنمت ذروة المجد في المعارف الإنسانية بمثل ما شهدته اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذي نزل ليكون هداية للعالمين.

وأكدت الدكتورة طيبة صالح الشذر (جامعة الكويت) أهمية إيجاد آلية فعالة تتيح انطلاق حركة الترجمة العربية وذلك يتضمن: تكوين المترجمين المتخصصين بالعدد الكافي وفي التخصصات المنشودة سواء أكان هذا في مجال العلوم الإنسانية والآداب أم في تخصصات الطب والعلوم والتقنيات، ووضع ملامح لرؤية عربية للترجمة ذات اتجاهات مختلفة ومجالات عدة ومن لغات كثيرة، مع تحديد الإمكانات التنفيذية وتوزيع الأدوار ووسائل الدعم حتى تتكامل الفروع المعرفية، وأكدت الدكتورة الشذر أن حركة الترجمة إلى اللغة العربية ينبغي أن ننظر إليها في إطار رؤية شاملة للمستقبل اللغوي للدول العربية، وأوضحت أن الدول التي تهتم بحركة الترجمة إليها هي الدول التي تعطي أهمية خاصة للتنمية اللغوية الشاملة في داخل الدولة.

وأشارت الدكتورة ناديا مسكور الأستاذ بجامعة حلب (سوريا) إلى أن وسائل الإعلام عليها دور لا بد أن تقوم به في تعليم اللغة العربية ورفع الأداء اللغوي عند المتلقين. ■

صراع العربية من محاربة الفصحى إلى محاولة القضاء على النحو

■ د. محمد أحمد عبد الهادي

تواجه لغتنا العربية في الوقت الحاضر تحديات كبيرة، تفرضها عليها ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات، مما يجعلنا بحاجة إلى دفعة قوية نحمل بها لغتنا إلى مصاف اللغات العالمية حتى تكون قادرة على استيعاب العطاء الحضاري ومن ثم ازدهاره وقيادته كما كانت من قبل.

لقد كانت الفصحى - ولم تزل - تجمع العرب في أمة واحدة... بل وتجمع المسلمين على لسان عربي مبين فتجعل منهم جسداً واحداً وثقافة واحدة.

إن المؤامرة على العربية الفصحى تستهدف تراثنا التليد، هذه المؤامرة أخذت أشكالاً عدة على مَر الزمان.. من دعوة إلى الكتابة بالعامية، إلى الدعوة للكتابة بالحروف اللاتينية، إلى معارضة لمفاهيم صوتيات اللغة الخالدة. والذين ينظرون إلى هذة المؤامرة يجدونها مرتبطة كل الارتباط بما أعلنه اللورد (دوفرين) في تقريره الذي وضعه عام ١٨٨٢ عقب الاحتلال البريطاني لمصر، حيث دعا إلى معارضة الفصحى وتشجيع العامية، بل واعتبر العامية حجر الزاوية في بناء منهج الثقافة والتعليم في مصر.

وقال في تقريره بالنص الواحد: «إن أمل التقدم ضعيف في مصر، طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصحى - لغة القرآن- كما هي الحال في الوقت الحاضر..!!»

هكذا تحدث (دوفرين)، ثم تبعه المهندس المنصر البريطاني (وليم ويلكوكس)، فدعا في خطابه الشهير عام ١٨٨٣ بنادي (الأزبكية) بالقاهرة إلى ضرورة نشر اللغة العامية والتأليف بها، وأطلق على خطبته عنواناً عجيباً هو: (لماذا لا توجد قوة الاختراع عند المصريين!!؟) وأجاب على ذلك بقوله: لأن «السر في ذلك اللغة العربية الفصحى وإن السبيل إلى إيجاد قوة الاختراع هو اتخاذ العامية بديلاً»

تتابعت الكتب التي ألفها المستشرقون في تسجيل اللهجات العربية المختلفة وتدوين قواعدها. وردد الناس كلامهم. ووجد الجيل الجديد من شباب العرب عذراً يعفيهم من التحصيل. وفي ظل هذه المزاعم والدعوات الجديدة تصدى المصلحون يدافعون عن الفصحى على مدار أكثر من قرن من الزمان. فكتب شاعر النيل حافظ إبراهيم قصيدته المعروفة (العربية تنعي حظها) وفيها يدافع عن الفصحى فيقول في البداية:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم أجزع لقول عداتي

وعلى نفس الدرب أشار الشاعر وليد قصاب إلى ظهور هجينة أفسدت الشعر الفصيح فيقول:

وإذا حداثي تشاعر بينكم
كان الكلام كرقبة العجماء
لا حسّ فيه ولا معاني تصطفي
يا ضيعة الأدباء والشعراء
الشعر رمزي شوهت قسماته
وتشبه بمشاعر الغرباء
كم زاحمتني ألسنٌ عجمية
وعدت عليَّ رطانة الهجناء

هذا عن محاربة الفصحى ودورنا في الدفاع عنها.

واليوم تنشط دعوة خطيرة ترمي إلى تغيير التراكيب النحوية والصرفية للغة العربية، وبصمت خجول يحاول المغرضون سحب البساط من تحت علم النحو العربي، بدعوى أننا نعيش زمن السرعة، فينبغي أن يكون كلامنا بلا تكلف في حركات الإعراب.

وهذة الحجة غير كافية لكي نحكم على النحو بالموت، فحين ينتصر هؤلاء المغرضون - لا قدّر الله - وينجحون في ما يرغبون، تنقلب الأمور على عكس ما يريد راغبوها، فيحتاج القاضي حينئذ إلى فترات طويلة لمعرفة القاتل في الجملة الآتية:

«قتل الخفير محمود»، ولعله يصدر حكماً خاطئاً، اذ يحتمل أن يكون الخفير هو القاتل «قتل الخفيرٌ محموداً»، ويحتمل أن يكون محمود هو القاتل: «قتل الخفيرَ محمودٌ» ويحتمل أن تكون الجملة لا تحتوي إلا

على اسم المقتول ومهنته: «قُتِل الخفيرُ محمودُ» وبذلك يتضح أن ترك النحو يستلزم التأخر وضياع الوقت لا السرعة. وكثيرا ما يستشهد أساتذة العربية بالآية الكريمة: ﴿.. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة فاطر: ٢٨).

فتأمل أيها القارئ التغير الكلي للمعنى إذا رفع لفظ الجلالة (الله) ونصبت كلمة (العلماء).

وقد نبّه شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إلى ضرورة الضرب على أيدي الداعين إلى تغير التراكيب النحوية بشدة بقوله: «إن ديننا الإسلامي قد استنبطت أحكامه من القرآن والسنة بواسطة مبادئ خاصة وقوانين معروفة عند الأصوليين، وأساس هذا الاستنباط هو (لغة العرب) بقواعدها وصرفها وبلاغتها. فلو تغيرت هذه الضوابط أو اهتزت تلك الاصول: انهدم الأساس وتداعى البناء، بل وانهدم الدين بأحكامه، وعدنا سيرتنا الجاهلية الأولى».

ولا أجدني بعد هذا مضطراً للحديث عن أهمية النحو في لغتنا العربية أكثر من ذلك، كما أنني لست مضطراً للحديث عن وسائلنا الإعلامية المرئية والمسموعة التي أسهمت بشكل ملحوظ في الترويج للغة العربية في معزل عن النحو بل استبدلت الفصحى بالعامية، ولا عن المثقفين ورجال الفكر الذين صنعوا لغة حوار خاصة بهم لا تعرف الإعراب والنحو، حتى صارت تسمى بـ (لغة المثقفين)، وإنما أريد أن أنحي باللائمة على رجالات اللغة العربية والغيورين عليها، وعلى رأسهم أساتذة النحو العربي بجامعاتنا العريقة!! الذين لم يحسنوا فن اختيار المنهج، ولم يجددوا ويطوروا فيه.

ولا أدري ما سر الإصرار على اختيار مناهج تعليمية من كتب قديمة همها الأول هو عرض آراء لا مجال لها من الاستخدام الجملي واللغوي؟

إن هذه المناهج القديمة تركز على الشكل دون المضمون والجوهر وهذا يذكرني بمنهج المحفوظات بالمدرسة الأولية بمصر في الفترة من ١٩٢٢- ١٩٥٢، وإليكم المثال الاتي:

أربـــــعـــــة كــــــلاب
مـــــن خيرة الأصــــحــــاب
اتــــفـــقـــوا في مـــــرة
أن يــــركـــبــوا في عـــربــــة
فـــاتــــفـــق الجمــــيــــع
وكــــلــــهـــم مـــطـــيــــع
يـــركب فـــيــهـــا اثـــنـــان
واثــــنــــان يســـحـــبـــان
ومــــن يـــــجـــــر ذاهـــــبـــــاً
يـــرجـــع فـــيــهـــا راكـــبـــاً
فــــكـــــان هـــــذا المنـــــظـــــر
فــــيـــــه الســـــرور الأكبر
وضـــــحك الجمـــــهـــــور
وعــــــمـــــه الحبــــــور

والمتأمل للأبيات السابقة يجدها تهتم بالشكل دون المضمون، أي أنها تهتم بالمحصول اللفظي ولا تكترث بالمحصول العقلي. وهذا من بين أسباب فشل التعليم الأولي في مصر.

وفي صفحات عشوائية من كتاب (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، نجد مسألة نحوية في حكم المحصور بألاّ، فيذكر أن فيها ثلاثة آراء:

أولها مذهب أكثر البصريين والفراء وابن الانباري، والثاني مذهب الكسائي، والثالث مذهب بعض البصريين والجزولي والشلوبين.

ولم يرجح أي رأي من هذه الثلاثة على الإطلاق. فبأيها يعمل طالب العلم المسكين.

إن هذة المناهج القديمة صنعت حالة من النفور تجاه علم النحو. وحين يقول كاتب السطور ذلك فلا يقلل من قيمة وجهد العلماء الذين كتبوها، بل كل ما يصبو إليه هو الإشارة إلى التوصيات الآتية:

١- ضرورة اعتماد مناهج حديثة في علم النحو، تقدم المعلومة في يسر وسهولة وبصورة مباشرة بعيدة عن التعقيد.

٢- ضبط كل كتب التربية والتعليم بالشكل ليستقيم نطق الفصحى ويسهل ترسيخها لدى الناشئة.

٣- حث المسؤولين في الإعلام باعتماد الفصحى أساس في جميع وسائل الإعلام.

٤- تشجيع الخطابة وفن الإلقاء في مختلف مراحل التعليم ومكافأة معلم العربية المشرف على الخطابة والإلقاء والإذاعة المدرسية.

٥- يوضع في الاعتبار عند قبول طلاب جدد بأقسام اللغات التفوق في مجموعة اللغات (عربي - إنجليزي - فرنسي).

٦- إعادة النظر في نظام إعداد معلم اللغة العربية في كليات التربية بزيادة مساحة مادة التخصص (العربية) بما يوازي عاماً دراسياً آخر.

وحين يتم ذلك بمشيئة الله سنجد جامعاتنا تخرج أجيالاً من المتفقهين في الفصحى والعارفين بأسرار النحو في الكلام.. فلعل ذلك ينقذ ذلك العلم الذي دوت حشرجته على أعتاب الاحتضار اللغوي.■

تطور الخط العربي

منذ النشأة وحتى العصر الحديث

حاول الإنسان منذ الأزمنة السحيقة أن يعبّر عن أفكاره وما يدور في خلده، فكان يلجأ في محاولاته إلى أساليب مختلفة بدأت باستخدام الصور والرسوم، ثم تطورت تلك الوسائل بتطور الإنسان وارتقت برقيه إلى أن توصل في النهاية إلى استخدام اللغة المكتوبة، ثم تعددت اللغات واختلفت من مكان إلى آخر واستخدمت الأحرف في كتابة اللغة، وتفنن الناس على اختلاف لغاتهم في كتابتها ونشأ عن ذلك فن الخطاطة الذي أُعِدّ من الفنون الجميلة.

فالخط كما هو معروف فن مبني على أسس زخرفية وقواعد هندسية سواء في الحروف الهجائية أو في الكتابة المختزلة أو في الأرقام العددية، وتشمل الخطاطة أيضاً الكتابة الصورية والرمزية والمسمارية وغيرها مما استعملته الأمم والأقوام في العهود الغابرة، والخط والكتابة والرقم والسطر كلها تعني شيئاً واحداً وقد استخدمها الإنسان منذ أزمنة متطاولة، ثم قام بإدخال التعديلات والتحسينات عليها، وليس من السهل تعيين أي اللغات كانت الأقدم في حياة الإنسان، إلا أنه يمكن الجزم بأن الكتابات الهيروغليفية والآشورية والبابلية والمسمارية والفينيقية كانت من أقدم الكتابات التي ظهرت في الشرق الأدنى والأوسط.

والعرب كغيرهم من الأمم استخدموا الكتابة في التعبير عن آرائهم ومشاعرهم، ولكنهم كانوا يعتمدون على الذاكرة اعتماداً كبيراً، لذا حرصوا على حفظ كل ما يسمعونه من الشعر والأدب والأساطير القديمة وعلم الأنساب وغيرها، لذا قلّ اهتمامهم بالخط والكتابة باستثناء بعض المدن القديمة في الجزيرة العربية التي راجت فيها الكتابة والقراءة، وهناك روايات تشير إلى أن الخط العربي كان معروفاً قبل الإسلام عند المناذرة واللخميين بالحيرة وعند الغساسنة بتخوم الشام، وكذلك الأوس والخزرج بالمدينة وثقيف بالطائف، وفي بعض مدن شمال الجزيرة العربية كدومة الجندل، وعند القرشيين بمكة حيث علقت على جدران الكعبة المشرفة المعلقات الشهيرة.

وينفرد الخط العربي بشكل متميز عن سائر الفنون الأخرى فهو فن أصيل يمتلك إمكانيات جمالية لا يمتلكها أي حرف في أية لغة في العالم، فقد جاء هذا التطور عبر زمن طويل ساهمت فيه عبقريات فنية ساعدت على إثراء هذا التراث. والخط العربي معلم بارز من معالم الإبداع الفني عند العرب استخدمته شعوب عديدة من أهل المشرق والمغرب وكالترك والفرس والهنود وأهل الملايو والأفارقة والمسلمين في البلقان وأوروبا. وقد تبوأ الخط العربي هذه المنزلة المتميزة في التراث الحضاري.

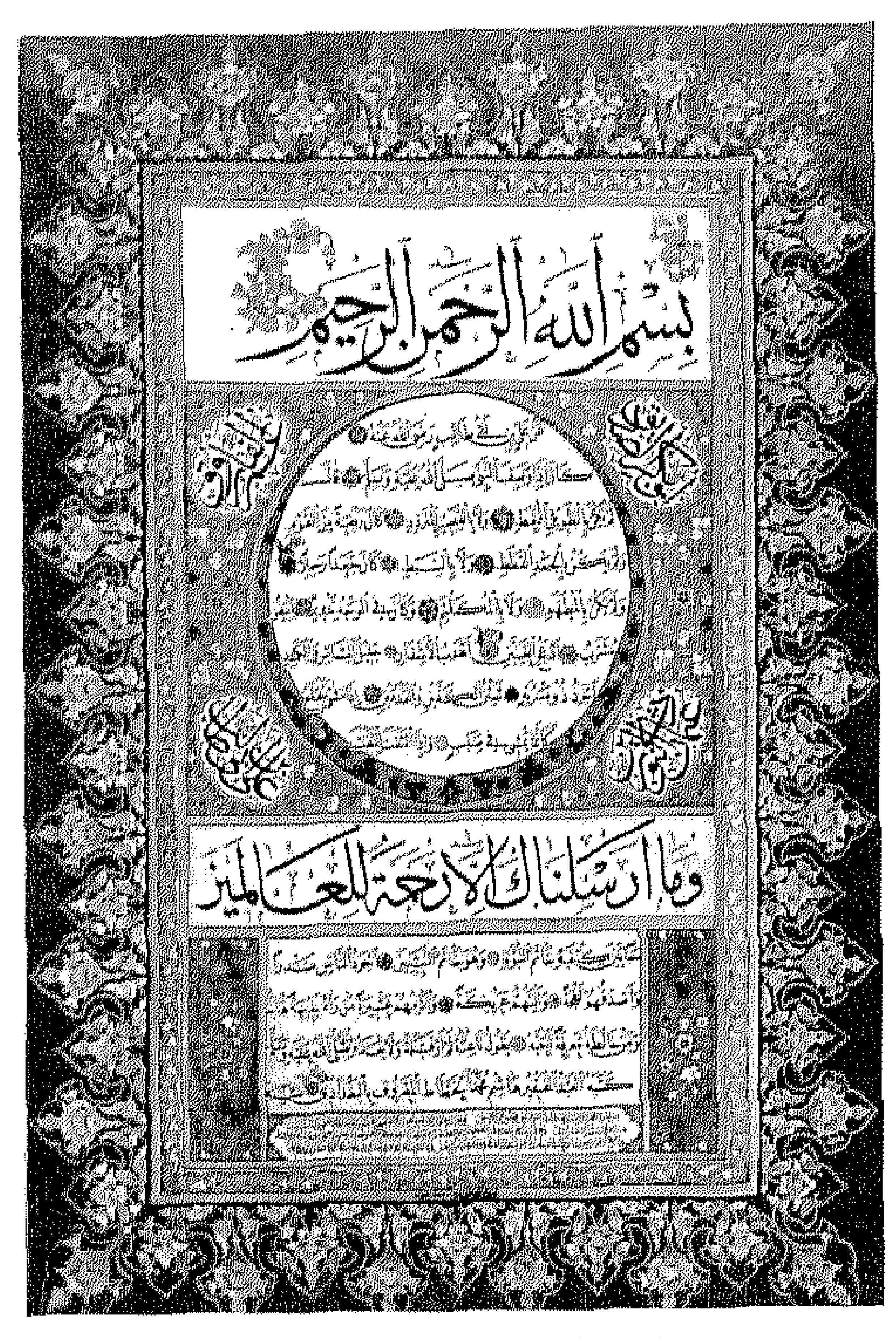
وإذا كان الخط العربي قد تبوأ هذه المنزلة الرفيعة، فالفضل كل الفضل راجع لأثر الإسلام العظيم في انتشار الكتابة العربية وتطورها وازدهارها فمنذ نزول الآية الأولى على المسلمين من كتاب ربهم سبحانه تضمنت الأمر بالقراءة ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. وفي موضع آخر ذكر الكتابة ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ وغيرها الكثير من الآيات والأحاديث النبوية التي تحض على القراءة والكتابة واستخدام القلم. وبذلك كان الخط العربي ينقل لنا الكلمة المقدسة ذات المعنى فتتحد الثقافة بالفن فيصبح من أهم وسائل المعرفة للإنسان.

لقد تطور الخط العربي عن الكتابة النبطية، وأخذ عرب الجزيرة كتابتهم عن أبناء عمومتهم الأنباط الذين هاجروا إلى جنوب البحر الميت وشرقه في القرن الخامس قبل الميلاد. كما احتك أبناء مكة القرشيون بأبناء عمومتهم الأنباط الذين ورثوا خطهم من الآراميين، إذ كانت دمشق موطن الحرف يتعلمه الكبار والصغار في معبد (حدد) الآرامي حيث طوروا الخط

الآرامي وكتبوا به. وحين حمل التجار القرشيون بضاعتهم من خلال رحلة الشتاء والصيف إلى الجزيرة العربية، كان الخط الآرامي النبطي أحد أهم العناصر التي حملها التجار فكتبوا بهذا الخط بعد أن هذبوه وطوروه، حتى جاء الاسلام وعني بالخط عناية فائقة وذلك من خلال القرآن الكريم فارتقى في مسالك الفن حتى بلغ حد الإعجاز على يد المسلمين وغدت له أشكال وأنواع وقواعد ورسوم وهيئات يعجز عنها الوصف. إن الخط العربي اتخذ في أول الأمر اسم المدينة والمكان فكان الخط النبطي نسبة إلى الأنباط والخط الحيري والانباري نسبة إلى الحيرة والانبار والخط المكي ثم المدني نسبة إلى مكة والمدينة بعد الهجرة.

ولما انتقل مركز النشاط السياسي والثقافي من الحجاز إلى العراق في أواخر الخلافة الراشدة عرفت جميع الخطوط في تلك المنطقة بالخط الحجازي باعتبار مصدر نشأتها، وأغلب الظن أن الخط الحجازي كان يميل إلى الليونة أو شبه الليونة، ولكن مع انتقال مركز النشاط السياسي إلى العراق كان هناك اتجاه لاستخدام الخط الجامد، حيث ازدهر هذا الخط وبشكل خاص في مدينة الكوفة، فقد عني أهل الكوفة بهذا الخط عناية خاصة وأجادوا أصوله وهندسته وأشكاله حتى بدأ هذا الخط يتميز عن الخطوط الحجازية تميزاً واضحاً، واستحق أن ينفرد باسم خاص به وهو الخط الكوفي، ولم يكن هذا الخط في الكوفة فقط بل كان يستخدم في معظم أنحاء العالم الاسلامي، ولكن اسم الكوفي أصبح اسما عاما لهذا الخط اليابس سواء كان في الكوفة أو المدينة المنورة أو غيرهما وكانت تكتب به المصاحف واللوحات التذكارية وشواهد القبور، وتُحَلَّى به المباني وتسك به النقود، أما الخط الحجازي اللين فكان غالبا ما يستخدم في المكاتبات السريعة والحسابات والأغراض اليومية المختلفة، وقد تزامن ظهور الخطين الكوفي والحجازي، وكانت لكل منهما خصائص متفردة منذ البداية، وليس من شك في انهما من اقدم الخطوط ظهورا في الإسلام.

وإذا كانت الكوفة قد طورت الخط المدني وأخضعته لقواعد الصنعة، فإن دمشق قد دفعت به مراحل نحو التقدم والتحسين، ونتج عن ذلك طريقة خاصة أطلق عليها الخط الشامي الذي ذكره أبو حيان



من إبداعات هاشم البغدادي- العراق

من طرائق الخط الكوفي وكان من الطبيعي أن يظهر الخط الشامي في دمشق أيام الأمويين عاصمة الملك، بالإضافة إلى ذلك ظهرت طرق جديدة من الخط الكوفي في الأقاليم المفتوحة فمنذ افتتاح مصر سنة ٢٢هـ انتقل إليها الخط المدني ثم الخط الشامي مع الفاتحين، وأنشأ عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ مدينة القيروان، فما لبث أن ظهر فيها الخط القيرواني الذي ذكره أبو حيان في رسالته وابن خلدون في مقدمته.

فانتقال الخط إلى شمال أفريقيا كان عن طريق المدينة أولا والشام ثانيا، ومنذ تأسيس القيروان سنة ٥٠هـ وحتى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ كان الخط القيرواني قد انطلق وثبت وتطور ولم يدخل في ذلك الخط الأندلسي لأنه ظهر بعد فترة طويلة من سقوط الدولة الأموية، وبعد مبايعة عبد الرحمن الداخل في قرطبة سنة ١٣٩هـ.

أما عن تطور شكل الخط العربي وهيأته فإن التطور الأول للخط العربي كان على يد أبي الأسود الدؤلي بإرشاد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله

وجهه فقد جلس أبو الأسود بين يديه مستمعاً إلى توجيهه وإرشاداته، ومن ثم ليقرأ المصحف على كاتب لقنه فصيح اللغة يأمره بوضع نقطة حمراء فوق الحرف دلالة على الفتحة، ونقطة تحته دلالة على الكسرة، ونقطة بين يدي الحرف دلالة على الضمة، ونقطتين دلالة على التنوين. وقد كان هذا هو التطور الأول للخط لوضوح أصول النحو. وكان هذا النقط هو إعراب الكلمة بالفتحة والكسرة والضمة. وتأتي أهمية العمل الذي قام به أبو الأسود الدؤلي من أنه شكل بدقة كلمات المصحف من أوله لآخره بالمنهج الذي وضعه وهذا حدث هام في تاريخ الخط والقرآن والنحو والكتابة.

ثم كان التطور الثاني وهو نقط الحروف المعجمة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على يد مضر بن عاصم الليثي المتوفى سنة ٨٩هـ ويحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٢٦هـ وذلك لما كثر اللحن وعظم التصحيف.

أما التطور الثالث والمعجز للخط العربي فكان على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥هـ، وكانت الخدمة الجليلة التي قدمها هي ابتداعه التشكيل المعروف في هذه الأيام وبذلك تخلصت الحروف من الألوان وغدا الخط العربي في جمال وتألق.

وما أن جاءت الدولة الفاطمية حتى نافست العباسيين في العراق بجودة الخط، وقد تقدم الخط العربي تقدما عظيما وأصبحت له مدارس عامرة وأساتذة يعلمون الخط بعناية وتدبير، وقد ظل الحال كذلك حتى عصر المماليك وبقيت الشام المعين الذي يرفد العالم الإسلامي بأجمل الخطوط. فقد كان الخط يرقى ويتطور ويأخذ القيمة الجمالية في زمن السلاجقة وزمن نور الدين الزنكي وخلفه صلاح الدين الأيوبي.

وفي زمن الدولة العثمانية ارتفع شأن الخط العربي على يد الخطاطين ووصل إلى قمة الاتقان والجمال، وقد فتحت له المدارس فكانت مدرسة تحسين الخطوط في الأستانة سنة ١٣٢٦هـ، ومدرسة تحسين الخطوط في كل من الإسكندرية والقاهرة وقد أقبل على الخط خاصة الناس، وظهر على رأس المدرسة العثمانية شيخ الخطوط وأستاذها الشيخ حمد الله ١٢٢٩ - ١٣٢٠هـ.

وكان يكتب بأسلوب ياقوت المستعصمي الذي طور أسلوبه وبرع في خطي النسخ والثلث وكتب القرآن الكريم بخط نسخي خالف فيه قواعد الأوائل فجاء جميلا مختزلا، ومن بعده جاء الخطاط الحافظ عثمان الذي قام بعملية تشذيب وتهذيب لأسلوب الشيخ حميد الله فكان سيد النسخ بدون منازع.

وقد ظهرت في العهد العثماني أنماط جديدة للخط لم تكن معروفة من قبل مثل الخط الرقعي والخط الديواني والخط الديواني الجلي وخط السياقت وخط الظفراء وخط قرمة التعليق والخط السنبلي. وقد اتخذت هذه الخطوط سبيلها في الحياة العملية وأصبح الخط الذي نكتب به اليوم هو خط الرقعة وغدا خط النسخ الدمشقي خط الكتب والمطبوعات وغيرها.

في مطلع القرن الماضي ظهرت المدرسة الدمشقية

من أعمال الفنان سامي- تركيا

في الخط العربي على أيدي مجموعة من الرواد الأوائل نذكر منهم: مصطفى السباعي، ممدوح الشريف، الشيخ محمد الزرزور، وبدوي الديراني، وغيرهم، وشكلوا رابطة نهضة الخط العربي. وقد وضع هؤلاء الرواد قواعدا للمدرسة الشامية في الخط فكان خط التعليق يتسم بالفتنة الدمشقية بعد أن تجمل على يد الأستاذ بدوي الديراني واختلف عن المدرسة الفارسية وقد اكتسبت الحروف على يديه الرشاقة المتميزة والتي لم يصل إلى مستواها الجمالي خطاطو الفرس والترك. كما اتخذت حروف الثلث والكوفي على يد ممدوح الشريف رصانة وكمالا. واتخذ الخطاط الدمشقي حسني البابا تراكيب بخط الثلث أعجزت أساطين الخط في اسطنبول.

لقد كان لاعتداد العربي بما تناقلته شفته من روائع هذه اللغة أن شحذ همته في أن تكون لبوس الكلمة المسموعة على مثل مستواها في الكلمة المكتوبة، وهو ما يشير إليه الخبير بالمخطوطات العربية (مارتن لنكس) وما سبقه اليه ياقوت المستعصمي بقوله: «الخط هندسة روحانية بآلة جسمانية». وقد ورد في مأثور كلام العرب الكثير مما يشير إلى هذا التداخل ما بين ما هو مسموع وما هو مكتوب كقول الفارابي بأن «الخط أصيل في الروح وإن ظهر بحواس الجسد» أو القول المأثور بأن «حسن الخط إحدى الفصاحتين»، ومثله قول بعضهم «الخط لسان اليد وبهجة الضمير» أو قول عبدالحميد الكاتب «البيان في اللسان والبنان»، ومثل هذه الرؤية لأهمية الخط عند المسلمين هي التي دفعت به إلى أن يتخطى مهمته في الكتابة إلى نزوع أصيل في الفن



لوحة للعبد ميرخاني- إيران

التشكيلي.

وأخيراً أستطيع القول إن الخط العربي قد امتلك دلالات عديدة حسابية ونقشية واعتقادية وأبعاداً ثقافية وفنية جمالية ويعتبر الخط رياضة روحية يمارسها الخطاط فينقطع عن عالم المادة نحو عالم الروح والتسامي، وهذا يمنح الدقة في الخط بحيث إن حرفاً في خط الثلث مثلاً عندما يتكرر في الكلمة أو الجملة تستطيع أن تقيسه بأجزاء المليمتر.

إن الفنان العربي قد فعل ذلك بالسليقة وإحساسه العفوي المباشر وتقنيته الفذة.. فتحول الخط العربي إلى ميزة قومية عالمية الأبعاد، إنسانية الشأن.

والله من وراء القصد! ■

الأسانيد:

١) القرآن الكريم.

٢) إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي.

٣) أحمد أبو الحسن، رحلة الخط العربي من الكتابة النبطية إلى المدرسة الدمشقية،

http://arabgate. info/culture/ language/ index/ arab-caligraphy.html

٤) بلند الحيدري ، رحلة الحروف العربية إلى فننا الحديث،

http://www.nizwa.com/volume8/p145-155.html

٥) جمعة قاجة، حديث الخط العربي الإسلامي،

٦) سهيلة ياسين الجبوري، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية، مكتبة الزهراء، بغداد، ١٣٨١ هـ.

http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2001/issue64/thaskeel/2.htm

٧) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٢م.

8) abdul-Qahir Khutaibi & Mohamed Sizelami, the splendour of Islamic Calligraphy, Thomas & Hudson, London: 1976.

٩) محمد يوسف صديق، الخط العربي وأثره الحضاري، مجلة الجامعة الإسلامية، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، عدد شوال - ذي الحجة ١٤١٤هـ.

من عيون التراث

قراءة في مخطوطة

ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط

تأليف: أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي

■ عرض وتلخيص: عبد الحميد منصور

هذا العنوان لمخطوطة كتبها (الحازمي) الذي ولد في همذان سنة(٥٤٩هـ موافق ١١٥٤م)، ثم إلى بلاد فاس، ثم استوطن بغداد حتى وافاه أجله فيها سنة (٥٨٤هـ موافق ١١٨٨م).

تصنف هذه المخطوطة بين علوم (قاموس الجغرافيا) الذي أسهم العرب في نشأته في القرن الثاني الهجري، ثم أخذ بالتطور حتى ظهر في القرن الخامس للهجرة كتاب بعنوان (معجم ما استعجم) لأبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري (المتوفى سنة ٤٨٧هـ) ثم ظهر في أوائل القرن السابع للهجرة كتاب بعنوان (معجم البلدان) لمؤلفه ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ).

وكان هذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن، من خلال هذا العرض الموجز،من المصادر الهامة التي أخذ عنها ياقوت الحموي، أثناء تأليفه كتابه، وقال عنه: إن أصله مأخوذ من كتاب (فيما اختلف وأتلف من أسماء البقاع) الذي ألفه (أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندري النحوي، المتوفى سنة ٥٦٠هـ ١١٦٥م).

وقد صنف المؤلف (يرحمه الله) كتابه هذا على طريقة المعجم، وبحسب ترتيب أحرف الهجاء العربية، فبدأ بسرد البلاد والأماكن،التي يبدأ اسمها بحرف الألف، وكتب تعريفاً لها، وأوردها متتالية حسب الترتيب الأبجدي العربي، وعرضها في كتب وأبواب. وضمَّن كتاب الهمزة (٣٥) باباً، وجعل لكل مجموعة من الكلمات المتفقة في اللفظ،المختلفة في المعنى باباً خاصاً بها، وعرض في كل باب الكلمات المتشابهة مشكولة بعلامات التشكيل، ليعرف لفظها. فقال في كتاب الهمزة، في (صفحة ١٣):

باب أجْنادَين و أجْيادَين

الأول (أجْنادَين) بعد الجيم نون، والدال مفتوحة، كذا يقوله أكثر أصحاب الحديث، ومن المحصلين من يكسر الدال (أجنادِين) الموضع المشهور بالشام، ناحية دمشق، حيث كانت الوقعة بين المسلمين والروم، وقتل فيها نفر من الصحابة. وأما الثاني (أجيادين) بعد الجيم ياء تحتها نقطتان، والباقي نحو الأول، فهو شُعبا أجيادين، محلتان بمكة، يقال لأحديهما أجياد الكبير، والأخرى الصغير، وقال أبو نصر الجوهري: أجياد: جبل بمكة المكرمة.وقال في كتاب الباء (صفحة ٦٠):

باب بُعَاث وبِغَاث

الأول (بُعاث): بضم الباء وفتح العين المهملة، وآخره ثاء مثلثة، موضع في المدينة المنورة، كانت فيه وقائع بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، أما الثاني: بكسر الباء، وبغين معجمة، برق يبض في أقصى ديار أبي بكر بن كلاب.وقال في كتاب التاء (صفحة ٧٥):

باب تَبُوك ونُبُوك

الأول (تَبُوك): بفتح التاء بعدها باء موحدة، مضمومة مخففة، وآخره كاف، قرية ناحية الشام، بينها وبين وادي القرى مراحل، وإليها انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد غزو الروم، أما الثاني (نُبُوك): اسم موضع في هجر. وقال في كتاب الثاء (صفحة ٨٦):

باب ثَوْرَة وبُورَة

الأول (ثَوْرَة): بفتح الثاء والواو ساكنة بعدها راء، نهر بدمشق (ولفظه المشهور الآن بين الدمشقيين بالتاء المضمومة (تُورة) وليس بالثاء)، أما الثاني (بُورَة) له باء موحدة مضمومة، والباقي نحو الأول، مدينة على نهر النيل، يصطاد منها سمك يقال له البوري.وقال في باب حرف الجيم (صفحة ١١٩):

باب جَوْلان وخَوْلان:

الأول (جَوْلان): بالجيم المفتوحة، من نواحي دمشق، وهي المنطقة السورية التي تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧م، وما زالت سورية تعمل على تحريرها بكل الوسائل) وكان الصحابي الجليل بلال بن رباح، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزل فيها، وتزوج من أهلها. وفيها هلك ابن حجر الغساني.

أما الثاني (خَوْلان): أوله خاء معجمة، خولان حمير، بلد باليمن،وإنما نسبت إلى القبيلة،أو نسبت القبيلة إليها.وقال في باب حرف الحاء (صفحة ١٤٦):

باب الحُلَيْف والخَليف

الأول (الحُلَيْف): بضم الحاء وفتح اللام، موضع نجدي،وأما الثاني (الخَليف) أوله خاء معجمة، ثم لام مكسورة، جبل. وقال في باب حرف الخاء (١٦٣):

باب خَيْبَر وحَبْير وحُنَيْن

الأول (خَيْبَر): بفتح الخا بعدها يا ساكنة، ثم با موحدة مفتوحة، وآخره را، الناحية المشهورة بينها وبين المدينة المنورة مسيرة أيام، وهي تشمل على حصون ومزارع، ونخل. وأما الثاني (حَبِير): أوله حا مهملة مفتوحة، بعدها يا موحدة مكسورة، ثم يا تحتها نقطتان، موضع بالحجاز، له ذكر في أشعارهم.. وأما الثالث (حُنَيْن) بعد الحا نون مفتوحة، وآخره نون أيضاً، وادي حنين قرب الطائف، وقد جاء ذكره في الكتاب العزيز، قال الواقدي بينه وبين مكة ثلاثة أميال.

ثم تابع المؤلف كتابة ما حصل لديه من علوم الجغرافيا، في البلدان وغيرها من الأماكن، مسلسلة حسب الحروف الأبجدية إلى أن وصل في آخر عمله إلى كتاب الياء.■

٩٨

بطاقة المخطوطة

العنوان: ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط.

المؤلف: الحازمي.

الناشر بالتصوير: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية – جامعة فرانكفورت – ألمانيا.

إصدار: فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث ج المجلد ٣٥.

الصورة مأخوذة عن مخطوطة (لاله لي) ذات الرقم (٢١٤٠) المحفوظة في مكتبة السليمانية في مدينة استانبول.

مكان وجود صورة المخطوطة في دولة الإمارات: المجمع الثقافي بأبوظبي برقم ٣، ٩١٠م / ح أم أ.



فنجان القهوة..

الأول للضيف.. والثاني للكيف

- راعي السمن أولاً.. ثم الفرسان عند تقديم الفنجان
- استهلاك العالم من القهوة ٤٠٠ بليون فنجان سنوياً

■ د. رضا عبد الحكيم رضوان

قليلة هي الممارسات اليومية التي تستطيع أن تنافس فنجان قهوة جيداً في قدرته على منحنا المتعة الحسية الكاملة. ويمكن لعبير القهوة الساخنة الفتان التي تم إعدادها من حب حديث التحميص أن ينتزع النائمين من أسرتهم وأن يغري المارة بدخول المقاهي لاحتسائها. بل إن ملايين البشر في سائر أنحاء المعمورة يجدون صعوبة في بدء يومهم بدون دفقة الصفاء الذهني التي تمنحها إياهم مادة الكافيين في القهوة[1].



إكرام الضيف بتقديم القهوة له

ويتفق الذواقة على أن سيدة القهوة هي (الاسبريسو)[٢] وهو الفنجان الصغير الحجم المصنوع من الخزف الصيني الثقيل، الذي يملأ نصفه بشراب أسمر داكن يعلوه زبد كثيف ناعم ذو لون بني ضارب للحمرة يسمى كريما[٣]، وباعتبار هذه الكريما تتألف من فقاعات غازية دقيقة مغلفة بأغشية رقيقة، فإنها تحتفظ بشكل مدهش بنكهات القهوة وعطرها المميز وكذلك الكثير من حرارتها[٤].

ويؤكد محبو القهوة أن الاسبريسو المعدّة جيداً تمثل القمة بين أنواع القهوة، لأن طريقة تحضيرها الخاصة تعظم وتظهر المزايا المتأصلة في حبوب البن، وتوضح الاسبريسو ما نقصده هنا من حيث كونها في الحقيقة خلاصة لجميع التقنيات المتعددة المستخدمة في تحضير القهوة ومختلف عمليات النقع والترشيح[٥].

وقد عُرف العرب قديماً وحاضراً باهتمامهم غير العادي وتذوقهم المتميز للقهوة، وجعلوا تقديمها أول الواجبات في مضافاتهم القبلية ومجالسهم وبيوتهم. ولهم فيها تقاليد وأعراف، يعتزون بها، ويختلفون قليلاً في تفاصيلها حسب بلدانهم.

وتشير بعض الآثار إلى أن الشاي كان معروفاً في الصين منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف عام، وإن كانت الكتابات التي تذكر ذلك صراحة لا ترجع إلى أبعد من سنة ٣٥٠م. أما بالنسبة للبن (والقهوة) فلم تظهر إشارات تاريخية - فيما وقع تحت يدي من مصادر- تشهد له بتاريخ مماثل في القدم ومع ذلك فيما ترجحه بعض المصادر[٦]- فيبدو أن الشعوب العربية (في شبه الجزيرة العربية) كانت تشربه منذ ألف سنة على الأقل[٧].

وثمة دراسات حديثة نشرتها جمعية القهوة الوطنية في الولايات المتحدة، العام ٢٠٠١م تؤكد أن القهوة أكثر المشروبات شعبية، إذ يستهلك منها أكثر من ٤٠٠ بليون فنجان سنوياً، فلقد كانت القهوة والكافيين موضوع دراسة مكثفة خلال الربع الأخير من القرن العشرين، حيث ينشر ما يتراوح بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ بحث كل عام حول هذا الموضوع[٨].

كما أبرزت البحوث التاريخية في رصيد تراث الشعوب حول تقليد وعادة تناول القهوة أنه ما بين عامي ١٠٠٠ قبل الميلاد و٥٠٠ بعد الميلاد، كانت قبائل أورومومس البدوية التي تقطن مملكة كيفا (أثيوبيا حالياً) تأكل البن مهروساً ومخلوطاً بالدهن ومقولباً بمقادير في حجم كرة الجولف، كما كانت تستخرج منه شراباً منبهاً (كحولياً في الغالب) وأن نحو ٦٠٠ نوع من القهوة جلبها التجار عبر البحر

الأحمر إلى الجزيرة العربية وبخاصة اليمن حالياً.

وحتى أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر بقيت حبوب البن احتكاراً عربياً، ولقد جُلبت إلى تركيا ومصر وسوريا بواسطة الحجاج المسلمين العائدين من مكة. وفتحت لها المقاهي العربية في القسطنطينية ودمشق وغيرها من مدن الشرق الأدنى، حيث تعرفها التجار الأوروبيون وبخاصة الفينيسيون[٩].

أصل وجودة البن العربي

إن حبوب البن النيئة هي بذور نباتات تنتمي إلى فصيلة الفويات (Rubiaceae) التي تشتمل على ٦٦ نوعاً (species) على الأقل من جنس (genus) البن (coffea). أما الصنفان اللذان يستثمران تجارياً فهما البن العربي (coffea arabic) الذي يشكل ثلثي إنتاج العالم، وبن كانيفورا (c.canephora). الذي يطلق عليه غالباً اسم البن الخشن، والذي يشكل ثلث الناتج العالمي. ويمتلك نبات البن الخشن وجميع أصناف نبات البن البري ٢٢ صبغياً (كروموزوما)، في حين يمتلك البن العربي ٤٤ صبغياً، لذا فإن البن العربي لا يمكن تهجينه مع أنواع البن الأخرى لإنتاج نبات هجين (hybrid).

ويعود أصل شجرة البن العربي إلى المرتفعات الأثيوبية، ويتراوح إنتاجها ضعف قرينتها من البن الخشن، وهي شجرة رهيفة نوعاً ما، يتراوح ارتفاعها بين ٥ و٦ أمتار وتعيش في الأجواء المعتدلة وتحتاج زراعتها إلى عناية خاصة.

ويذكر أن القهوة المصنوعة من البن العربي تكون ذات رائحة نفاذة ومعقدة تذكرنا بالزهور والفاكهة والعسل والشوكولا، والكراميل (السكر المحروق) أو الخبز المحمص، ولا يتجاوز محتواها من الكافيين ١,٥ في المائة من وزنها. ونظراً لتفوق نوعيتها وطعمها فإنها تباع بسعر أعلى من ابنة عمها القاسية الخشنة[١٠].

تحضير القهوة

هناك طرق محدثة في تحضير القهوة، مثل: طريقة الترشيح بالفلتر (الترشيح الآلي، قوارير ميليتا وكيميكس)، ففي هذه التقنيات الشائعة يوضع مسحوق البن الناعم في آنية مبطنة بأوراق ترشيح وينبغي استخدام مسحوق بن متوسط النعومة في حالة استخدام الفلتر الذهبي ذي الاستعمال المتكرر. وثمة ملاحظتان ينبغي اعتبارهما لصنع القهوة، أولهما تبليل ورقة الترشيح بماء ساخن لإزالة طعم الورق، أما الأخرى فهي التأكد من أن الماء المستخدم والقريب من درجة الغليان لا يستغرق أكثر من أربع إلى ست دقائق للمرور عبر مسحوق البن المستخدم بهدف تحقيق مستويات مثلى من الاستخلاص، ويمكن التحكم في زمن الاستخلاص لجهاز تحضير القهوة الآلي بضبط كمية الماء، بحيث يستغرق تدفقها فترة الأربع إلى الست الدقائق المطلوبة.

والطريقة الأخرى هي: المكبس الفرنسي أو قدر المكبس، يتم في هذا الجهاز دفع القهوة في الماء الساخن قبل ترشيح مسحوقها، ويكون على المرء أن يخلط الماء الساخن مع مسحوق البن الخشن في الوعاء ويتركه منقوعاً لفترة تتراوح بين دقيقتين وخمس دقائق تبعاً لتركيز القهوة المرغوب. وبعدها يتم ضغط مصفاة مكبس الشبكة السلكية ببطء عبر النقيع لفصل تفل القهوة في قاع الوعاء[١١].

والظاهر أن الأتراك اتبعوا الطرق العربية التقليدية،

سُنّة القهوة

- التقديم من اليمين
- تناول الفنجان ومناولته تكون باليد اليمنى
- سلامة الفنجان من العيوب
- عدم تخطي الدور
- الاعتدال في الجلوس والانحناء عند التقديم
- الشرب عدة مرات
- هزّ الفنجان عند الاكتفاء



خصوصاً أسلوب المصريين ويمارسه أبناء الريف في مصر عموماً. حيث يتم غلي القهوة غلياً خفيفاً، تخلط بكميات متناسبة من البن المطحون والماء والسكر في وعاء خاص يسمى إبريقاً[١٢] (ibrik)، ويوضع هذا الأخير على النار مباشرة ويحرك الخليط ببطء حينما يبدأ الغليان، يوقف التحريك حينما لا يعود مسحوق البن يلتصق بالملعقة وحالما يبدأ الخليط بالغليان وترتفع رغوته، يزاح الإبريق عن مصدر الحرارة[١٣]، وينقر للتقليل من ارتفاع الرغوة نوعاً ما. تكرر هذه العملية مرتين إضافيتين على الأقل، للحصول على شراب غليظ القوام حلو المذاق. أما في دول الخليج العربية فتغلى على النار لفترة، وعادة ما يكون البن خشناً قليلاً، ويضاف إليها الهيل والزعفران أحياناً.

سُنّة القهوة

أَلِف العرب - وما يزالون - هذه العادة وهي (تضييف) القهوة، حيث تحكم المعزب والضيوف معاً، وإن كان هناك اختلاف بين مكان وآخر فهو نسبي ضئيل، ولا يشكل خرقاً (للقوانين) المعمول بها، وتشمل هذه المادة: القهوة، والأدوات، وطريقة التقديم والشرب، وتسمى في الخليج (سنة القهوة) ويمكن حصرها بما يلي:[١٤]

كمية القهوة في الفنجان

رشفة صغيرة تغطي قاعه بارتفاع سنتيمتر تقريباً، وزيادة كمية القهوة أكثر من ذلك منتقدة، لأنها تعبر عن الجشع من جهة، وتقلل رغبة الشرب في الفناجين التالية، من جهة ثانية، وتسبب ضرراً، ما يجعل مشاركته المستمرة في القهوة أمراً متعذراً، وهي أخيراً تشعر الضيف أن المعزب مستعجل، وينتظر رحيل ضيوفه بفارغ الصبر.

أما القرويون فتكون كمية القهوة في فناجينهم أكثر قليلاً، وأصحاب الكيف يميزون بين الكميتين جيداً فيقولون لمن يزيد: «حبتك فلاحية»، ولمن يقلل: «حبتك بدوية».

أما من يزيد الكمية أكثر فيرون فيه غشماً لا يفرق بين القهوة وبين الماء، وينبه علناً للالتزام بالمقدار. أما من فعل ذلك عامداً فهو مرتكب إهانة مباشرة للشارب، ولذلك يمتنع عن شربه، ولا يحدث هذا في الحالات العادية أبداً. و(صبة) القهوة - كميتها - في جنوب فلسطين تشبه مثيلتها في الشمال، ومن رغب في أن يملأ الفنجان لا يلبى طلبه، ولا يستأهل القهوة.


النار الطبيعية تكسب القهوة مذاقاً خاصاً

مسكة الفنجان

يحمل المعزب الدلة بيده اليسرى، وربما يحمل فنجانين أو ثلاثة لا أكثر - هذا في الخليج وبلاد الشام- ويدير القهوة على الحضور وهو واقف، وعند الصب ينزل خيطاً من القهوة مع رفع الدلة عن الفنجان دون قطع الخيط، والغاية من هذه الحركة إمتاع الضيف بمنظر انسكاب القهوة، الذي طالما تغنوا به قبل شربها، وقبل تقديم الفنجان ينقر نقرات سريعة على (زنبوعة) الدلة كي تتساقط القطرات المتبقية في الفنجان ولا تقع على الأرض، أو تصيب ثياب أحد. ومن واجب الضيف أن يعتدل - إذا كان متكئاً - عند تناوله الفنجان بيده اليمنى من أسفله، لأنه من غير اللائق أن تمس أعالي الفنجان محافظة على نظافته، ومن واجب المقهوي - الذي يصب القهوة - أن ينحني ليصبح الفنجان أدنى من صدر الضيف وفي متناول يده.

أما في جنوب فلسطين فيجلس المقهوي أمام كل ضيف ليقدم له القهوة، ويجب أن يناول الفنجان بيده اليمنى، وكذلك على المستقبل أن يتناوله بيمناه وهو جالس. وإن كانت يمنى أحدهما مقطوعة أو مشلولة معطلة، كان على الصاب أن يضع الفنجان باليد

اليمني، وهذا هو الشائع في شبه الجزيرة العربية، ولا يقدمها باليسرى إلا بعض سكان المدن ممن يجهلون التقاليد، بخاصة في هذه الأيام.

إدارة القهوة

لا يدير القهوة العربية على الشاربين إلا رجل. قد يكون صاحب البيت أو ابنه، أو أحد المقربين. وقبل أن تدار أول مرة، على المقهوي أن يشرب الفنجان أولاً، ولا بد أن يكون الفنجان سليماً من أي عيوب، وقد يتعرض المقهوي لبعض المواقف الحرجة لاختلاف مقامات الناس، ولكن هناك جملة من الضوابط المختلفة الحالات:

القاعدة الشائعة في بلاد الخليج العربية والشام تقول: «ابدأ بيمينك ولو أبو زيد على يسارك»، وهذا هو المطبق فعلاً إن كان الحضور من المحلية – أي الأقارب والجيران – بغضّ النظر عن الفوارق في العمر أو المراكز أو الدرجة العلمية، وهي قاعدة عادلة، ولهذا يصب المقهوي القهوة في الفناجين التي يحملها وعادة ما تكون فنجانان أو ثلاثة، ثم ينحني أمام الأيمن فيقدم له الفنجان الأول، ثم الثاني للثاني، والثالث للثالث. وبعد ذلك يعود إلى الأول الذي انتهى من شرب فنجانه أولاً، فيعرض عليه القهوة ثانية فإن هزّ الفنجان، فهي إشارة اعتذار، فيتناول الفنجان منه، وينتقل إلى الرابع من اليمين فيصب فيه، وهكذا حتى يصل إلى آخر الضيوف في اليسار، ولكن كثيراً ما يتنازل بعض الشاربين عن حقهم في القهوة، فيمنح دوره لجاره الأيمن إن كان أكبر سناً.

ولا يجوز تخطي الدور إطلاقاً حتى ولو كان الجالس طفلاً صغيراً فيجب أن تعرض عليه القهوة أولاً وله أن يقبلها أو يعتذر عنها. أما إذا أعدت القهوة على شرف ضيف قادم من منطقة بعيدة، أو دخل أثناء إعدادها، فإن الدور يبدأ به أينما كان مجلسه، ويستمر بمن يجلس عن يمينه حتى ينتهي بمن يجلس عن يساره. وهذا التقدم يعبر عن تقدير المعزب وبقية الحضور للضيف. وبعض الناس يقدم الضيف مرة واحدة، ليعود الدور في المرة الثانية إلى اليمين، وبعضهم يقدمه مرتين أو ثلاثاً، وآخرون يستمرون في تقديمه، وإذا كان عدد الضيوف أكثر من فنجان واحد فإن الدور يبدأ بأكبرهم سناً ثم الذي يليه، ويستمر هكذا إذا لم يكن في المجلس غيرهم، أما إذا وجد آخرون فالأفضل أن تدار القهوة في المرة الثانية من اليمين كالعادة، وهذا دارج. وهناك من يعارض فكرة الدور لأنها تساوي بين من يستحق القهوة وبين من لا يستحقها. والقهوة في نظر أصحاب هذا الرأي ذات مكانة عالية لا يجوز أن تصب لأي كان، ولا يجوز تقديم الفنجان الأول لرجل ما لمجرد قعوده في يمين المجلس، وتحدد الأبيات ذوي الأولوية في القهوة:

عدى وصب للي تدفق السمن يمناه
طول الزمان وما رده ما يضوح[١٥]
ثني وصبه للي تكره الخيل ملقاه
يرخص بروحه عند راعي اللدوح[١٦]
ثلث وصب للي يزعج النزل[١٧] طرياه
يضوي ليا صكت عليه النبوح
وباقي الرجال فحول نسوان ورعاه
حراس مال ويتبعون السروح[١٨]

فالرجل الجواد الذي يصب السمن على المناسف ليشبع الجياع، ولا يدخر مالاً، ولا يخلو بيته من هؤلاء – حيث يشح الطعام في أيام المحل – هو الأحق بالفنجان الأول إكراماً له، ومن يعرف حال الفقراء في البوادي والأرياف حتى زمن قريب يدرك أهمية وجود هؤلاء الكرماء، فبيوتهم أشبه بمطاعم عامة مشاعية، يمر بها عابر السبيل أو يقيم أياماً يأكل فيها ويشرب القهوة، وينام دون أن يسأله أحد عن اسمه أو قصده. وكثيراً ما تقيم الأسرة المعوزة إلى جوار هذه البيوت معتمدة عليها في معاشها، فمثلاً هؤلاء الكرماء يستحقون الفنجان الأول.

ويلي هؤلاء في المكان الفرسان المعلمون الذين إذا حضروا معركة أرعبت أصواتهم الخيل، وكره الفرسان الآخرون ملاقاتهم. ووجود بعض هؤلاء في قبيلة يشكل درعاً لها، ويجعل القبائل المعادية، تتردد كثيراً في غزوها، وإذا ما دارت رحى المعركة فإنه يرخص روحه ليحمي رفاقه، فهؤلاء الفرسان أحق بالفنجان الثاني بعد الجواد.

أما الثالث فالأولى أن يكون من نصيب رجل الليل الذي يلقبونه بـ(دواس الظلما)، يمضي إلى غايته غير هياب، وفي الظروف الجوية المختلفة وفي أي ساعة يختارها من الليل أو النهار، يتحايل في الليل على الكلاب النابحة الشرسة.

أما باقي الرجال في نظر قائل هذه الأبيات فليسوا أكثر من ذكور لا يقدمون أي نصيحة أو يملكون فناً أو إبداعاً، وهم لا يستحقون القهوة. وهذا رأي لا يخلو من



في انتظار الضيوف

عسف في بعض جوانبه لأن عدم إنصافهم يعني إلغاءهم من المجتمع ومحو كرامتهم.

ورأي آخر -ويعتقد أن قائله ذو مكانة عسكرية- يرى أن الفنجان الأول من حقه هو وأمثاله، يليه ذوو الحسب والنسب أصحاب المراكز المرموقة. وهو ما تؤكده الأبيات:

يا معدي الفنجان حيث تسوقه
خص القروم ثم انحر هل الساس[19]
صبه وعدله لل تلاعج بروقه
للي يفكهن يوم الارياق يباس

وهو رأي لا يختلف في ظاهره عن سابقه، إلا أنه يصدر عن العنجهية والتعالي وليس عن جوهر القيم، وهو حالة منتفخة، لا أهمية لها في تقاليدنا، وإنما تذكر للتندر. وهناك من يقول إنها قيلت في حينها على سبيل المداعبة لا أكثر، وتبقى القاعدة الثابتة التي تقول:

القهوة قص والشاي خص، والشاي هنا يشمل بقية المشروبات كاللبن وغيره، والتي يشعر المعزب أن أحد الحضور بحاجتها وربما يطلبها أيضاً فتقدم له وحده، أو كانت كميتها قليلة لا تكفي للجميع فيخص بها أناساً قلة لأسباب معينة، أما القهوة فلا يجوز قطعاً أن تقدم لبعضهم دون الآخرين مهما كانت الأسباب.

فنجان الضيف وفنجان الكيف

بعد وصول الضيف مباشرة، يصب له المعزب فنجاناً إذا كانت القهوة جاهزة قبل وصوله، ويسمونه فنجان الضيف، أي فنجان الترحيب بهذا القادم سواء أكان معروفاً أو غير معروف. وشرب هذا الفنجان حتمي، إلا لعلة مرضية واضحة، فإن اكتفى الضيف بهذا الفنجان وهزه، وترافق مع هزة الفنجان عبارة شكر ودعاء كقوله: عامرة أو دايمة، وإذا لم يهزه يصب له الفنجان الثاني: الذي يسمونه فنجان الكيف ولأن القهوة جاهزة وتقدم بهذه السرعة يدعونها الموالمة[20].

وبعد أن يشرب الضيف أو الضيوف من الموالمة، تجدد القهوة ثانية أمامهم في الحال بخاصة إذا كانت مشرفة على التسريب، أو كان الضيف صديقاً عزيزاً أو ينوي المكوث فترة، وهذا ما يلمحه المعزب الذكي من تصرفات الضيف ولا يقل تجديد القهوة في قيمته الاعتبارية عن الوليمة، وبعد تجديد القهوة يشرب المعزب فنجاناً منها قبل ضيوفه يدعى فنجان الكيف أي الساقط من الحساب، لأن المغزى منه التأكد أولاً

من جودة القهوة، ومقدار كثافتها، وخلوها من أي عيب، وكذلك بعث الطمأنينة - ثانية - في نفوس الضيوف ليتيقنوا من سلامة القهوة، بخاصة إذا كان الضيوف غرباً، ولا معرفة سابقة بينهم وبين معزبيهم. والمؤكد أن المعزب عندما يشرب الفنجان الأول قبل ضيوفه، يعبّر عن التضحية بنفسه فداء لهم، لاحتمال وقوع مادة سامة في الدلال مصادفة[21].

وبعد دورة القهوة الأولى تركن الدلة، ويجامل المعزب ضيوفه بعبارات الترحيب والتعارف الأولى العامة، ولا يتطرق إلى اسم الضيف إلا إذا أحب هو أن يذكره، وغالباً ما يعرف انتماء الضيف إلى أي قبيلة، أو منطقة أو مدينة، أو قرية من هيئته ولهجته وسماته الجسدية، والضيف ليس مطالباً بتقديم تفسير لامتناعه عن شرب الفنجان الثاني ما دام قد شرب الأول.

الفناجين الثلاثة

حين شاع مشروب القهوة سار على الناس في أريافنا وبوادينا إلى إخضاعه للقانون العام، خدمة للمجتمع وحسماً للفرض، ويبدع الذهن الشعبي في هذا المجال أيما إبداع، فكل فنجان له مغزاه ودوره المهم في ضبط العلاقة بين الأفراد والجماعات، سواء أكان بينهم تعارف أم لا. تبدأ هذه العلاقة بمجرد دخول إنسان ما في حِمى أي بيت، وحِمى بيت الشعر في أضيق حدوده يشمل المساحة التي تصل إليها حباله. لذلك فإن من واجب القادم أن يعرض السلام قبيل دخوله، ويتم ذلك بأي صيغة متعارفة من عبارات التحية المتداولة، والتي تسمى في البوادي والأرياف السلام، وهو اصطلاح مطابق في الواقع لمغزاه، ويقبل أهل البيت عرضه بعبارات مماثلة تقريباً تنمّ عن الترحيب وهي كثيرة.

فشرب الفنجان يعني دخول القادم في الضيافة، كما أن التقدير الذي يحيط بالقهوة ويجعلها لا تقل عن المحاكاة بل هي نوع منها، وبذلك يوقع الضيف على اتفاقية السلام التي عرضها على أصحاب البيت عند دخوله، واحتفالاً به يقدم له المعزب فنجان الكيف لتطرب روحه، ويسكن إن كان هناك ما يقلقه. فنجان الكيف يجعل الضيف شريكاً للمعزب في جلسته وشرابه وناره، وهذا التطور الإيجابي في العلاقة يدفع الطرفين إلى توسيع دائرتها. ويتم ذلك بشرب الفنجان الثالث الذي يعمق الأفكار الأمنية ويؤكدها، ويجعل الطرفين يتمتعان باتفاقية دفاع مشترك تلزم كلاً منهما الدفاع عن دم الآخر وماله وعرضه، وإن كان المعتدي أخاً لأحدهما. وبسبب هذه الأهمية رأى بعضهم أن تصب الفناجين الثلاثة متتالية، ورأى آخرون ترك فترة زمنية تبلغ نحو عشر دقائق بين الثاني والثالث ليتاح للضيف التفكير بروية، أو تجميع الملاحظات الأولية عن مضيفه. وفي هذه الحال يخرج الثالث عن كونه فنجان سيف أو حرب إلى فنجان داعم للكيف، مع احتوائه الضمني على دوره الحربي.

وهناك أمر آخر هو أن الكيف مرتبط في نظر البدو بالكرم والفروسية معاً، وفي هذا يقولون: «الطيب والمرجلة فطنة»، ويدركون أن أصحاب الكيف لا يرتوون بفنجانين، لكن القهوة ليست كالماء أو اللبن لتؤخذ دفعة واحدة، وإنما شربها رشفات صغيرة بين حين وحين يتخللها الحديث، وإقبال الضيف على تذوق القهوة بين وقت وآخر يشير إلى جوهره، فيدرك المعزب مكانة ضيفه. ■

الهوامش:

١) (caffeine) ويصنف أستاذنا الدكتور مصطفى سويف هذه المادة ضمن المواد النفسية المحدثة للاعتماد، وذلك في مؤلفه: (المخدرات والمجتمع - نظرة تكاملية) عالم المعرفة العدد ٢٠٥ يناير ١٩٩٦الكويت، ص٥٨-٥٩.

وهذه المادة توجد في البن والشاي.. ويؤكد د. سويف أن الجدل لا يتناول كون هذه المادة تؤثر على المخ ومنه على السلوك والمزاج، وهذا شيء لا يتناوله الجدل، فالكل مسلم أن الكافيين ذو تأثير تنشيطي (أو تنبيهي) على المخ. ولكن الجدل ينصب على احتمالات التمادي في تناوله وما يترتب على ذلك من أضرار. ومن أوضح مظاهر هذا الجدل تردد العلماء في تصنيف مادة الكافيين ضمن المواد المحدثة للاعتماد. ومن ثم - فيما ذكره دكتور سويف - نجد أن نظام التصنيف الأمريكي للاضطرابات النفسية الصادر سنة ١٩٨٠ والمعروف باسم (DSM III) يذكر (التسمم الكفاييني) (Caffeine intoxication) و(الاضطراب النفسي العضلي المرتبط بالكافيين) (Caffeine organic mental disorder) ويقدم قائمة تحتوي على اثني عشر عرضاً وعلامة كمعايير لتشخيص التسمم الكفاييني.

2) espresso.

3) Crema.

٤) ويتم إعداد الاسبريسو (التي هي كلمة تشير إلى وجبة طعام أو شراب أعدت خصيصاً لمناسبة معينة) بواسطة

التخلل (percolation) السريع لكمية صغيرة من الماء الساخن المضغوط عبر كمية متراصة من القهوة المحمصة المطحونة. ولا يحتوي الشراب الناتج من ذلك على مواد صلبة ذائبة فحسب، بل يحتوي كذلك على تشكيلة متنوعة من مواد عطرية في مستحلب منتشر (dispersed) يتكون من قطيرات زيتية دقيقة تمنح مجتمعة الاسبريسو طعمها الغني ورائحتها ومذاقها الفريد.

انظر: (إلي) (تعقيد القهوة) مجلة الـ (American Scientific)، مج ١٨ العددان ٩ و١٠، سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٢، ص٨:١٣.

٥) إن القهوة العالية الجودة هي نتاج التحكم الوثيق المحافظ عليه في عدد كبير من العوامل في الحقل والنبتة والفنجان.

ويمكن معرفة المزيد حول زراعة البن ومعالجته وتحميصه وتحضيره من خلال تقنيات محدثة، بالرجوع إلى المصدر السابق (تعقيد القهوة)، ص٩-١٠-١١.

انظر مصادر علمية أخرى:

coffee, Vols.1-6.R.J.Clarke and R. Marac. El sevier Applied Science, 1985 coffee: Bontany, Biochemistry and Production of Beans and Beverage. M.N. Clifford and K.C. willson. Croom Helm, London, 1985.

6) انظر: د. سويف، المرجع السابق، ص٥٨.

٧) ويبدو تاريخ تقديم الشاي للمواطن الأوروبي مرتبطاً تاريخياً بتاريخ شركة الهند الشرقية في أوائل القرن السابع عشر.. يذكر أنه صدر على مر التاريخ الحديث قرارات عدة دول مختلفة تحرم شربهما (أي الشاي والقهوة) تنظيراً مع الكوكايين والقنب وغيرها، ثم عدل عن هذه القرارات استناداً إلى مبررات متعددة.

Greden, J.F. Caffeinism and caffeine withdrawal, in substance abuse: Clinical problems and perspectives. J.H. low in son and P. Ruiz

Eds. Baltimore: Williams and wilkins 1981: 274-286.

٨) ولم تظهر هذه الدراسات المعمقة سوى القليل من التأثيرات الصحية السلبية لشرب القهوة المحتوية على الكافيين باعتدال (فنجانين يومياً) وفي الحقيقة تظهر بعض الأبحاث الحديثة أن القهوة المحمصة هي مصدر جيد لمضادات الأكسدة (Antioxidants).

انظر (تعقيد القهوة) المرجع السابع، ص١١.. أيضاً (القهوة: وقاية من السكر) تقرير منشور بمجلة العلم، العدد ٣١٨، مارس ٢٠٠٣، ص١١.

٩) ورد في المصدر السابق: نحو العام ١٦٠٠ أطلق مستشارو البابا كلمنت الثامن على القهوة وصف (الاختراع المر للشيطان) وحثوه على تحريم المشروب المفضل لدى الأتراك العثمانيين، ولكن البابا بدلاً من ذلك، قرر منح القهوة بركته، مما جعلها مقبولة لدى الروم الكاثوليك.

١٠) يشجع الهطل الجيد للأمطار أزهار نباتات البن العربي. وبعد هطل جيد بنحو ٢١٠ أيام تظهر ثمار حمر أو صفر تسمى كرزات (cherries) وتحتوي كل (كرزة) على بذرتين متطاولتين، هي حبات البن، ونظراً لوجود كل من هذه الزهرة والثمرة على نفس الفرع في وقت واحد، فإن أفضل وسيلة لجمع الثمار الناضجة هي أن يستخدم جامع هذه الثمار سبابته وإبهامه لالتقاطهما. أما تعرية كامل الفروع باليد أو باستخدام وسائل الحصاد الآلية فهي عملية لا تفرق بين الكرزات الناضجة وغير الناضجة.

caffeinc, coffee and Health. Edited by s, Garattini Raven press, 1993.

Espresso coffee: The chemistry of Guality. A.lly and R. viani Academic Press, 1995

١١) سجلت براءة اختراع أول ماكينة اسبريسو آلية في العام ١٩٣٣م يذكر أن العام ١٩٩١م شهد تطويراً للنموذج الأولي لهذه الآلة على يد علماء إيطاليا.

١٢) في مصر يطلق على (وعاء الشاي) (البراد) ويسمى (وعاء البن) الكنكة).

١٣) كلمة (الابريق) تطلق في مصر على وعاء مجسم لشرب الماء، وهو مصنوع من الفخار. وقليل من ريف مصر يستخدم (الابريق) للدلالة على وعاء الشاي.

١٤) نقلاً بتصريف بسيط واختصار عن: سهام مهران عبد الله (القهوة في بلاد الشام) مجلة النور، العدد ١٣١ محرم، صفر ١٤٢٣هـ، نيسان (ابريل ٢٠٠٣م)، ص١٠٥-١٠٨.

١٥) ماردة: ربعته التي يرويها الناس من كل حدب وصوب. ما يوضح: لا يخلو من الناس، والعادة أن يصب السمن والشراب أي اللبن المطبوخ على المناسف أمام الضيوف.

١٦) اللدوح المتأخرة من الخيل، أو البطيئة: فهو عرضة للإصابة.

١٧) النزل: فريق ببوت الشعر - طرياه: ذكره - يضوى: يأتي- صكت: اندفعت - النابوح: نباح الكلب.

١٨) السروح: الرعي عامة، أو القطعان السارحة في البراري.

١٩) القروم: الشجعان - هل الساس: ذوو الأصل، تلاعج، تلمع - يفكهن: ينقذهن ويقصد الإبل.

٢٠) يقول الظلماوي مخاطباً ابنه محليب:

الموالمة يا كليب عجل بصبه

والرزق عالي يقود السحاب

٢١) ففي البوادي والأرياف المفتوحة على الطبيعة تكون الأواني - بما فيها الدلال - عرضة في كثير من الأحيان لسقوط الحشرات والزواحف السامة، وهذا مسلك إنساني نبيل عبر الناس بقولهم السائر: «سلامة الضيوف من بخت المعزب».

من التراث الفني:

المُكحُلة

■ د. صلاح أحمد البهنسي

الكُحل: زينة العيون في كل العصور

وقد استعان الإنسان في مختلف مراحل حياته بما يتوافر لديه من خامات لصنع معدات للتجميل، ومواد للزينة، وصنع من الأحجار الملونة، والمعادن البراقة حلياً مختلفة الأشكال، كما استخرج من بعضها، ومن بعض النباتات أصباغاً لتلوين بعض أجزاء بشرته. ولم يكن ذلك وقفاً على عصر دون آخر، أو قطر دون غيره، فالميل إلى التزين والتجمل فطري لدى الإنسان.

ويعتبر الكحل من أقدم المواد التي استخدمها الإنسان في التجمل، وذلك لما له من فوائد طبية، إلى جانب وظيفته التجميلية، إذ استخدم لحفظ صحة العين، وجلاء النور الباصر لها. ويظهر في التماثيل التي ترجع إلى الحضارات الشرقية القديمة، أن الكحل كان من مواد الزينة الشائعة، كما يتضح أنه كان يستعمل لإبراز جمال العين لدى الرجال والنساء على حد سواء، ويظهر ذلك بوضوح في التمثال الذي يجمع الأمير «رع- حنب» وزوجته «ففرت» ويرجع إلى عصر الأسرة الرابعة المصرية القديمة، وهو من مقتنيات المتحف المصري بالقاهرة، وقد زينت أعينهما بالكحل.

وكان من الطبيعي أن يزداد الإقبال على استعمال الكحل في العصر الإسلامي، وذلك لأنه من المواد التي أباح الدين استعمالها للرجال والنساء، فلا حرج أن تتزين المرأة لزوجها بالكحل والخضاب والطيب، ونحو ذلك من أنواع الزينة، كذلك أبيح للرجال الاكتحال، اتباعاً لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلى الله عليه وسلم، يكتحل، فقد جاء عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: «كان للنبي- صلى الله عليه وسلم- مكحلة يكتحل فيها ثلاثاً في كل عين».

كما روى ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي - صلى الله عليه وسلم- خير أكحالكم الأثمد، يجلو

البصر، وينبت الشعر»، والأثمد هو حجر الكحل الأسود، ويؤتى بأفضل أنواعه من أصفهان في إيران.

ونظراً لما للكحل من أهمية لدى الناس عامة، فقد عني بصناعة المكاحل، وتنوعت مواد صناعتها، فكانت تصنع من الزجاج، أو البلور الصخري (الكريستال)، أو سن الفيل (العاج)، أو الفضة، أو النحاس، كما كان يعتنى بزخرفتها بالزخارف الدقيقة المتقنة التي أضفت عليها شكلاً جمالياً، ومظهراً جذاباً.

وتحتفظ المتاحف والمجموعات الفنية في مختلف أرجاء العالم بالعديد من المكاحل، التي ترجع إلى عصور مختلفة، وبلاد عدة، ولكن أكثرها يرجع إلى العصر الإسلامي.

مكحلة ضمن الآثار النبوية الشريفة

من أقدم المكاحل التي ترجع إلى العصر الإسلامي، وأكثرها قيمة وهي محفوظة الآن في حجرة الآثار النبوية الشريفة بالمسجد الحسيني في القاهرة، وهي مكحلة صغيرة من النحاس تشبه إلى حد كبير شكل الملعقة، ولها مرود من النحاس أيضاً، وقد أضيفت إلى المكحلة والمرود بعض أجزاء من الفضة في فترات لاحقة، ويبلغ الطول الكلي للمكحلة ١٥ سم، أما المرود فيبلغ طوله ١٣,٥سم، وتشتمل مجموعة الآثار النبوية، بالإضافة إلى هذه المكحلة، على قميص وعصا وأربعة مصاحف وسيف، أما عن كيفية وصول هذه المجموعة من الآثار النبوية الشريفة إلى مصر، فكما ذكر المؤرخ «ابن كثير» في مؤلفه «البداية والنهاية» أن الوزير المصري «الصاحب تاج الدين» قد نقلها إلى مصر في القرن ٧هـ / ١٣م، وبنى لها رباطاً في المنطقة التي تسمى الآن -أثر النبي- وذكر في ذلك «إن بالديار المصرية مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي- صلى الله عليه وسلم- اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين، فمن ذلك مكحلة وميل (مرود)، ومشط، وغير ذلك، والله أعلم».

وذكر الرحالة «ابن بطوطة» في رحلته المسماة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» مثل ذلك، حيث قال: «رباط الآثار رباط عظيم بناه الوزير -الصاحب تاج الدين- على مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه، وهي قطعة من قصعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والميل الذي كان يكتحل به، والدرفسن وهو الأشفى الذي كان يخصف به نعله».

وقد نقلت هذه الآثار إلى قبة السلطان الغوري بحي الغورية بالأزهر، وظلت محفوظة بها لمدة ثلاثة قرون، حيث نقلت سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م إلى مسجد السيدة زينب بالقاهرة. ونقلت منه إلى خزينة الأمتعة بقلعة صلاح الدين الأيوبي، إلى أن نقلت سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م في موكب مهيب إلى المسجد الحسيني، لتستقر به حتى الآن، في حجرة مخصصة لذلك إلى جانب ضريح الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.



مكحلة النبي ﷺ

المكحلة في الفنون الإسلامية

أدت حياة الترف والثراء التي شهدها المجتمع الإسلامي منذ بداية العصر الأموي، نتيجة توسع حركة الفتوحات الإسلامية، وما ترتب على ذلك من رخاء اقتصادي، بالإضافة إلى اقتباس بعض التقاليد الاجتماعية من شعوب البلاد التي فتحها المسلمون، إلى زيادة الاهتمام بمواد وأدوات التجميل، ومنها المكاحل التي بلغت العناية بها درجة كبيرة، وأصبحت تحفاً فنية، دقيقة الصنع، بديعة الزخرف، وصنعت المكاحل في العصر الإسلامي من مواد مختلفة، فمنها ما كان يصنع من النحاس، أو العاج، أو الخشب، أو الزجاج، أو الفضة.

وإمعاناً في إضفاء مزيد من القيمة على المكحلة، فقد حقق الفنان ذلك بعدة وسائل، منها:

* تصنيع المكحلة من أكثر من مادة، كأن يكفت المكاحل المصنوعة، من النحاس بزخارف من الذهب أو الفضة، أو يلبس الخشبي منها بقطع من الصدف أو الزَّرْنشان، تشكل زخارف دقيقة بديعة، أو أن يرصع العاجي منها بقطع من الأحجار الكريمة والجوهر، أو أن يزين الزجاجي منها بزخارف منفذة بمادة المينا متعددة الألوان، التي تضفي عليها رونقاً وبهاء.

* تشكيل المكحلة، فعلى الرغم من أن المكاحل قطع فنية دقيقة، ولا تتجاوز السنتمترات، إلا أن الفنان المسلم أبدع في تشكيلها، ويمكن أن نلمس ذلك بوضوح في مكحلة من العاج، ترجع إلى النصف الثاني من العصر المملوكي، القرن ٩هـ/١٥م، محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، إذ أن الطول الكلي للمكحلة ٢٠ سم، ويشمل قاعدة وبدناً وقمة، وقد شكلت القاعدة من ستة أجزاء ترتكز من أسفل على حواف مدببة، ويلتف حول نهاية القاعدة من أعلى طوق دائري بارز قليلاً، يعلوه جزء مضلع من ستة أوجه، في كل منها فتحة دائرية نافذة، ويصل هذا الجزء بين القاعدة والبدن المشكل بدوره من ستة أوجه، زخرفت بأشكال وريدات سداسية، مكونة من قطع صغيرة ودقيقة من الأبنوس والعاج، أما الغطاء فإنه جاء متوافقاً في تصميمه مع تصميم قمم المآذن المملوكية، والتي يطلق عليها طراز القلة، نظراً لأنها شبيهة بأشكال أواني الشرب الفخارية «القلة» الشائعة في ذلك العصر.

ولعل مهارة الفنان في التشكيل تظهر أيضاً في تخصيص تجويف في أحد جوانب بدن المكحلة لوضع المرود، بدلاً من جعله متصلاً بالغطاء، ومنغمساً في الكحل في تجويف المكحلة.

والحقيقة أن الفنان المسلم أضفى لمسات الجمال على كل أجزاء المكاحل، سواء من حيث التشكيل، الذي كان من أكثر الأشكال شيوعاً، القاعدة المستديرة التي يرتكز عليها بدن كروي أو كمثري الشكل، وينتهي بغطاء يشكل على شكل هلال، أو هلال بداخله نجمة، أو طائر، أو من حيث الزخارف التي تمتد على البدن وتشمل زخارف هندسية ونباتية، كماتجلت مهارة الفنان المسلم وبراعته في استخدام الخط العربي، بما امتاز به من ليونة وجمال، في زخرف المكاحل، مثلها في ذلك مثل بقية المنتجات الفنية الإسلامية.

مكحلة نحاسية تعكس دقة الفنان المسلم في التشكيل



مكحلة من التراث الإماراتي الأصيل

ومن أجمل أمثلة ذلك كتابة على مكحلة من النحاس، من صناعة إيران في القرن ٦هـ/١٢م، نقش عليها بدقة وإتقان اسم صاحب المكحلة، وهو «محمد بن ايرانشاه» وحكمة فارسية ترجمتها «يجب ألا تغتر بالدهر لأن سمه أقوى من أي سم» وقد نقشت هذه الكتابة على مهاد من زخارف نباتية غاية في الدقة والإتقان.

ومن أكثر الكتابات التي وردت على المكاحل، عبارة التوحيد، وكان أكثر ظهورها على المقابض العلوية للمكاحل، والمكونة من مشبكات أو خيوط معدنية، ونرى مثالاً لها على مقبض مكحلة من النحاس المموه بالمينا ترجع إلى القرن ١٣هـ/١٩م، عليه عبارة لا إله إلا الله تعلوها كلمة محمد في اتجاهين متعاكسين، ويتوج المقبض شكل هلال.

إنها قطع صغيرة الحجم، لكنها تحف فنية عالية القيمة، وإن كنا لا نتجاهل أنها تكتسب قيمتها من قدمها وأثريتها، ومن نوع المادة المصنوعة منها، أو مما تشتمل عليه من زخارف منفذة بدقة واتقان، يبهر الناظرين، ويحير أفكار المتأملين، إلا أننا ننبه في الوقت نفسه إلى بعد آخر، تنطوي عليه الكثير من إبداعات الفن الإسلامي، وهو ما تشتمل عليه هذه القطع من قيم نفيسة، جاءت في كل الأحوال متوافقة مع الغرض الذي عملت من أجله، ومحققة له.

إنها دعوة لدراسة متفحصة للتراث، ومعرفة ما تنطوي عليه تفاصيله من دلالات. ■

الجراد
في التراث الإسلامي التاريخي

■ الدكتور فواز سيوف *

ترتبط حياة البادية بأخبار الجراد وتكثر دلالاته في الذاكرة الشعبية خاصة مع هجمته المباغتة على البلاد العربية في شهر نوفمبر الماضي، غير أنّ هذا لم يظهر في التراث القريب. ولم تغذّه تقاليد وجلسات سَمر عُصور التخلف. لقد بدأت أخباره المدمّرة والحضارة الإسلامية في قمة الحضارة العالمية، ورافقها في القرون الكثيرة الممتدّة، يطل عليها على فترات ليُضاف إلى سلسلة الظروف الطبيعية الكثيرة التي تعرّضت لها هذه الحضارة المنتشرة في مناطق قليلة الاستقرار.

والجرادة عدّة أنواع مختلفة بالحجم واللون والخطورة، أشهرها وأكثرها ضرراً الجراد الرّحال والجراد المرّاكشي(١)، ملخّص قول الموسوعة فيه أن الجرادة تضع ٣٠٠ سروة من البَيْض أثناء حياتها التي قد تستمر ١٠٠ يوم في الربيع والصيف أو ١٢٥ يوماً في الفصول الأخرى.

تنقف البيوض بعد (رزّها) بنحو أربعة أسابيع في الصيف والربيع، وتتضاعف في الأوقات الباردة. ويسمّى السّرء عند نقفه ''دَبأً''. لونه يميل إلى الخضرة، وطوله ٩ مم، وتتجاوز الجرادة ٤٠ ملمتراً بعد مرور الدور السادس من حياتها بعد خمس انسلاخات.

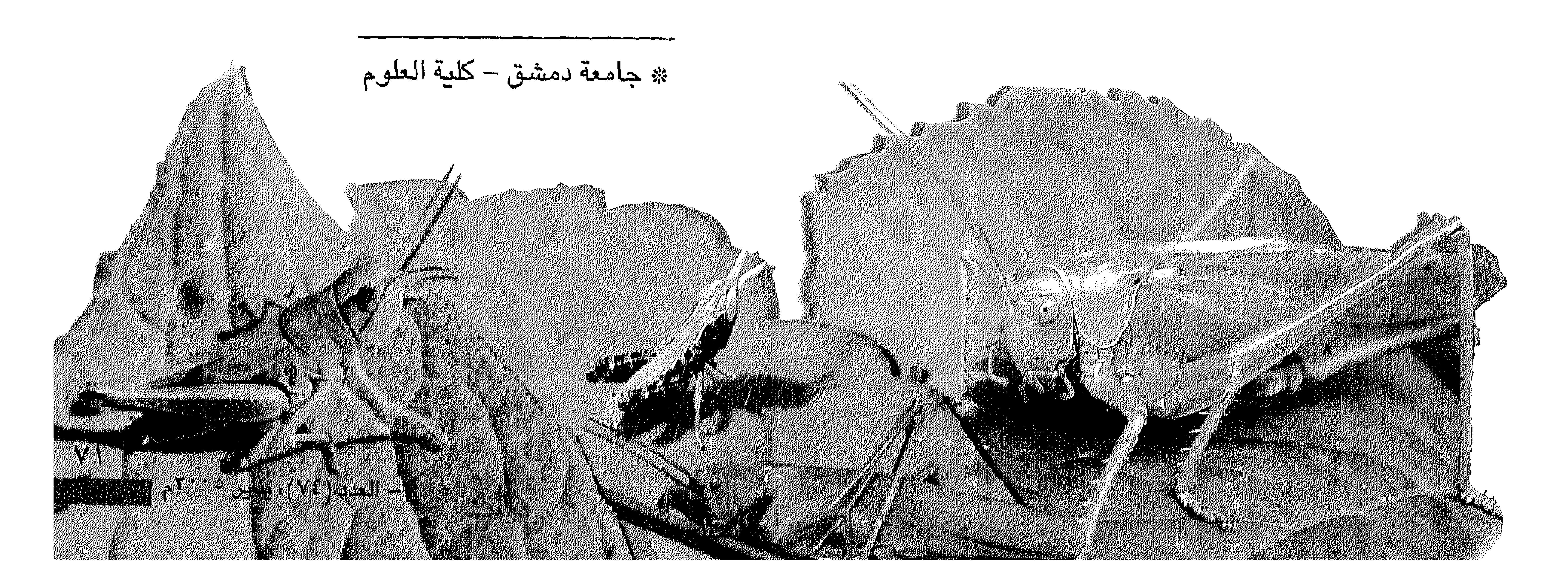
يبدأ خطر الجراد في الدور الرابع الذي يُسمّى بالمسبّح حيث يتحرك نحو ألفي متر يومياً، وفي الدور الخامس يسمّونها بالكتفان حيث تتحرك نحو ٥٠٠٠ متر يومياً، وتزحف جماعات (رعيل) متراصّة مؤلّفة من عدّة آلاف، وفي الدور السادس يصبح طيرانه الأكثر، وقد يطير دفعة واحدة (٢-٧) أيام، ويسمّى عندها بالخيفان، ثم يستقرّ على الأرض أرجالاً، كل رعيل منها مؤلف من مئات الألوف من الأفراد، فيلتهم كل ما هو أخضر، ثم يعفّ عن الأكل لبلوغه طور التناسل، وعندها يدعى بالجراد.

نقل صاحب حياة الحيوان الكبرى[٢] قول أعرابي في الجراد:

مـرَّ الجرادُ عـلـى زَرْعِي فـقـلتُ لـه:
لا تـأكُـلَـنَّ ولا تشـغـلْ بـإفسـادِ!

---

* جامعة دمشق – كلية العلوم



فقال منهم خطيبٌ فوقَ سُنبلةٍ:
إنّا على سَفَرٍ لا بُدّ من زادِ!!

وذكر بحث لغوي أن كُنيته (أُمّ عوف)، وأنّ سلمة بن عبد الملك بن مروان ملقّب بالجرادة الصفراء، ولي إرمينية وأذربيجان غيرَ مرّة، وسار مع ١٠٠ ألف وغزا القسطنطينية في خلافة سليمان بن عبد الملك.

مخَاطِرُ الجَراد

عرفَ أهل المنطقة العربية هجوم الجراد منذ آلاف السنين، وذكره الفراعنة وأرّخ له أهل الجزيرة العربية. ذلك أن الجراد يتحرّك على شكل أسراب كبيرة تغطّي كيلو متراً طولاً وكيلو مترين جبهة بحيثُ تحجبُ الشمس والضوء لفترة. وتتحرّك هذه الأسراب مسافات طويلة دون توقف قد تصل إلى ٢٥٠٠ كيلو متراً يستهلك من الدهون في جسمه وهو في وضع الطيران، ويتوقف عند المناطق الخَضْراء فلا يتركُ وراءَهُ النباتات والأشجار إلا عارية خلال بضع ساعات.

ويذكر نفس المرجع[٢] أن الجراد هاجم الأغنام في روسيا وأكل صوفها!، وهاجمت الجراد طفلاً في الهند عمره عشرة أشهر وأكلته عندما كانت أمه تعملُ في الحقل (في قرية أوزيان ولاية رامشيان ١٩٥٨م)، وينقل نفس المصدر عن كتاب لوكست (كتاب مرجعي) أن الخسائر الناتجة عن هجوم الجراد في الصومال عام ١٩٥٣م تقدّر بحوالي مليون دولار بأسعار (١٩٧٥م)، وتجاوزت الخسائر ثمانية ملايين دولار في المغرب في العامين ١٩٥٤– ١٩٥٥م. وقدّرت منظمة الأغذية أن ١٣ بلداً من ٤٠ بلداً يهاجمها الجراد خسرت بمعدل ثلاثة ملايين دولار سنوياً في الفترة (١٩٤٩–١٩٥٧م).

يتكاثر الجراد في منطقتين رئيستين مناسبتين له: إما من حيث الحرارة والرطوبة، وإما من حيث كثرة المياه مع الحرارة، وهما:

١– منطقة أريتيريا والصومال وحول البحر الأحمر. ويتكاثر طوال العام في فترتي ذورة، من كانون أول (ديسمبر) إلى أيار (مايو)، ومن حزيران (جون) إلى تشرين أول (أكتوبر).

٢– منطقة شمال وشمال غرب الهند والباكستان حيث تكثر الأمطار الموسمية، وتهاجر أسرابها تحت تأثير ظروف البيئة من شمال إفريقيا إلى منطقة العراق وبلاد الشام، وأسراب المنطقة الثانية تهاجر إلى مسقط وعُمان عن طريق إيران ثم تهاجر مرة أخرى إلى بلاد الشام والعراق.

لم تتضح خطوط سير الجراد الذي يصل إلى الأندلس والمغرب العربي كما توضحت في منطقة بلاد الشام والجزيرة العربية ومصر. وللأسف فإن المؤرخين لم يتوسّعوا في هذه الأخبار، إلا فيما ندر.

تسجيل هجرات الجراد

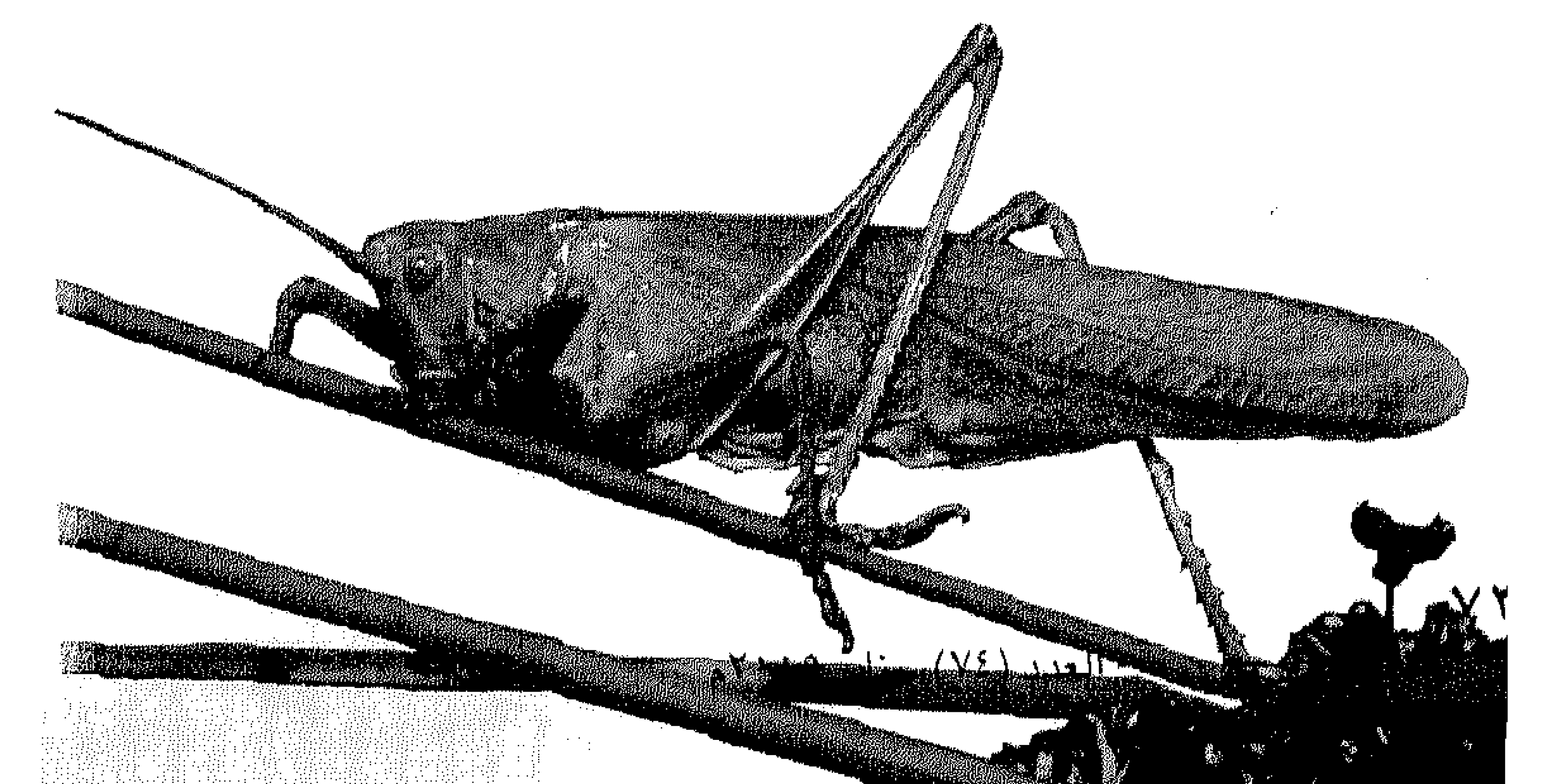
لم يستخدم المؤرخ المُسلم تعبير هجرة الجراد، فهم لم يعرفوا ذلك، وإنما استخدموا تعابير عن انتشار الجراد فبلغت سبعة عشر خبراً في الفترة الزمنية (١–١٠٠٠هـ) التي غطتها كتب التاريخ الحولية[٣، ١٤] في المشرق الإسلامي ومصر والسودان.

أ- في المشرق الإسلامي وقلبه

لا تقدم الأخبار الحولية الكثير من المعلومات، ومع ذلك من الواضح أن تخريب الجراد كان أكثر من المتوقّع، فوصفت أسراب الجراد عام ٤٦٨هـ بأنها كالرمل، وقيل عنها عام ٤٦٥ و٨٣٥ و٨٤١ هـ بأنها كثيفة، في حين أشارت أخبار أخرى إلى ما سببته فقط فقيل عن جراد عام ٣١١هـ إنه سبب الغلاء، وعام ٤٦٥هـ و٦١٩هـ أكل الجراد كل شيء، وأمحل العراق عام ٥٤١هـ بسببه.

ويمكن معرفة أوقات هجوم الجراد، فمعظمها كان في الربيع، وبعضها في الصيف كهجرة الجراد عام ٣٤٤هـ (في حزيران)، ومع أن الهجوم يستمر لأيام فقط، فقد استمر عام ٧٦٥هـ من ١٠ رجب إلى ما بعد شوال. أي كأنه استوطن المنطقة ولم يتابع الهجرة. الزيادة كانت في القرن الرابع، ثم في السابع فالتاسع فالحادي عشر، ولكن النسبة العظمى كانت في القرن الرابع.

يلفت النظر خبران أولهما ورد في شذرات الذهب عام ٣٣١هـ قال: «جرادٌ كثيرٌ زاد عن الحد». وأضاف الطبري: «جراد أسود مع غلاء. أكله الناس بالخبز». وهذا يشير إلى أن أهل المنطقة وجدوا في تحويل الجراد إلى غذاء نوع من المقاومة، وحتى اليوم توجد جماعات



كثيرة في شبه الجزيرة العربية وبادية الشام ترى فيه غذاءً ممتازاً. والخبر الثاني ورد عام ٧٦٥هـ تململ فيه المؤرخ من تفاقم أمر الجراد وطول مكوثه، ولذلك قام العلماء عام ٧٦٦هـ بتجربة أخبرنا عنها صاحب البداية والنهاية: فأرادوا مقاومة الجراد بيئياً باستعمال طريقة استعمال العدو البيئي الطبيعي للجراد، فوجدوا طائراً اسمه السَّمرْمَر يعيش في الولايات الشرقيّة للخلافة الإسلامية، وهو «طائر أصفر الريش يشبه الخطاف، من شأنه أنه يفني الجراد ويهرب الجراد منه»، ولإغراء السمرمر بالبقاء والعيش في المنطقة جلبوا له من موطنه مياه عين خاصة لا يوجد السمرمر إلا حولها، وللأسف لم نعرف نتيجة تلك التجربة.

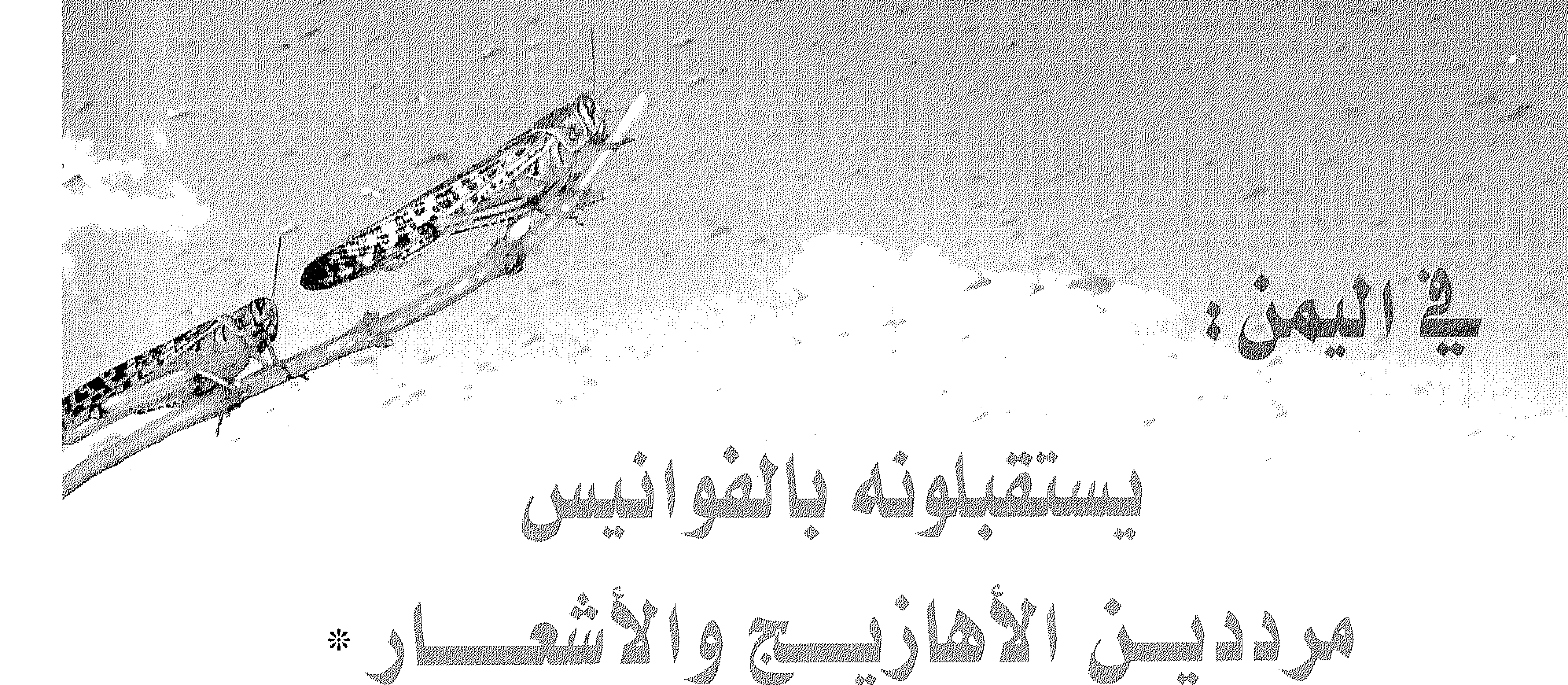
ب- منطقة المغرب العربي والأندلس

ورد أول خبر عن الجراد في منطقة المغرب العربي والأندلس في البيان – المغرب والأنيس المطرب [١٥،١٦] عام ٢٣٢هـ قال: «كَثُرَ الجرادُ». وأضاف الآخر ما يشير إلى أنه سبب «القحط والغلاء» في عام ٣٦١هـ و٣٧٦هـ «جراد بالمغرب» وعمها عام ٣٧٦هـ في الأنيس المطرب والاستقصا[١٧]، وكان الجراد عام ٣٨١هـ في الأندلس، قال الأنيس المطرب: «جرادٌ عَمّ الأندلس وخاصة قرطبة»، واستمر هذا الحال حتى ٣٨٣هـ، لكن ربما بمدة أقل، وكأن الجراد دخل الأندلس ولم يعرف كيف يخرج منها.

استمر صاحب الاستقصا[١٧] في ملاحقة أخبار الجراد الذي ظهر في المغرب من جديد عام ٦٣٤هـ، وعمّ المغرب، ثم عام ٦٧٩هـ كان كثير الضرر، قال: «الجراد العام بالمغرب، أكل الشجر والزّرع ولم يترك خضراء على وجه الأرض»، وأشار في البيان المغرب إلى أنه جلب القحط. وغابت أخبار الجراد في التراث التاريخي حتى ٩٧٨هـ حيث أتى جراد كثير في المغرب.

المراجع:

١) الموسوعة في علوم الطبيعة: إدوار غالب، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
٢) الحشرات الاقتصادية: د. غازي الحريري، جامعة حلب، ١٩٧٨م.
٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسيرة (بيروت)، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
٤) الكامل في التاريخ: للشيخ العلاّمة عزّ الدين أبي الحَسن علي بن أبي الكَرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشهباني المعروف بابن الأثير، بداري صادر وبيروت (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٦٥م.
٥) البداية والنهاية: لأبي الفداء، الحافظ بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف (مصر) والنصر (الرياض)، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.
٦) نزهة النفوس في تواريخ الزمان: للخطيب الجوهري علي بن داود الصّيرفي، دار الكتب (مصر)، الطبعة الأولى ١٩٧١م.
٧) تاريخ الطبري (تاريخ الملوك والأمم): لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف بمصر (مصر)، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.
٨) تراجم رجال القرنين السادس والسابع (أو الذيل على الروضتين): للحافظ المؤرخ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي، دار الجليل (بيروت)، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.
٩) أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ: للإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد). الطبعة الأولى ١٩٦٧م.
١٠) كتاب الإلمام: لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني، دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد)، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
١١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.
١٢) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة: جمال الدين الأتابكي، الهيئة العامة للكتاب، مصر ١٩٧٢م.
١٣) مفاكهة الخلاّن: شمس الدين بن محمد طولون، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٩٦٢م.
١٤) كتاب العيون والحدائق، مجهول المؤلف، طبع ببيروت ١٩٧٣م.
١٥) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المرّاكشي، دار الثقافة، بيروت.
١٦) الأنيس المطرب بروض القرطاس: علي بن أبي زرع الفارسي، الرباط، ١٩٧٣م.
١٧) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.
١٨) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني: محمد بن الطيّب القادري، تحقيق: محمد حجّي، أحمد التوفيق، الرباط، ١٩٨٢م.



في اليمن: يستقبلونه بالفوانيس مرددين الأهازيج والأشعار *

في الوقت الذي استنفرت معظم دول المنطقة قدراتها لمواجهة غزو أسراب الجراد انتظره اليمنيون بشغف، فهم يعتبرونه من ألذ الوجبات الغذائية التي تزين موائدهم. وأشار موقع المؤتمر نت التابع لحزب المؤتمر اليمني الحاكم أن عادة أكل الجراد في اليمن تعود لعصور قديمة حيث تحتفل الأسر اليمنية بقدوم أسراب الجراد الذي يتم تجميعه تمهيداً لأكله مباشرة أو حفظه لأكله في أوقات لاحقة.

وقال التقرير: «تحرص أغلب العوائل اليمنية على المشاركة بأكبر عدد ممكن من أفرادها رجالاً ونساءً وصغاراً وكباراً على استقبال الجراد بموكب احتفالي حاملين الفوانيس ومرددين الأهازيج الشعرية والأغاني حتى إذا بلغوا المكان فتحوا أكياسهم وباشروا بغرف الجراد بأكفهم إلى داخلها ليعودوا بعد ساعات قد تمتد حتى الفجر محملين بصيد هائل منه فتتولى النساء في اليوم التالي تجهيزه للأكل».

ويفضل اليمنيون تناول الجراد بتحميصه في الأفران أو بتمليحه ثم تركه معرضاً للشمس حتى يجف ويتيبس بحيث يمكن تخزينه لأسابيع أو شهور. وهناك من يقوم بطهيه في الماء المغلي لأكله في اليوم نفسه.

وقال التقرير: «حين تكون موجة الجراد كبيرة تقوم بعض العوائل ببيعه إلى المحال التجارية لتتولى الأخيرة بيعه بالتجزئة لمن لم يحالفه الحظ في اصطياده».

ولم يشهد أهالي الشمال اليمني كثافة في أسراب الجراد إلا ما بين عامي ١٣٧٥هـ ١٣٧٦هـ كآخر ما شاهدوه وعايشوه في تلك السنوات وتسمى عندهم من السنين (سنة ربيع قرار) وقرار مورد معروف على مدى التاريخ يقع على ضفة الوادي من جهة الشمال. ويقال: إن في تلك السنة الشمس قد اختفت من كثافة أسراب الجراد وجاء على شكل أسراب كثيفة ويسمى السرب بـ (عمود الجراد).

ويعتقد أهالي المنطقة بأن الجراد يأتي من تهامة قادماً من أفريقيا قاطعاً البحر بمسافات شاسعة لهذا يتردد في أشعارهم كقولهم (يشدا الجراد التهامي) وكلمة يشدا: تعني ''مثل'' من كثرته.

ويرددون بأمثالهم قولهم: «إذا جاء الجراد.. ارم الدواء.. وإذا جاء الفقع.. اجمع الدواء» أي أن الدواء لن يجدي نفعاً لاعتقادهم أن الجراد يشفي كثيراً من الأمراض المستعصية.

فالجراد بنظرهم يأكل جميع النباتات البرية والمحلية مما ينتج عنه خلاصة أدوية يصعب جمعها من الطبيعة. لهذا يحرصون على أكل كميات منه حين نفوره وتواجده بهذه الكميات بأسراب عظيمة، فيقومون بغرزه بالأعواد الخشبية لشيه على النار.

والجراد نوعان.. نوع يسمى الدموني وهو يميل إلى اللون البني الفاتح، حيث يخرج منه أثناء الشي دهن مميز، ولا يحرصون على اكتمال استوائه، ومن الأقوال التي يقولونها حين الشي: «بسم الله الرحمن الرحيم.. صيداً أحمر.. ذكاته الجمر» ومعنى ذكاته: أي قتله وذبحه.

ويقومون بجمع الجراد في أكياس كبيرة وطبخه وتمليحه بكثير من الملح البري (ملح الحفر).. وتنشيفه لحفظه سنوات عديدة كدواء وغذاء. ■

* عن موقع:
http://www.al-jazirah.com.sa/96869/ln16d.htm

الدرهم الوحيد في العالم



عبد الله بن جاسم المطيري
مدير بيت الشيخ سعيد آل مكتوم- دبي
عضو الجمعية الملكية البريطانية للمسكوكات

بتاريخ ٣ / ٦ / ٢٠٠٢م اقتنيت درهماً عباسياً يعدّ من نفائس الدراهم منذ أن نشأت الخلافة وذلك بسبب العبارات التي حملها وكذلك المناسبة التي سكّ من أجلها، والغريب أن الدرهم استبدلت فيه شهادة التوحيد التي ترد على الوجه الأول بعبارة «موسى الأمير بن الخليفة المنصور»، وبالنسبة للوجه الثاني فقد استبدلت عبارة «محمد رسول الله» من مركز القطعة بعبارة «بركة للأمير وغبطة وسرور». وإن العبارة التي حملها الدرهم تدلّ على أن الدرهم سكّ بمناسبة بيعة الأمير (موسى بن محمد الأمين) لولاية العهد بدلاً من ولي العهد في خلافة محمد الأمين (عبد الله المأمون) والذي كانت بيعته تمت في عهد والدهما الخليفة (هارون الرشيد الذي عهد بولاية العهد لابنه محمد الأمين، ومن بعده للابن الثاني (عبد الله المأمون) ومن بعدهما الولد الثالث (القاسم المؤتمن). إلا أن الخليفة الأمين قد نقض العهد وأمر بتولية ابنه البالغ من العمر خمس سنوات ولياً للعهد وطلب تمزيق البيعة التي أمر بها والده الرشيد والمعلقة في الكعبة، وكان ذلك في شهر صفر أو قبل سنة ١٩٥هـ، والتي تعتبر بمثابة القنبلة الموقوتة التي زادت الصراع بين الأخوين المتخاصمين الخليفة محمد الأمين وولي عهده وحامي ثغر خراسان عبد الله المأمون.

ويعدّ هذا الدرهم من دراهم الصلة أو الدعاية، وأنه سك خصيصاً للترويج لبيعة موسى بن محمد الأمين، وأنه سكّ في مدينة السلام عاصمة الخلافة سنة ١٩٥هـ. لم أجد لهذا الدرهم مثيلاً ولم يسبق أن ذكر أن هناك درهماً في مجموعة من المجموعات التي سبق أن نشر عنها سواء كانت هذه المجموعات ملك متاحف أو أفراد، وإن العبارة التي حملها الوجه الأول من الدرهم تعبّر عن فرحتين: الأولى فيما يتعلق بأمر البيعة، والثانية أن الخليفة الأمين قد انتصر بذلك على أخيه المأمون، ويستدل على ذلك بورود عبارة «موسى الأمير بن الخليفة المنصور». وأعتقد أن عبارة المنصور تدل على أن الخليفة قد انتصر بأخذ البيعة لابنه ولم يرد في أي مرجع من المراجع التاريخية أن الخليفة الأمين تلقّب بالمنصور، وليس هناك من تفسير آخر حول ذكر هذه العبارة أو ذكر هذا اللقب. أما بالنسبة للوجه الثاني من الدرهم فإنه يحمل عبارة «بركة للأمير وغبطة وسرور»، فإن لها دلالة على حث الأمين الناس على تقبّل أمر البيعة وأن في هذا الأمر غبطة وسروراً على المبايعين.

مأثورات الدرهم

الوجه الأول



الهامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة خمس وتسعين ومئة.
الوسط: موسى الأمير بن الخليفة المنصور.

الوجه الثاني

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
الوسط: بركة للأمير- وغبطة- وسرور.

المباني الشعبية القديمة في عسير

■ عبد محمد بركو

تميز البناء العسيري القديم بصفات اختص بها، وكان لأبناء عسير أساليبهم المميزة في تشييد بيوتهم ومساجدهم وحصونهم وقلاعهم ومخازن غلالهم.

كانت المواد المستخدمة عادة في البناء هي: الطين والحجر والخشب، وإذا استعمل الطين في عملية البناء فإن التراب ينقل إلى الموقع المحدد، ويقوم المالك بالإشراف على خلطه بالماء والتبن والأعشاب، ثم يترك الخليط كي تدوسه الأقدام وحوافر الحيوانات أسبوعاً أو أكثر وذلك لعجنه وتقليبه وإكسابه التماسك اللازم، ثم يقطع باليد إلى قطع صغيرة تشكل مداميك البناء.

كما يستخدم الطين أيضاً في تغطية الجدران من الداخل، وأرضيات الغرف والممرات والأدراج، وكذلك في تغطية أغصان الشجر وجذوعه المستعملة في بناء السقف، أما الحجر فيتم تقطيعه في المقالع، أو جمعه من السهول والأودية، ثم ينقل إلى مواقع البناء على ظهور الحيوانات بإشراف المسؤول عن عملية البناء، أو مساعديه، وقد تستخدم قطع من الحجر الصغير لسد الفراغات بين الأحجار إن لم يستخدم الطين، وذلك بعد أن تستقر الأحجار الكبيرة في مكانها، ويستعمل الحجر في بناء الجدران الرئيسة للمبنى والفواصل بين الغرف سواء كانت في الطابق الأرضي، أو في الطوابق العلوية، كما تستعمل الأحجار المسطحة في تغطية بعض الأسقف والأرضيات.

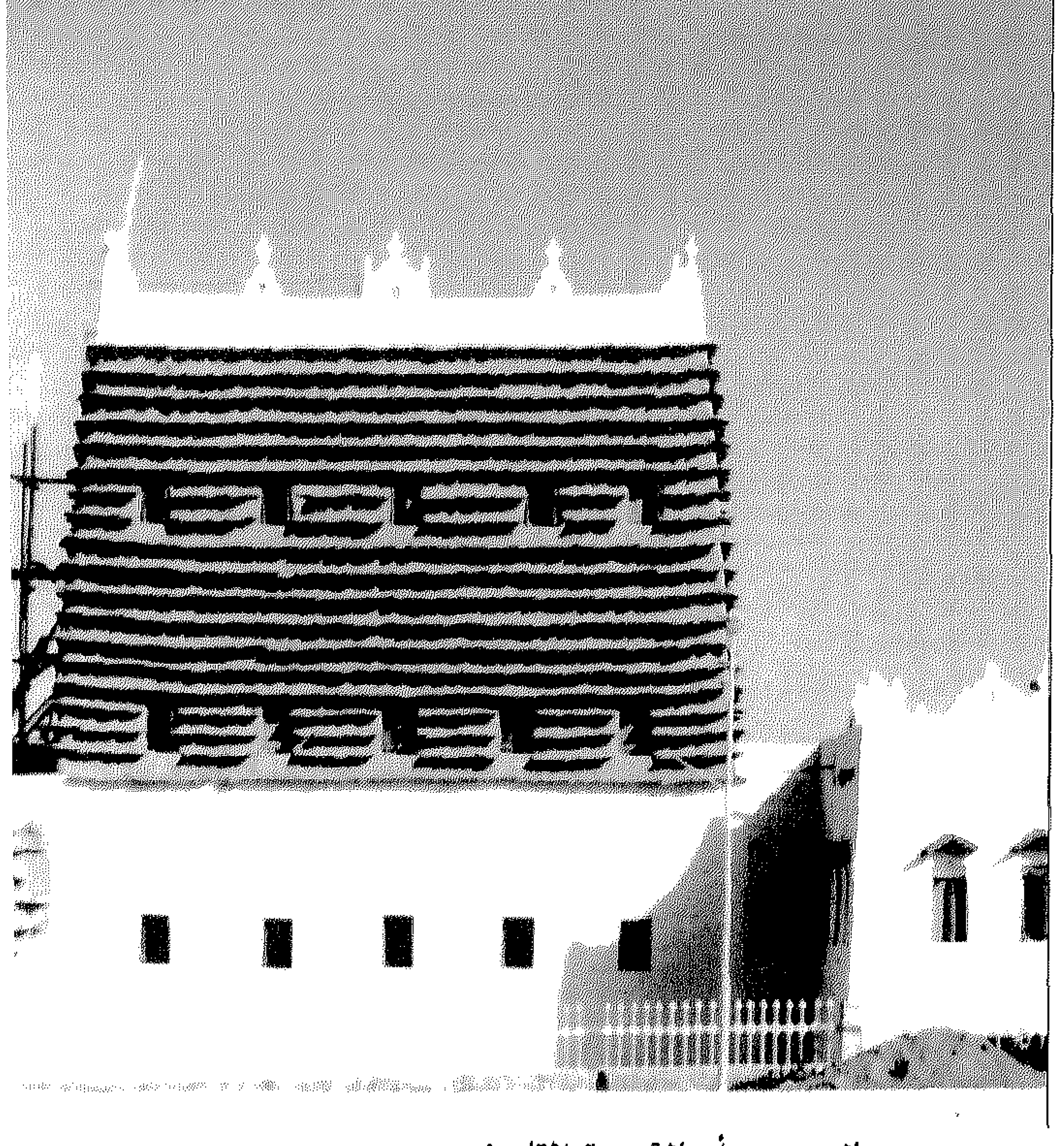
عشة وبجوارها
عريشة للماشية

أما الخشب فيحمله الرجال من الوديان وسفوح الجبال إلى الموقع فينزع عنه لحاؤه، ثم يستعمل في بناء الجدران والسقوف ودعائمها، كما يصلح لصنع الأبواب والمعدات الزراعية، ويتم قطع الأشجار في فصل الشتاء عادة كي تحتفظ الأخشاب بجودتها وصلابتها، وهذه طريقة معروفة للمحافظة على جودة الأخشاب لا تزال متبعة في عسير. وتحدد العادات والتقاليد الاجتماعية شكل المباني وكذلك الظروف المناخية وتوافر مواد البناء.

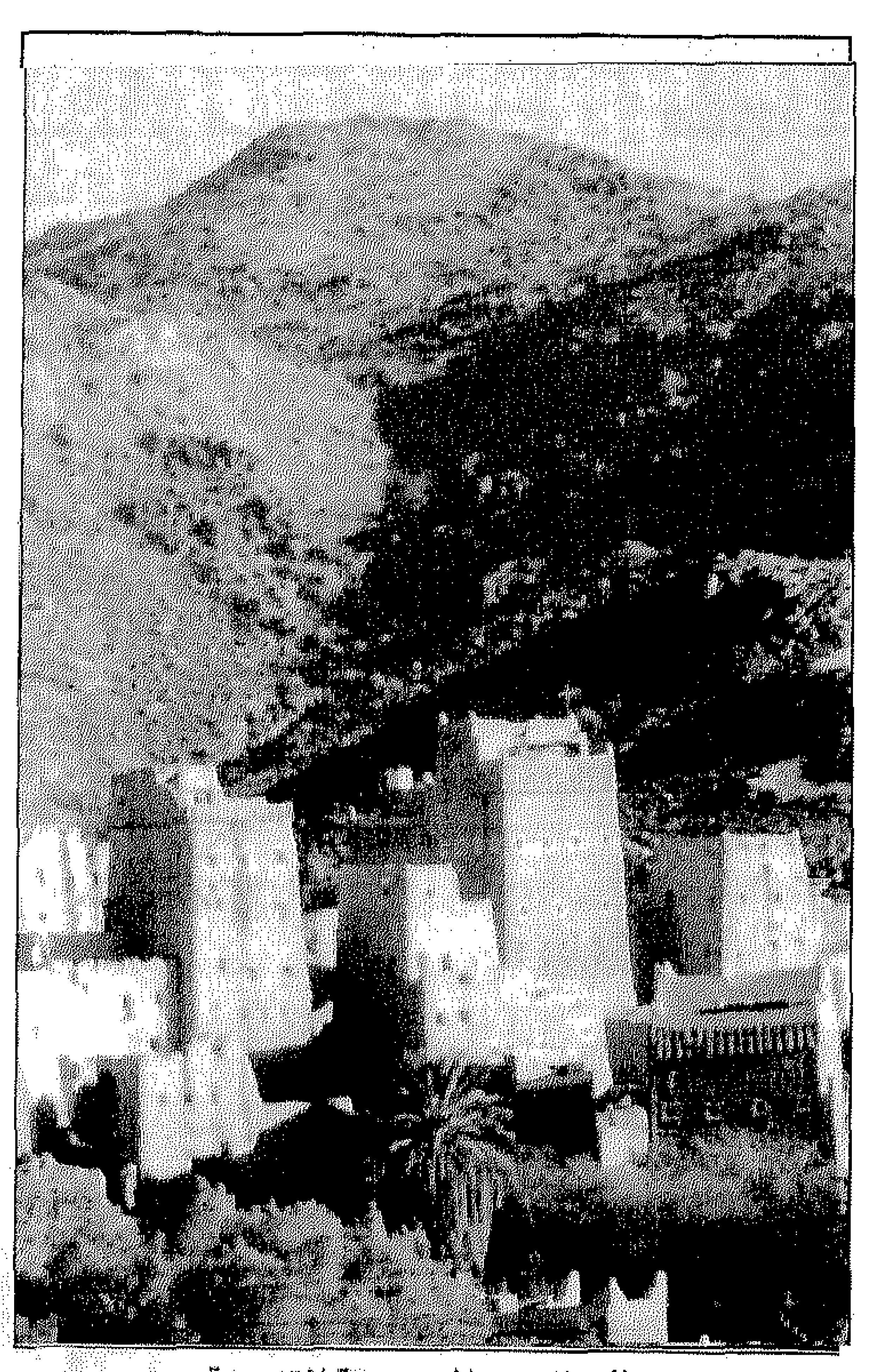
وإذا كان السكن مكوناً من عدة طوابق فإن الطابق الأرضي يشمل المدخل الذي يقع عادة في واجهة البناء، ثم الدرج ومكانه إما قرب المدخل أو في آخر الفسحة التي يؤدي إليها المدخل، كما يضم الطابق الأرضي الاسطبل، أو زريبة الحيوانات، وموضعاً قريباً منها لتخزين العلف، وحفظ المعدات الزراعية.

أما الطابق الأول ففيه: مخازن الحبوب والأطعمة، كما أن فيه نوافذ تطل على الخارج، ويضم الطابق الثاني، وبقية الطوابق: المطبخ، وخزان الماء، ومكان الغسيل، وغرفة واحدة أو غرفتين تخصص إحداهما لكبير العائلة، إلى جانب فسحة مكشوفة تتم فيها الأعمال المنزلية، ويحيط بها جدار عال لستر ما في البيت وقد تسكن الأسرة في مبنى واحد بعيد عن غيره من المباني، أو في أبنية متجاورة أو متلاصقة، وفي كثير من القرى المنتشرة على قمم الجبال، أو السفوح تكون المساكن متقاربة، يربط بينها طريق ضيق، وللطريق أبواب قديمة تؤدي إلى خارج القرية، حيث كانت تفتح في الصباح وتغلق في المساء حتى يأمن السكان على أنفسهم ويلاحظ أن أكثر المساكن في عسير تضيق كلما ارتفعت الجدران بحيث يصير شكل البناء كالهرم الناقص.

وقد بنيت هذه المباني بالطين أو الحجر أو كليهما، ولهذا الشكل ميزة بالإضافة إلى جماله، وهي أنه يجعل للمبنى قاعدة عريضة تثبته. ولا شك أن القدماء أدركوا مزايا هذا الأسلوب في البناء فبنوا على نمطه في أنحاء كثيرة من شبه الجزيرة العربية، وتقام جدران المباني الطينية في المنحدرات الشرقية والسراة بمداميك أفقية، أسسها وأعاليها مبنية بالطين فقط، مما يجعلها أكثر تأثراً بالعوامل الطبيعية، وأكثر احتياجاً إلى العناية المستمرة، ومن الملاحظ أن كثيراً من مباني الطين لها أسس استخدمت فيها الحجارة إلى ارتفاع متر أو مترين لدعم قاعدتها.



جمال وسحر وأصالة وعبق التاريخ



نموذج سائد للمدن العسيرية القديمة

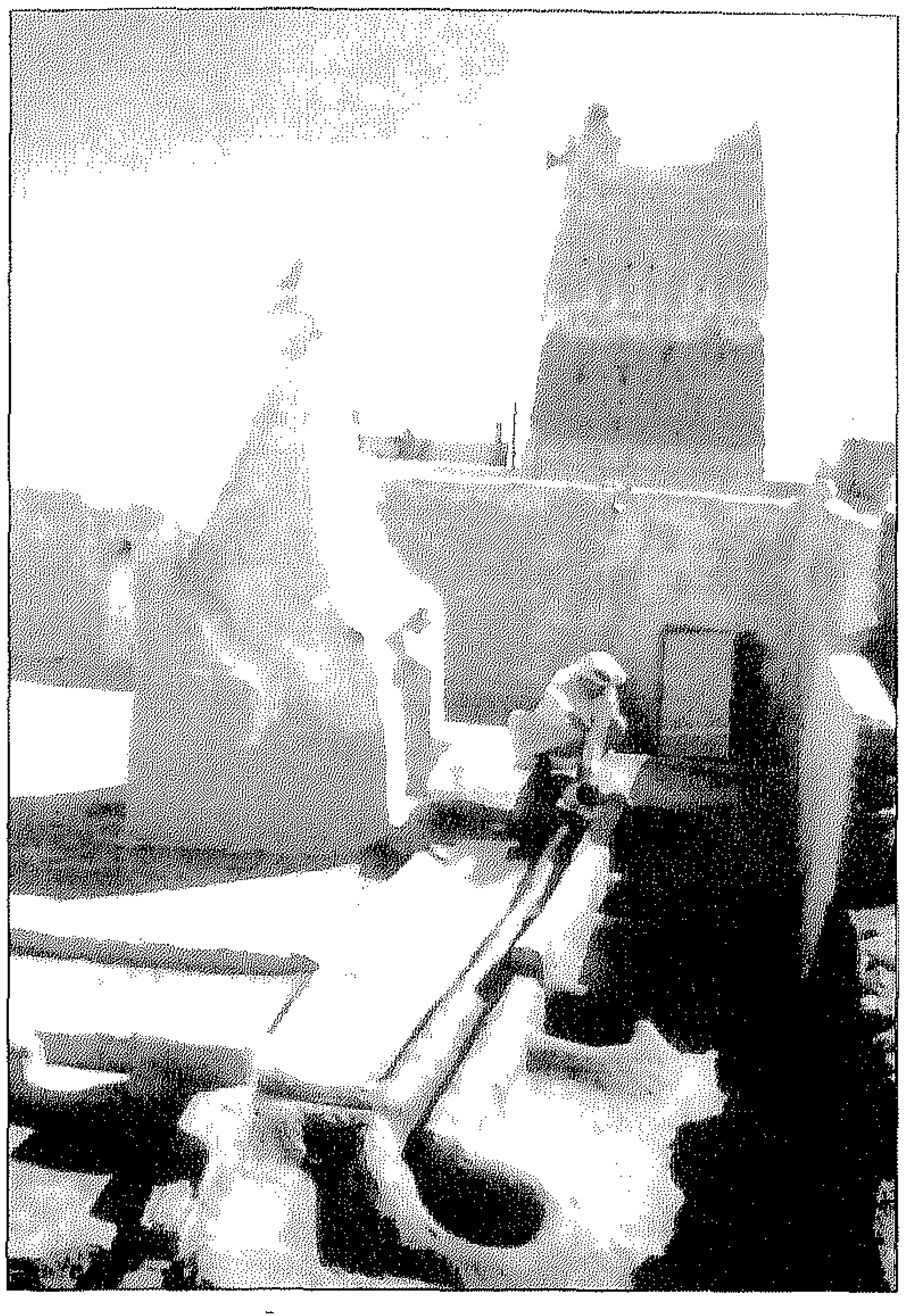
وإلى جانب هذه النماذج من العمارة توجد المساكن التي استخدم فيها الطين والحجر، وتتميز بقطع حجرية رقيقة تسمى الواحدة منها النطف أو الرقف، حيث ترصف جنباً إلى جنب فوق كل مدماك طيني أثناء إقامته، وتكون ناتئة عنه، لكي تحميه من الأمطار الغزيرة وحبات البرد الكبيرة.

ويشمل هذا الطراز المعماري أبنية مختلفة الأشكال منها المربع والمستطيل والدائري، وكلها استخدمت للسكن أو للدفاع أو لخزن الحبوب، ولا يعرف لهذا الطراز مثيل في أي بلد آخر.

وتقام الأبنية بالحجر حيث يوجد الحجر، ولا سيما في تهامة الأصدار، ولمعظم هذه المباني شكل هرمي ناقص أيضاً، وقد يكون في المبنى الواحد ثلاثة أو أربعة طوابق. أما المساكن في تهامة الساحلية فتبنى بجذوع وأغصان الشجر، وتغطى بأوراق النباتات المختلفة، ويكسى داخلها بالطين والجص وتزدان جدرانها برسوم الحيوانات، والنباتات كما تزين أحيانا بصحون مختلفة الألوان، وهذا النوع من المساكن يلائم الجو الحار الرطب في هذه المنطقة.

ويتم تزيين أبواب المباني ونوافذها من الخارج بأحجار المر والمعروفة بلونها الأبيض ولمعانها الذي يميزها عن البناء وبخاصة إذا كان لون البناء قاتماً، كما تستعمل أحجار المرو أحياناً في الكتابات الدينية على الجدران، ويستخدم الطين في طلاء الحيطان الحجرية من الخارج، ويلون لتزيين واجهات المباني، أما تزيين المباني من الداخل فيتم بنقش حافات الأبواب والنوافذ والسقوف والأجزاء السفلية في الجدران بألوان مختلفة، وهذا عمل فني شعبي أنجزته المرأة العسيرية منذ القدم.

أما عن طريقة بناء المساجد في عسير فهي كما يقول صاحب كتاب «عسير تراث وحضارة» المصور الباحث وهبي الحريري الرفاعي: «المسجد يتألف من مبنى مخصص للصلاة وفيه المحراب المستقبل لبيت الله في مكة المكرمة، كما يتألف من حرم ومنارة، وربما وجد في طرفه مدرسة لتعليم الصبيان، أما الحرم أو الصحن فهو فناء يقع بجوار المسجد تقام فيه الصلاة إذا ضاق المسجد بالمصلين ويكون مكان الوضوء في ركن من أركان هذا الفناء، وعلى مقربة من بئر أو صهريج لجمع مياه الأمطار، والمنارة أو المئذنة هي بناء دائري أو مربع الشكل يكون أعلى من بقية أقسام المسجد



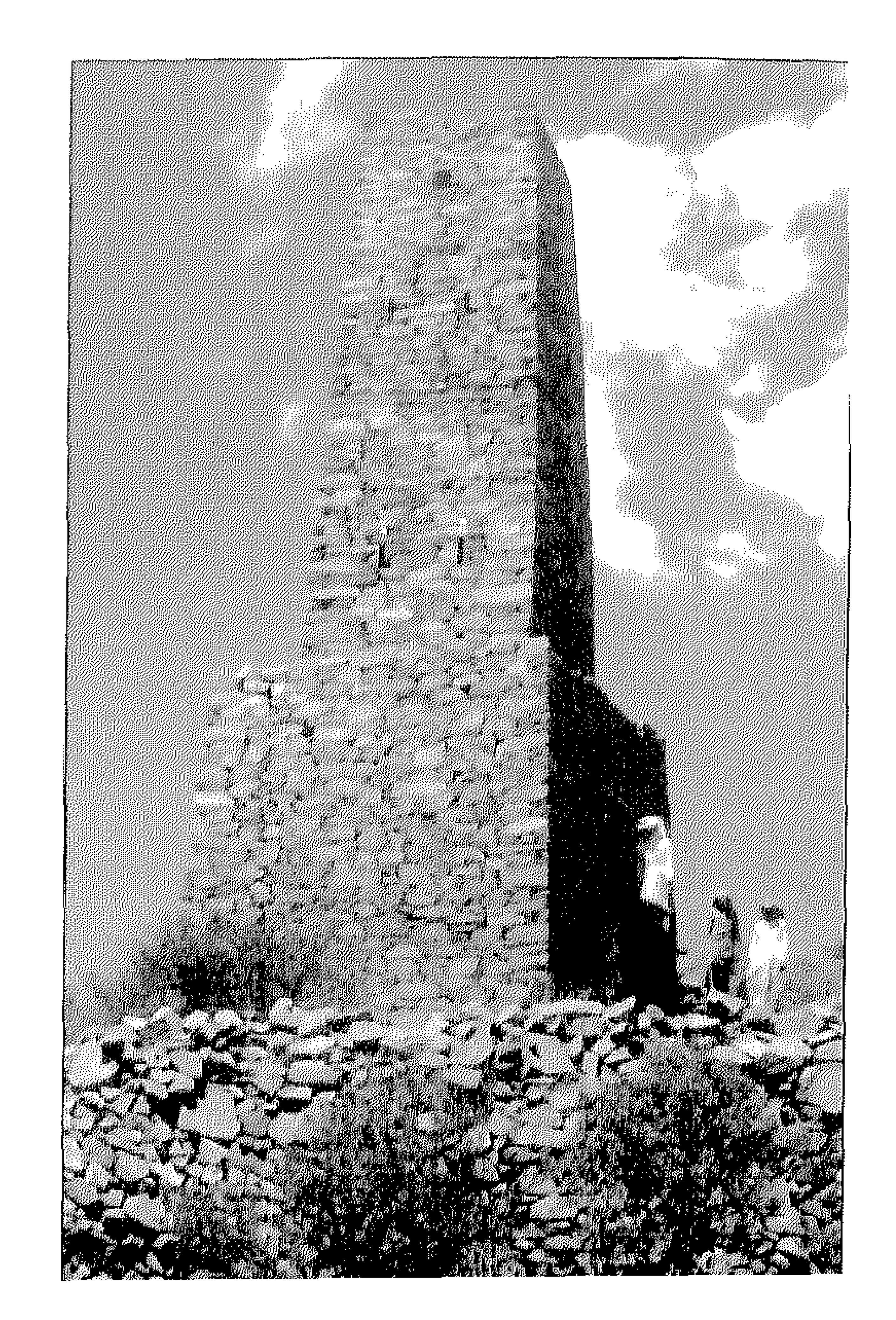
خزان الماء ومكان الوضوء «مسجد آل مشيط»

وملتصق به، ومنه يرتفع صوت المؤذن داعياً إلى الصلاة في مواقيتها المعلومة. أما المدرسة فهي تشغل أحد أركان المسجد، أو تكون في أحد الأروقة المجاورة للحرم، أو في بناء منفصل».

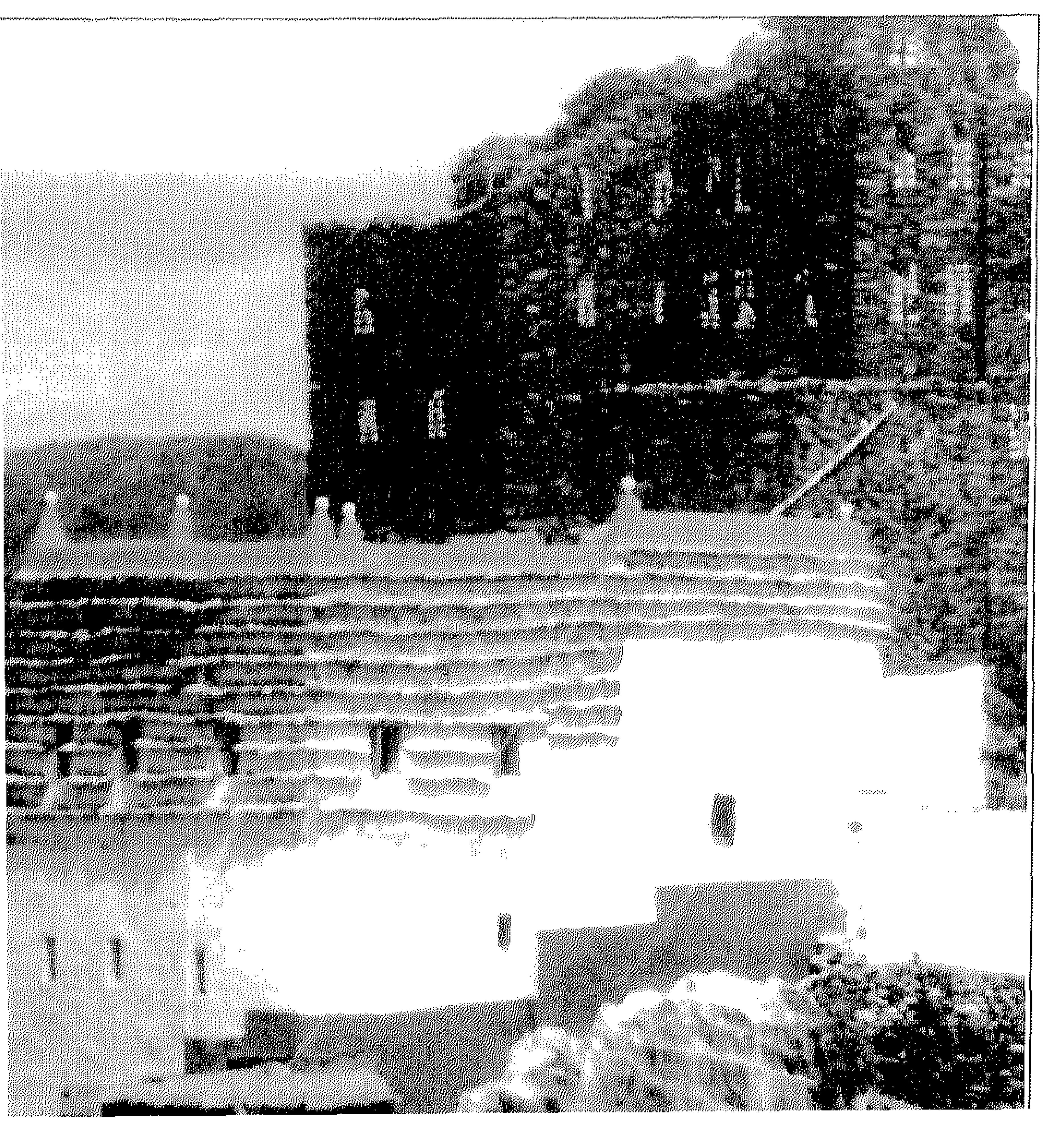
ومن الملاحظ أن مساجد عسير قد بنيت بدون قباب، وزينت بما توافر من حجر وطين، وخشب، وجص، وهناك عدة نماذج للنقوش على أبواب المساجد ونوافذها وسقوفها، ومن بينها نقوش مسجد قرية السقا الواقعة قرب مدينة أبها. كما أن هناك نماذج لزخرفة الجص على جدران مسجد بلدة الحرجة وغيرها.

أما عن حصون وقصبات عسير القديمة فيضيف الأستاذ وهبي الحريري الرفاعي: «يوجد في عسير الكثير من المباني القديمة العالية تسمى الواحدة منها حصناً أو قصبة، وهي مبنية بالطين، أو الحجارة أو كليهما، وقد صممت مداخلها تصميماً محكماً يجعل من الصعب اقتحامها، وكان الهدف من الحصن أو القصبة: السكن أو المراقبة والدفاع».

ومن الحصون والقصبات ما كان يصلح لحفظ



حصن حربي ذو قاعدة داعمة



مدخل مزين قرب مدينة سراة عبيدة

الحبوب وعلف الحيوانات، وللحصن قاعدة مربعة أو مستطيلة، وهو أكبر مساحة وحجماً من القصبة، ويقيم أصحابه فيه، أما القصبة فغالباً ما تبنى على المرتفعات وتكون لها قاعدة دائرية، والقصبة لا تتسع إلا لعدد قليل من الرجال يرابطون فيها فترة قصيرة للمراقبة، والدفاع. وكان أهل عسير، مثل سكان ما بين النهرين، يعمدون أحياناً إلى إشعال النار وإطلاق الدخان إيذاناً بالخطر.

ويحرص أهالي عسير من أصحاب الحصون والقصبات عليها حرصاً كبيراً لتكون قوية منيعة وجميلة، ويزينون أبوابها ومنافذها وأجزاء من واجهتها بأحجار المرو، كما يسمونها بأسماء جميلة مثل: حصن بهجة، وما زال أصحابها يقيمون فيها أو قربها، ويستخدمونها في أغراض أخرى كحفظ مؤنهم ومتاعهم.

وللحصون والقصبات نوافذ صغيرة للإضاءة والتهوية، حيث تملأ بالأعشاب الشائكة حتى لا تمر منها الطيور أو الحيوانات الصغيرة. وتحفظ الحبوب المخزونة في الحصن والقصبة عدة سنوات، إما بنشرها داخل غرف الخزن، أو بوضعها في أكياس تصنع من القش.

وقد يملك الحصن أو القصبة شخص أو أسرة، وقد يكون ملكاً لأهل القرية، وفي هذه الحالة تستعمل كل جماعة طابقاً من البناء. ولا زالت حصون وقصبات عسير القديمة تثير الإعجاب والتقدير، وتعكس على مر الزمان تاريخ عسير ومآثر أهلها. ■

المصادر والمراجع:

١- الرفاعي، وهبي الحريري: عسير تراث وحضارة، نادي أبها الأدبي ١٩٩٣، ص١١٦-١١٧.

٢- نفس المرجع، ص١١٨.

٣- نفسه، نفس الصفحة.

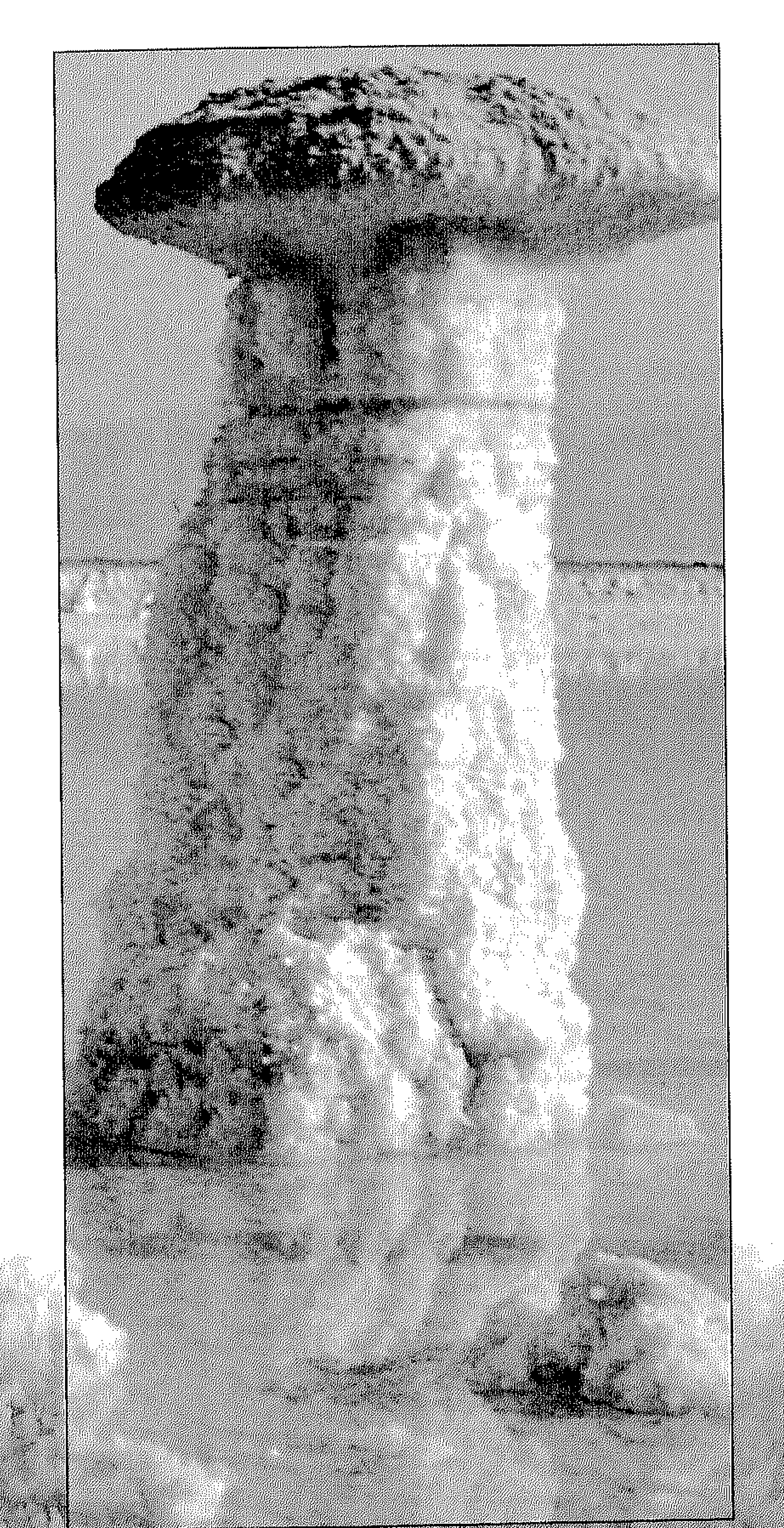
٤- جريس، د. غيثان علي: صفحات من تاريخ عسير، ج١ ط١ الرياض ١٩٩٣م، ص ١٤٨.

٥- النعيمي، هاشم بن سعيد: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، مؤسسة مرينا للنشر، الرياض ١٩٩٩م، ص١١٠.

الملح وعادة الممالحة عند العرب

■ ياسين صويلح

تروي الأساطير اليونانية القديمة، أن الحيوان قد سبق الإنسان إلى اكتشاف الملح والتلذذ بمذاقه وأن الحيوانات كانت تتلذذ بلحس بلورات الملح الناصعة البياض التي كانت تكسو أغصان وجذوع الأشجار. مما استرعى انتباه وفضول الإنسان لاكتشاف ذلك السر فقلّد الحيوانات في لحس البلورات الملحية وأضاف قليلاً منها إلى طعامه ليجد أن الملح أضفى عليه نكهة طيبة وطعماً مختلفاً.



ومن ذلك الحين بدأت بين الإنسان والملح صداقة حميمة ليصبح فيما بعد أحد العناصر الأساسية التي تدخل في طعامه والأكثر من ذلك أنه جعل له دلالات ورموزاً ومعاني، فهو رمز الصداقة الحقيقية التي تربط بين اثنين أو أكثر وهو عنوان الظرافة وخفة الظل وحسن الحديث فيقال «في حديثه ملح».

عادة الممالحة

عرف العرب الملح منذ أقدم الأزمنة واستخدموه في طعامهم مثلما يستخدمه سائر الناس ورأوا أن مشاركة الضيف لهم في طعامهم من ملح وخبز وسمن يؤدي إلى عقد رباط من الصداقة بحيث يصبح الغدر بعد ذلك بينهما غير محتمل. فقالوا: «بينهما خبز وملح» أي عهد وحلف. وقالوا: «فلان ملحه على ركبتيه»، أي لا وفاء له ولا عهد. وقالوا أيضاً: «فلان ما غرز الملح بعيونه»، أي إنسان جاحد ناكر للجميل. واستخدم العرب الملح كمادة لمنع تفسخ وفساد الأطعمة، وقد عبّر أحد الشعراء عن ذلك بقوله:

بالملح نصلح ما نخشى تغيره
فكيف بالملح إن حلت به الغير

والإنسان العربي يتمسك بالحرمة التي يفرضها الطعام وهو ما يسمى ب (الممالحة) وعادة الممالحة عادة قديمة حتى قيل إنها من أيام الجاهلية وهي عادة فضيلة الغاية منها احترام

الشخص للعائلة التي أكل من زادها وتذوق ملحها، فالواجب يفرض عليه أن يدافع عنها ولا يؤذي أفرادها ولا ينظر بسوء إلى نسائها.

ولعل إصرارهم على المالحة يعود إلى اعتقادهم بأن الإنسان الذي تمالحه ويمالحك أي يأكل من بيتك وتأكل من بيته طعاماً - والطعام لا بد من تمليحه - فإنك تأمن غدره وخيانته وكذلك هو. وهذا يعتبر بمثابة عهد قطعه كل منهما على نفسه تجاه الآخر، لذلك فإن من يخون هذا العهد أو ينكث به فيغدر بصاحبه يقولون عنه: إنه «خاين الخبز والملح»، وكم من شخص كان الموت ينتظره على يد شخص آخر فتم العفو عنه بسبب لقمة طعام تذوقها من زاد ذلك الشخص، والتاريخ العربي يزخر بالكثير من القصص والحكايات التي تتعلق باستعمال الطعام في طلب الحرمة والأمان، وكانت العرب في الجاهلية تعظم أمر الملح والنار والرماد، ومن معاني الملح عندهم الحرمة والذمام، لأن الممالحة توجد ذمماً بين المتمالحين وبالنظر لمكانة الملح وأنه بركة، كان العرب يتماسحون بالأكف ويتحالفون على النار ويتعاقدون على الملح وأخذ العهد المؤكد واليمين الغموس لتأكيد المحالفة.

قال الشاعر الجاهلي:

حلفت بالملح والرماد بالنـ
ـنار وبالله تسلم الحلقة
حتى يظل الجواد منعقراً
وتخضب النبل غرة الورقة

وقال شاعر آخر:

حلفت لهم بالملح والجمع شهد
وبالنار واللات التي هي أعظم

وكان الملح من الأشياء المقدسة لا تتم المعاهدات ولا تبرم إلا مع وجود الملح، وأن يتمالح الأطراف أي أن يلعقوا جميعاً من الملح الموجود فقد ربط بينهم، ويظهر أن الملح يرمز إلى الدم وينوب منابة الملوحة الموجودة في الدم، ولدى بعض الأقوام إذا أراد شخصان أو أكثر عقد رابطة ولاء متينة أسالوا قليلاً من دمائهم ومزجوها لتنشأ قرابة دم بينهم. وقد جعلوا الملح رمزاً للذمام والعهد والمحالفة والبركة والخصب.

الملح في التاريخ

تشير أشعار الأوديسا إلى ملح الطعام وتعتبره إحدى هدايا الطبيعة للإنسان، وتذكر أن أول نواة تكونت منها الأمة اليونانية كانت عبارة عن مجموعة أشخاص اتجهوا من أوروبا نحو البحر الأبيض المتوسط بحثاً عن الملح في مياه البحر ومع الأيام استقروا وتكاثر عددهم فشكلوا دولة عرفت فيما بعد باسم (اليونان).

وفي القرون الوسطى، كانت الحكومات تفرض الضرائب على الملح، واحتكرته بعض الحكومات وباعته بالثمن الذي تحدده، لذلك قامت الخصومات والاشتباكات بسببه في التاريخ، وفي فرنسا تم إجبار المواطنين الفرنسيين من قبل الملوك والأباطرة في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي على شراء كمية معينة من الملح في أوقات معينة وبأثمان باهظة كضريبة، وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية، ولم تكن هذه الضريبة هي الوحيدة التي فجرت ثورة بل كانت ضريبة الملح التي فرضها الاستعمار

البريطاني على الهنود عام ١٩٣٠م سبباً في قيام مظاهرات صاخبة قادها المهاتما غاندي نحو شواطئ البحر ليحصل كل مواطن على ما يكفيه من الملح، ويروي لنا التاريخ أن ملح الطعام كان سبباً في اندلاع حرب استمرت شهوراً طويلة بين قبيلتين ألمانيتين كانتا تتنازعان على الزعامة آنذاك، فقد كانت إحدى القبائل تقيم على ضفة أحد الأنهار، وكانت القبيلة الأخرى تقيم على الضفة المقابلة وكانت القبيلتان تعملان في استخراج الملح من مياه النهر، ونظراً لأن كل قبيلة كانت ترغب بالحصول على أكبر كمية ممكنة من الملح فقد جرت بينهما مناوشات تطورت إلى حرب استمرت عاماً كاملاً كان من نتيجتها إبادة إحدى القبيلتين إبادة كاملة.

وكانت ندرة الملح تبلغ في بعض المناطق حداً تجعله وسيلة للتعامل والمقايضة أي بمثابة العملة، وكان ذلك يتم في أواسط آسيا في التبت وفي أواسط أفريقيا، ولا يزال الملح في بعض الأرياف والبوادي يقايض عليه إلى جانب شراء الناس له بالعملة، ومن طريف ما يذكر أن المرتب الشهري أو أجر العامل هو بالفرنسية: (سالير) وبالإنجليزية: (سالاري) وهما من أصل لفظة (سيل) اللاتينية وهي الملح، ثم تجد أن (سالير) هو مبلغ من المال كان يعطى للجندي الروماني كراتب شهري، وقد عرف عن الرومان أنهم كانوا لفترة طويلة يصرفون لجنودهم وموظفيهم كمية من الملح بدل الراتب.

التداوي بالملح

يرجع تداوي العرب بالملح إلى عهد الجاهلية، لاعتقادهم بقدرته على شفاء أمراض كثيرة، ما دام أنه من الحاجيات الأولية للإنسان كالهواء والخبز والماء، وأن الطعام لا يطيب إلا به ولعل مصدر هذا الاعتقاد هو تجاربهم الخاصة.

فقد كانوا ولا يزال بعضهم يملحون الطفل عند ولادته: ويتم ذلك بأن يذيبوا الملح في الماء، ويبللون به جميع جسد الطفل، ويدخلون الماء المملح في فمه وفي عينيه وأذنيه، وبين أصابع رجليه، كما أنهم يكبسون الجروح الصغيرة بالملح لوقف نزيف الدم ويضعون على الجروح الكبيرة عصير البصل ممزوجاً بالملح، لتطهيرها ومداواتها ويداوون تورم القدمين بتغطيتها في ماء مضاف إليه كمية من الملح ويتغرغر ملتهب اللوزتين بماء مملح عدة مرات في اليوم، ويفرك البعض أسنانهم بالملح لإزالة ما يعلق عليها من الاصفرار، وللملح حرمة كبيرة لدى سكان البادية، فهم يعظمونه جرياً على عادة العرب القدماء وغير العرب من الأقوام القديمة، ويرون فيه بركة ونعمة كبرى جديرة بالشكر والتقدير، ومن مظاهر تعظيمهم للملح أنهم لا يجيزون إسقاط شيء من الملح على الأرض ويعدون ذلك تهاوناً بحق هذه المادة المباركة.

وكانوا في الزمن القديم وعندما يزور شخص قوماً من أصدقائه أو أقاربه بعد غياب طويل، يعلنون عن ابتهاجهم بزيارته بقولهم: «لنضع في النار ملحاً» وتفسير ذلك: إما لأن الملح نادر وثمين فيكون وضع قليل منه بمثابة تضحية، أو لأن الملح مبارك وأن قدوم الزائر مبارك، أو لأن وضع الملح في النار يجعله يفرقع وتصدر عنه أصوات تعلن للآخرين مجيء الزائر وتشهدهم على هذه الزيارة وابتهاجهم بها. وقد وردت ألفاظ الملح في كثير من الأمثال الشعبية التي ما يزال أبناء البوادي والأرياف يرددونها بلغتهم الدارجة في جلساتهم بين الحين والآخر ومن هذه الأمثال قولهم:

* «فلان ملح وذاب»: تضرب للشخص الذي يكون بين جماعة فيختفي فجأة.

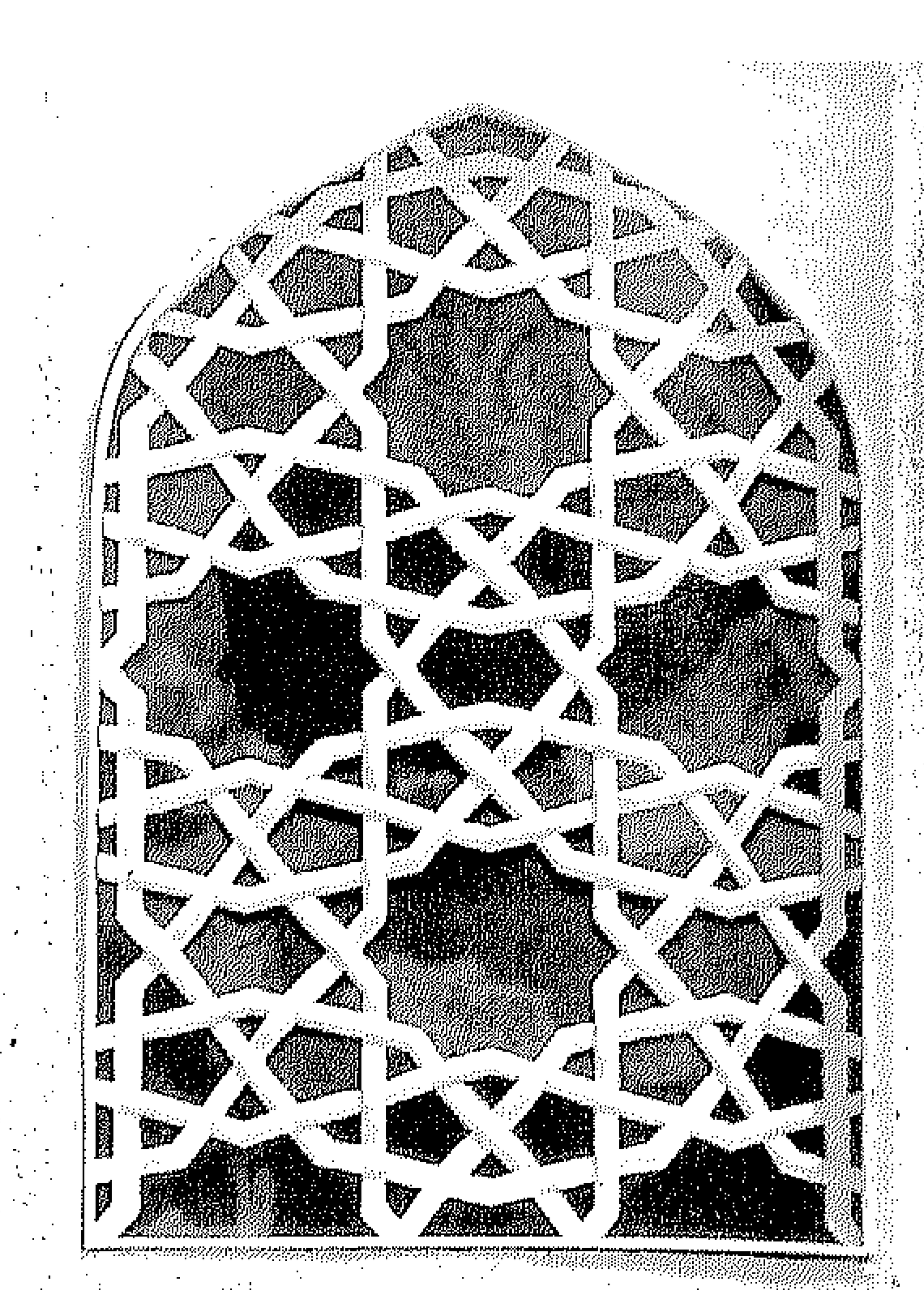
* «حط على جرحك ملح»: عبارة تقال في الحث على الصبر.

* «ما ينام من بعينه ملح»: يضرب للشخص الذي يعاني هماً يؤرقه ويؤلمه.

* «الحكي قرطة ملح»: عبارة تقال للثرثار لكي يكف عن ثرثرته، فالملح على ضرورته لا تؤخذ منه إلا كمية قليلة (قرطة). ■

مراجع البحث:

١) الملح في حياتنا وتراثنا: عبد القادر عياش.
٢) المعتقدات الشعبية في التراث الشعبي: توفيق السهلي - حسن الباش.
٣) مجلة الفيصل: العدد ٢٤١ ديسمبر ١٩٩٦.
٤) صحيفة الثورة السورية.





صفحات من الذاكرة الشعبية



■ عبد العزيز المسلم

مدير إدارة التراث - الشارقة

alkonoz@hotmail.com

آنـــه

أوردنا فيما سبق معنى كلمة (قرطا) وهي فئة نقدية محورة عن كلمة (كوارتر) الانجليزية أي ربع الآنة وبقي أن نوضح معنى الآنه، والآنه هي الجزء الأصغر في (الربّيّه) أو كما يحلو لبعض كتابنا كتابتها روبيّه، وأهل الإمارات حتى يومنا هذا ينعتون عملتهم بالربيّه حتى بعد أنْ جاء الريال ثم تلاه الدرهم.

والربيّه تنقسم إلى ١٦ آنه، والفئات الأخرى المتداولة في الإمارات هي آنتين و٤ آنات وتسمى هذه العملة (كركري) و٦ آنات و١٢ آنه، وكان الإماراتيون ينعتون الكامل من الناس والأشياء بـ١٦ آنه، فيقولون فلان ١٦ آنه، أو هذا الفعل ١٦ آنه... وهكذا.. ومما قاله الشعراء في هذا الشأن:

قــــدْرتـــي يـــا نـــاس لـــومـــيّـــه
وطـــلْـــبـــة المحبـــوب رمّـــانـــه
والمصـــيـــبـــه قـــال ربـــيّـــه
والمخابـــي مـــا بـــهـــا آنه

وهي شكوى يبثها لنا الشاعر ليعبر عن استيائه من طلبات الحبيب التي تفوق مقدرته حيث تمادى المحبوب في طلباته فتعدى الليمون إلى الرمان، وبدأ بطلب ربّيه رغم علمه بأن الشاعر لا يملك حتى آنة واحدة. وشاعرنا الآخر يقول في هذا الشأن:

يـــوم قـــالـــوا الـــربـــع والآنـــه
مـــن هـــواهـــم يـــزت مـــولـــيّـــه
الـــلـــه لا شـــاني ولا شـــانـــه
يســـتـــحـــي ويـــقـــول انـــا مـــويّـــه

وهو يعبر في هذه الآيات عن استيائه الشديد من أحبته بسبب طلباتهم الكثيرة من الربع والآنه، وهو يتمنى أن يتملك حبيبه الخجل فيفارقه ويذهب. أما مسك الختام فهو تعبير جميل عن أمل وترقب:

ضـــاعت آنـــه والـــعـــوض دانـــه
شـــوف حـــظّـــي كـــيـــف يـــتّـــابـــع
يـــوم كـــلّ الـــنّـــاس عـــطـــشـــانـــه
الْـــفَـــلَـــيْ عـــنْـــدي أنـــا كـــابـــعْ

وفي هذه الأبيات يورد الشاعر شكواه من ضياع آنه لكن الله عوّضه بدانه، والدّانة هي الدرّة اليتيمة من أغلى أنواع اللؤلؤ، وقرر بأن حظّه في تتابع مستمر يجلب له الخير، ثم يقرّ الشّاعر بأنه بينما كان الجميع يلفهم العطش والظمأ، كان (الفلج) مصدر المياه الرئيس في الإمارات، يتدفق عنده باستمرار. ■



عقدت في الأسبوع الأخير من الشهر الماضي ندوة (نحو آلية أكثر فاعلية لتنفيذ المشروعات الميدانية) بتنظيم وإدارة من مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بالتعاون مع دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، ورغم أهمية هذا النشاط للمركز مثل باقي أنشطته، إلا أنه في الجانب الآخر يأتينا قرار بإغلاق المركز لأسباب!! والواجب حل المشكلة الإدارية التي يعاني منها المركز لا إغلاقه، فتاريخ المركز ومكانته العلمية وإصداراته وأرشيفه ومحفوظاته وذلك التاريخ الطويل في مجال التراث الثقافي يتطلب وقفة متأنية.

رَحْبَةُ مَالِكِ بنِ طَوق

■ أ.د. محمد رضوان الداية

«الرحبة» اسم من الأسماء التي أطلقها العرب على بلدان ومواضع كثيرة في الجزيرة العربية، وفي سائر الأقطار العربية والإسلامية، شرقاً وغرباً، وسبب هذه الكثرة أن هذا الاسم في الأصل صفة جغرافية لمكان أو موقع. الرحبة على وزن القرية تجمع على رُحَب مثل قُرى. وهي تُطلق على ما اتسع من الأرض؛ أي: سمّى العرب البقعة (رَحْبَةً) لِسَعتها بما رَحُبَت أي بما اتسعت. وهي من مادة (ر ح ب) التي تدل على معنى الاتساع، ومنه في الآية الكريمة في خبر وقعة حُنَيْن ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾.

والرِّحاب في الأودية: مواضع متواطئة (فيها انخفاض) يستنقع فيها الماء (أي يجتمع في منخفض من الأرض)، وهي أسرع الأرض نباتاً، تكون عند منتهى الوادي، وفي وسطه. وقد تكون في المكان المُشرق (المرتفع قليلاً) يستنقع فيها الماء.. وإذا كانت الرحبة في الأرض مستوية نزلها الناس (أقاموا، وسكنوا).

وفي بلاد العرب رحبات كثيرة نُسِبَت إلى أسماء عربية، ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان عدداً كبيراً منها. وأشهر هذه الرحبات وأكثرها أحداثاً في الزمان: رحبة مالك بن طوق التغلبي. ولهذه الرحبة وهذه الشخصية قصة وخبر فيهما طرافة وغرابة. ودخلت هذه القصة كتب الأدب والجغرافية والأخبار والطرائف والغرائب..

(٢)

أول ما ورد اسم مالك بن طوق كان في خبر له مع هارون الرشيد وكان مالك في رجال الحاشية يقيم مع الخليفة، ويسافر معه حيث يذهب. على أن لمالك ذِكراً في كتب الأدب والتراجم. وفي التعريف به أنه مالك بن طوق التغلبي، أبو كلثوم، كان من الأشراف الفرسان الأجواد. بدأ علاقته بالعباسيين أيام الرشيد، واستمرت إلى وفاته سنة ٢٥٩هـ. وكان شاعراً يعرف قيمة الشعر وأهميته، ويثيب الشعراء الذين يمدحونه ويأخذون جوائزه. وأخباره مع الشعراء تستحق وقفة خاصة، لكننا هنا مع المكان الذي تزيّن باسمه، وللواقعة التي جرت له، ثم ما صدر عنه، فكانت من المواقف التي سجّلتها الأخبار والأشعار!.. وكان مالك من قبيلة تغلب التي تسكن في منطقة واسعة من الجزيرة الشامية (ديار تغلب).

(٣)

في إحدى رحلات الرشيد في نهر الفرات، في الجزيرة الشامية اقترب الموكب من بعض الدواليب القائمة عند النهر (النّواعير)، وكان مالك في السفينة التي تقلّ الرشيد فاقترح مالك عليه النزول إلى الشطّ والانتقال برّاً إلى أن تجوز السفينة ذلك المكان. فلم يقتنع الرشيد برأيه وقال له: لعلك تخاف هذه الدواليب!.. فأعاد مالك على الخليفة رأيه وترك الخيار للرشيد يفعل ما يشاء. فقال الرشيد بل أنزل ليس خوفاً من الدواليب ولكن تشاؤماً (يقول إنه غير مقتنع، لكن أصابه خوف التشاؤم). وبينما كان الرشيد على شاطئ الفرات حاذت السفينة المكان البحري الذي خاف منه مالك، وما لبثت أن انقلبت رأساً على عقب في لحظة بين دهشة الرشيد ومن معه، وغرابة الموقف.

شكر الرشيدُ الله تعالى وحمده حمداً كثيراً وأمر بتوزيع الصدقات في سبيل الله. والتفت إلى مالك وقال له: وجَبَتْ لك حاجة فاسأل ما شئت!.. فقال مالك وكأنه أعد طلبه في الموقف نفسه: وقال: يُقطعني أمير المؤمنين في هذا الموضع أرضاً أبنيها مدينة تُنْسَبُ إليَّ، فقال الرشيد: قد فَعَلْت، وأمر أن يُعانَ في بنائها بالمال والرجال.. وسرعان ما قامت في تلك المنطقة مدينة عُرِفت منذ ذلك الوقت باسم رحبة مالك بن طوق.

(٤)

كان للحادثة المهمة المذكورة أثر كبير، فقد شاع خبرها في البلاد، وأضيفت إلى المدن التي تبدأ بكلمة (رحبة) مدينة جديدة لم تكن معمورة من قبل هي رحبة مالك بن طوق. وعرف مالك –وهو الخبير– كيف يجعل منها مدينة عامرة يعمل فيها الناس زراعة وتجارة وصنائع مختلفة، وتدرّ أرباحاً وفيرة. قال الخبر: إن الدولة احتاجت في مناسبة من المناسبات مبلغاً كبيراً من المال؛ فرأى الرشيد أن يستعين صاحبُ خزانة المال بمالك بن طوق بأن يؤدي شيئاً يفيد الدولة ويسهم في المطلوب. وكان مالك قد تُرِك دون أية واجبات مالية منذ إنشاء مشروعه الكبير.

قال راوي الخبر: لمّا طولب مالك بن طوق بالمال تعلّل

(تحجّج) بحجج مختلفة، ولم يستجب. كرّر مندوبو الدولة مطالبة مالك بالاستحقاق فلم يستجب، فأنفذ الرشيد إلى مالك أكثر من حملة (بالقوّة) حتى تمكنوا منه وجاؤوا به مقيّداً إلى بغداد، وأودعوه السجن على تلك الحال.

(٥)

بقي مالك في سجنه عشرة أيام، وهو لا يتكلم ولا يجيب عن أي شيء إلا بالإشارة والرمز بيده أو رأسه. فلما انقضت الأيام العشرة ساقه الجند إلى مجلس للرشيد حضره الوزراء ورجال الدولة في بغداد. فلما مَثَل أمام الرشيد قبّل الأرض ثم نهض واقفاً لا يتكلم بكلمة واحدة. واستمرّ الموقف على هذا الصمت مدّة غير قصيرة. فدعا الرشيد بالنِّطع (جلد يبسط على الأرض) وبالسّيف وأمر السيّاف أن يضرب عنق مالك، فقال له يحيى (الوزير): ويلك يا مالك ألا تتكلّم؟ فالتفت مالك إلى الرشيد، وقال:

«السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. الحمد لله الذي خلق الإنسان من سلالة من طين. يا أمير المؤمنين! جَبَر الله بك صَدْعَ الدين، ولم بك شعث المسلمين، وأخمد بك شهاب الباطل، وأوضح بك سبل الحق. إن الذنوب تخرس الألسنة وتصدع الأفئدة. وايم الله! لقد عظمت الجريرة (كبر الذنب) فانقطعت الحجة، فلم يبق إلا عفوك أو انتقامك، ثم أنشأ يقول:

أرى المَوْتَ بين السَّيْفِ والنِّطْعِ كامناً
يُلاحظني من حيث ما أتَلَفَّتُ
وأكثرُ ظنّي أنكَ اليومَ قاتلي
وأيُّ امرئٍ مّما قضى اللهُ يُفْلِتُ
وأيّ امرئٍ يُدْلي بعذرٍ وحُجّةٍ
وسَيْفُ المَنايا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ؟
يعزّ على الأوْس بن تَغْلِبَ موقفٌ
يُهَزّ عليَّ السَّيْفُ فيه وأسْكُتُ
وما بيَ خوفٌ أنْ أموتَ وإنّني
لأعْلَمُ أنّ الموتَ شيءٌ مُؤقّتُ
ولكنّ خلفي صِبْيَةً قد تركْتُهُم
وأكبادُهُم من خَشْيَةٍ تتفتّتُ!
كأني أراهُمْ حينَ أُنْعى إليهمُ
وقد خَمَشوا تلك الوجوهَ وصَوّتوا
فإن عِشْتُ عاشوا خافِضِينَ بِغِبْطَةٍ
أذودُ الرّدى عنهم وإنْ متُّ مَوّتُوا
وكم قائلٍ لا يُبْعِدُ اللهُ دارَهُ
وآخرَ جَذْلانٌ يُسَرُّ ويَشْمَتُ!

فبكى الرشيد بكاءَ تَبَسُّم (فقد أعجبه اعتذار مالك وصدقُ لهجته) ثم قال: لقد سَكتَّ على همّةٍ، وتكلّمتَ على علم وحكمة، وقد وهبناك للصبية! فارجع إلى دارك وأهلك ومالك، ولا تعاوِدْ فعالك!

(٦)

رجع مالك إلى رَحْبَتِه، واستمرت المدينة عامرة زماناً طويلاً بعده. وجاوَرَتْ رحبته هذه مدنٌ وبلداتٌ كثيرة. إلى أن خربت كما في بعض الأخبار في فتنة البساسيري (قام ضد العباسيين بالتخطيط مع الفاطميين).

وقد أقيمت في رحبة مالك بن طوق في العصر الأيوبي قلعة عظيمة بُنيت هي والمدينة المجاورة لها في عهد السلطان نور الدين زنكي (الشهيد) من قِبَل قائده أسد الدين شيركوه الذي أصبح حاكماً عليها وعلى منطقتي حمص وسلمية. وشاركت قلعة الرحبة -مع المنطقة- في نصرة الظاهر بيبرس ضد التتار عامي ٦٨٠ و٧١٢ هجرية. وبقيت عامرة حتى أواخر العصر العثماني باعتبارها محطة للقوافل التجارية وقوافل الخليج القادمة من الشرق كما في المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.

وحدد هذا المعجم موقع رحبة مالك في جغرافية عمران الجزيرة اليوم بأنها تقع -مع القلعة المذكورة- فوق الحافة اليمنى لوادي الفرات تبعد ٥ كيلو مترات عنه، وعن مدينة الميادين، وتبعد ٤٥ كيلو متراً جنوب شرق مدينة دير الزّور.

(٧)

لقد خلد اسم مالك بن طوق التغلبي بما ترك من خبر وشعر وما صدر عن شعراء زمانه مدْحاً له وثناء عليه. ولكن اسمه كان أكثر ألقاً مع مدينته التي نسبت إليه (رحبة مالك) التي قيل فيها لشهرتها في البلاد: الرحبة الشاميّة. وعلى رغم تعرّض هذه الرّحبة لعوادي الزمن من الأحداث والوقائع وعوامل البلى: استمرّ اسمُها في البلدان المشهورة وفي المناطق المؤثرة في الأحداث وفي حركة الحياة.

وإذا كانت القلعة التي جاورت رحبة مالك أو قامت على بعض حِمَاها صارت تعرف على سبيل الاختصار باسم الرحبة فإن صفحات التراث العربي المختلفة قد نسبتها إلى مالك بن طوق التغلبي، وسجّلت قصته الغريبة مع هارون الرشيد، وشهدت لقاء مالك مع الشعراء الذين مَدَحُوه مثل أبي تمام والبحتري وغيرهما من أعلام ذلك الزمان! ■

مخطوطة أنساب العرب

لمؤلفها سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري العُماني

■ د. فالح حنظل

يمكن القول إن التأريخ علم وثائق، وإنه إذا ما ضاعت الوثائق ضاعت كتابة التأريخ أو بعبارة أخرى لا تأريخ بدون وثائق وإن أولى المراحل المنطقية في منهج البحث التاريخي هي جمع المصادر والأصول التي تكون المادة الأساسية في كتابة أي بحث تاريخي، ولعله من البديهيات في هذا الموضوع أن يكون الباحث التاريخي عارفاً وملماً بجميع الوثائق والمصادر المتعلقة بموضوع بحثه وأماكن حفظها، وأن يكون على اطلاع لمجموعات السجلات والأرشيفات، بالإضافة إلى كونه متمرساً بأساليب جمع المادة المستخرجة من تلك الوثائق.

ومن الموضوعات المهمة في منهج البحث التاريخي هو موضوع جمع وتحقيق الوثائق والمخطوطات القديمة ونشرها. وبالنظر إلى أهمية نشر المخطوطات العربية التي تتضمن التراث العربي والإسلامي في مختلف ميادين المعرفة، فمن الواجب البحث والتعرف على نسخ المخطوطة العديدة والمحفوظة في المكتبات ودور السجلات والأرشيفات المختلفة في الداخل والخارج، خاصة النسخة الأصلية بخط المؤلف والتي يطلق عليها مصطلح (الأم) وهي بطبيعة الحال أفضل النسخ التي يعتمد عليها في النشر.

ثم تأتي بعد نسخة (الأم) نسخٌ نسخها غير المؤلف، وقد يكون الناسخ قد قرأها عليه فأجازها وكثيراً ما يثبت ذلك بخطه بأنها قُرئت عليه أو قرأها بنفسه، وعلى هذا الأساس فإن هذه النسخة تكاد تكون بمرتبة النسخة الأصلية (الأم) باستثناء شكل الخط. وهناك من المخطوطات ما يكون قد ضاع أصلها وأثبت ناسخوها أنهم قرأوها على ثقاة عارفين بالمؤلف فأثبتوا كتاباتهم بالمعلومات التي حصلوا عليها من أولئك الثقاة. وهنا يأتي دور الباحث المدقق في تحقيق المخطوطات ونشرها. ومن الأمور الهامة التي تؤخذ بنظر الاعتبار هو أن نشر المخطوطة الأم أي النسخة التي بخط المؤلف يجب أن تنشر كما هي، بدون تصحيح أو إضافات إلا في الهوامش، وفي حالة انتفاء النسخة الأم، فيمكن للمحقق إضافة كلمة أو حروف ساقطة من المتن ويضع ذلك بين أقواس، كما يجب أن يضع لها بداية أو تقديماً يبين موضوعها وترجمة المؤلف ونوع النسخة التي اعتمدها إلى غير ذلك من الأمور الفنية والعلمية في تحقيق المخطوطات ونشرها.

وعلى هذا الأساس يجب بذل الجهد والاهتمام بجمع مخطوطات الأقدمين من أهل الإمارات والخليج العربي وتحقيقها ونشرها تعميماً للفائدة منها وإبراز الدور التاريخي والحضاري لعرب الخليج على الصعيدين القومي والإسلامي.

أهمية المخطوطات العمانية

كان من فضل الله تعالى أن دولة عمان بنهضتها الحديثة، اهتمت اهتماماً كبيراً بجمع تراثها المتمثل بمخطوطات الأولين، خاصة وأن هذه المخطوطات ظلت طي النسيان ولم تجرِ محاولة لتحقيقها ولاستقصاء مصادر التاريخ العماني منها وما له أيضاً من علاقة بتاريخ شقيقتها وجارتها الإمارات العربية المتحدة. ويبدو من حديث أحد المؤرخين وهو الأستاذ محمد بن عبد الله السالمي صاحب كتاب (نهضة الأعيان بحريّة عمان) أن مكتبة كبيرة كانت تضم حوالي تسعة آلاف كتاب قد أحرقت في أحد الحروب الداخلية في البلاد.

ومن المخطوطات العمانية الشهيرة التي تمكنّا والحمد لله تعالى من الحصول عليها هي مخطوطة (أنساب العرب) وتسمى أيضاً كتاب (العوتبي في السير والأنساب) وكنا قبل أن تصلنا المخطوطة التي بين أيدينا قد قرأنا أن هناك عدة نسخ من هذه المخطوطة، أولها في دار الكتب المصرية وتقع في ١٨٧

ورقة تم نسخها في عام ١١٣٠هـ. وثانيها نسخة باريس في المكتبة الوطنية حصل عليها رجل اسمه (جوليان) في زنجبار عام ١٨٤٦م. أما تاريخ كتابة المخطوطة بيد المؤلف فقيل إنه في أواخر القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي، ذلك أن المؤلف «رحمه الله» لم يضع تاريخاً لمخطوطته.

المؤلف والمخطوطة

المؤلف هو سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، أي أنه من أهل مدينة صحار في عُمان وكنيته أبو مسلم وفي النسخة التي بين أيدينا أن كنيته أبو إبراهيم. وعدد صفحاتها ٤٤٢ صفحة من القطع الكبير، وهي ليست بخط المؤلف إنما كاتبها هو (سعيد بن عبد الله بن محمد الذعاري)، وهي من جزأين أطلق الكاتب اسم (قطعة) بدلاً من الجزء، فعندما وصل إلى الصفحة ٣٨٢ لم يتوقف بالحديث وهو يذكر أنساب كنده، بل وضع نقطة في نهاية الحديث، ثم استمر بالكتابة فقال: «تم الكتاب وهو القطعة الأولى من كتاب الأنساب تأليف الشيخ سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري «رحمه الله تعالى» ويتلوه القطعة الثانية».

وبعد أن يضع نقطة وقف بعد هذه العبارة يكتب ما يلي: «فصل من غير الكتاب، وجدت في الأثر عن المسلمين في فضائل الأزد وما جاء فيهم من الروايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم».. إلى آخره من الكلام، ثم يستطرد بالحديث بدون فصول فلا يدري القارئ هل أن الكلام كلامه أم كلام المؤلف.

والمخطوطة في قسمها الأول كتاب في أنساب العرب، أما في قسمها الثاني ففيه الكثير عن تاريخ عمان قبل الرسالة وعن آل الجلندي الحكام، وبعض المواقف بعد دخول الإسلام إلى هناك. قد جاء في مقدمتها ما يلي:

«لقد جعلت الكتاب كتاباً جامعاً كبيراً من أسماء القبائل، قبائل العرب في عمايرها وأفخاذها وبطونها وشبابها في جاهليتهم وإسلامهم وغيرهم من الأمم وجعلت ذلك كتاباً جامعاً لأنساب العرب ومقتصراً عمايرها ومشهور بطونها وذكرت فيه شيئاً من الأخبار والشواهد ونظمت خبر كل قوم عند ذكر أنسابهم ليكون أوضح دلالة وأسهل طلبة لقاريه والناظر فيه. وكان غرضي في جميع ما اقتصصتُ الإيجاز والاختصاص ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب ولاختلط الخفي بالجلي فمجته الآذان وملته النفوس وقد نظمت نسب كل شريف ومذكور وبليغ وخطيب وشاعر من القبائل إلى أن ألحقته بالفخذ الذي هو منه وأوضحت نسبه إلى الموضع الذي لا يجهله أحد ممن طلب شيئاً من العلم والأدب».. إلى آخره من القول في أسباب تأليف الكتاب. حيث يتوقف عند الأبيات الشعرية التالية:

يا طالباً لفنون الشعر مجتهداً
أقصد هديت إلى رشدٍ وإيمانِ
إن كنت ذا فِطَنٍ فيما تحاوله
من السموّ إلى أعلى ذرى الشانِ
فكن لقول رسول الله متبعاً
ترقى العلا وتباهي كل إنسانِ
تعلموا نسب الأقوام إن به
صلات أرحامكم فزتم برضوانِ

ثم يبدأ بموضوع الكتاب فيقول:

«فأول ما ابتدئ بذكره في هذا الكتاب ذكر شيء من مبتدأ الخلق والملائكة عليهم السلام وغير ذلك مما بدأت بذكره في هذا الكتاب مع قصة آدم وولده». إلى آخره.

فيتحدث عن بداية الخلق وآدم وحواء والشيطان وحكايات الأنبياء والرسل، ثم يتسلسل مع أولاد آدم وذريته وحكاية الطوفان ثم أولاد نوح وسلالتهم ويستمر بالسرد التاريخي إلى الصفحة ٥٧، وينتقل بالحديث فجأة عن الأنساب فيقول: «وحملني أن أنظم في هذا الديوان كتاباً في الأنساب لأنه قد تقدم لنا كتاب يبين الحكمة في الحِكَم والأمثال وبعده كتاب بحكم الخطابة في الخطب والترسل وجعلتُ كتاب موضح الأنساب واسطة وبعده كتابٌ يمنح البلاغة للوفود والوافدات ويليه كتاب أنس الغرايب في النوادر والأخبار والفكاهة والأسماء».

ثم يبدأ بسطر ذي عنوان وهو (ذكر معرفة الشعوب والقبائل والبطون والفصائل) فيتحدث عن العرب والعجم ويستطرد بالحديث عن القحطانيين من العرب إلى الصفحة ٦٣، حيث ينتقل بالحديث في سطر يقول: «بايتلوه كتاب في العدنانية وسميته كتاب موضع الأنساب»، فيتحدث عن النبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ثم نسب عدنان. وفي الصفحة ٩٣ ينهي القول بما يلي: «ثم كتاب الأنساب بحمد الله وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه ويتلوه كتاب الشجرة في الأنساب والله المساعد».

وفي هذا الفصل يختار أسماء الشخصيات الإسلامية ابتداءً من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة وغيرهم. ويعود في الصفحة ٩٨ إلى ذكر أنساب قحطان فيستطرد في الأحساب والأنساب والأخبار والأشعار، ثم يتحدث عن أبرهة وأصحاب الفيل، ثم يعود إلى أنساب قبائل العرب.

ثم يأخذه الاستطراد في الحديث وحسب المنهج العام

الذي اتبعه في ذكر كل ما يجول على باله من أحداث، فينتقل إلى معارك العرب ضد الفرس قبل الإسلام وبعده، ثم لا يلبث أن ينتقل إلى أيام امرئ القيس فيكثر من الأشعار حين الحديث عنه، إلى أن يصل إلى صورة شجرة كنده وبها تبدأ (القطعة) الثانية من كتاب الأنساب، أي الجزء الثاني منه. وفيه يحدثنا عن أيام النعمان بن المنذر وكسرى، إلى أن يصل في الصفحة ٣٢٣ إلى ذكر سيرة أبي صفرة وهو والد المهلب القائد الشهير، وبعد أن ينتهي من ذكر نسبه وأولاده يعرج إلى حلقةٍ مهمةٍ من حلقات التاريخ العماني والخليجي وهي قصة لواء الاصطخر الذي عبر من بلدة (جلفار) واحتل بلدة الاصطخر العاصمة الساسانية العتيدة، وكان ذلك على أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان واليه في عمان عثمان بن أبي العاص، ثم ينتقل إلى المهلب بن أبي صفرة فيتحدث عن أيامه وحروبه ضد الخوارج أيام الحجاج بن يوسف الثقفي.

وعندما يصل إلى الصفحة ٣٤٩ يعود إلى ذكر الأنساب فيتحدث عن نسب نصر بن الأزد. وكعادته يسترسل بالحديث غير المنهجي ويكثر من الأشعار والقصائد، إلى أن يصل إلى الصفحة ٣٦٤ حيث يتحدث عن نسب مالك بن فهم، وهو المعروف عند الرواة العرب بأنه الذي قاد قومه وخرج من اليمن إثر انهيار سد مأرب، فيصف السد ثم يصف انهياره، وخروج الأزد ووصول مالك بن فهم إلى عُمان. ومن الجدير بالذكر أن الحديث عن هجرة الأزد إلى عمان ومالك بن فهم وأولاده من بعده أخذها الكثير من المؤرخين في تثبيت التواجد العربي الأول في عمان إذ يتبين من سرد الرواية أن الفرس كانوا بعمان، وقد قاتلهم مالك بن فهم إذ أوفد لهم ابنه هناة بن مالك، ويستطرد في وصف صفحات المعركة وكيف انتصر العرب فيها على العجم إلى أن استقر لهم الأمر هناك، ويورد أبيات شعر في ذلك النصر ومنها:

أبو مالك وبنوه شادوا
قصوراً في عُمان مالكينا
وأجلوا مرزباناً من عمانٍ
وكانت في عمالته مزونا
هم الغرّ الكرام من آل فهم
سلالة مالك المتغطرسونا
هم جابوا البلاد ودوخوها
وهم ملكوا بلاد الأعجمينا

ويستمر بالحديث عن تاريخ عمان وملوكها إلى أن يصل إلى آل الجلندي وهم الملوك أيام الرسالة المحمدية المباركة، ثم يعود بالحديث عن أيام سليمة بن مالك بن فهم وكيف أنه قَتَلَ أباهُ خطأً برمية سهم، وكان والده يعلمه الرماية، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، نظم شعراً جاء في مطلعه:

ألا من مبلغ أبناء فهم
بمالكه من الرجل العماني

إلى أن يقول:

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتدّ ساعدهُ رماني

وقد راج هذا البيت مثالاً تداولته العرب.. ويحدثنا أيضاً عن أيام سليمة بن مالك بن فهم ومن طريف الأحاديث هو أن هذا الملك أي سليمة استجار به أهل منطقة كرمان في إيران من ملكهم الغشوم الذي يأبى إلا أن يزيل بكارة العروس قبل بعلها، فوافق سليمة على أن يخلصهم منه بشرط أن تصبح كرمان من جملة الممتلكات العمانية، فوافقوا على ذلك وذهب إلى هناك متنكراً، ولما وصل انتظر حفل زفاف لإحدى البنات اللاتي يعرف عائلتها واتفق على أن لا تدخل الفتاة إلى الملك بل يدخل هو بعد أن يتنكر بزي امرأة عروس. وقد

حصل ذلك إذ ارتدى ملابس الفتاة وحمل سلاحه معه وأخفى وجهه، فلما اختلى بالملك صرعه بخنجره ولبس تاج الملك وخرج إلى الناس فاعترفوا به ملكاً، وبقي هناك إلى أن مات ودفن بأرض كرمان.

ثم يتحدث عن أولاد سليمة بن مالك بن فهم وتوزعهم وسلالتهم في عمان، فيذكر عدداً من أعيان الرجال الذين لهم ذكر في التاريخ العماني وأماكنهم في المدن والحواضر. وفي الصفحة ٤٠٧ من الكتاب وفي خضم ذكر الأحداث والأسماء يظهر لنا اسم الأهيف بن حمحام الهنائي وحربه ضد الحواري بن عبد الله الحداني السلوتي النزاري. ومن الجدير بالذكر أن الخلاف الهنائي- النزاري أو الهنائي- الغافري كان المحور الذي دار عليه التاريخ العماني لفترة طويلة ووصلت شرارته إلى منطقة الإمارات أيضاً فقسمتها إلى حزبين متناحرين هما هنائي وغافري. وأصول هذا الانقسام ما حدث من خلاف عربي قديم بين القحطانية والعدنانية والذي امتدت مشاكله إلى أجزاء كبيرة من الوطن العربي القديم.

وفي الصفحة ٤٠٩ من الكتاب يعود بنا المؤلف ليحدثنا عن وجود الفرس في عمان وعن حكاية موفد فارسي اسمه كعب بن برشة الطاهي كان مسيحياً ثم أرسله حاكم عمان الفارسي ليأتيه بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف أن هذا الرجل أسلم على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحدثنا أيضاً عن الموفدين الذين أرسلهم الرسول إلى ملوك عمان وعن رسائله صلوات الله وسلامه عليه، وكيف دخل ملوك عمان أولاد الجلندي إلى الإسلام، ثم محاربة العرب للفرس وإجلاؤهم عن أرض عمان إلى أن يصل إلى (ردّة دبا) وما حدث فيها حينما ارتد ملكها الجلندي ذو التاجين، ويحدثنا عن الوفد الذي خرج من مدينة دبا وذهب إلى الحجاز ليشرح للخليفة عمر بن الخطاب بأن ما حدث في دبا لم يكن ردّة.

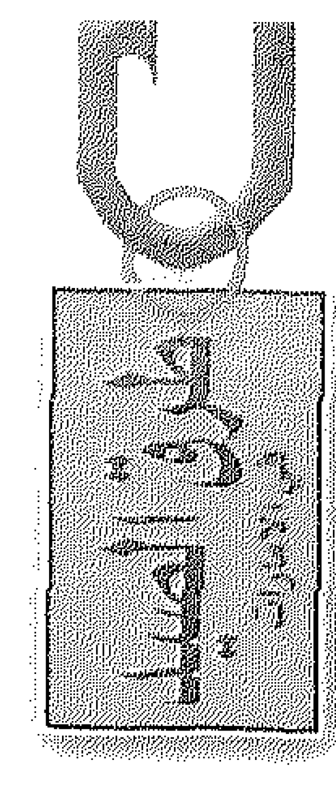
أما الصفحات العشر الأخيرة من الكتب فقد جاءت سطورها مقطعة وعباراتها ناقصة مما يدل على أنها كانت ممسوحة في الأصل وتعذر على الناسخ أن يضع كلمات بدلها، فتركها على حالها.

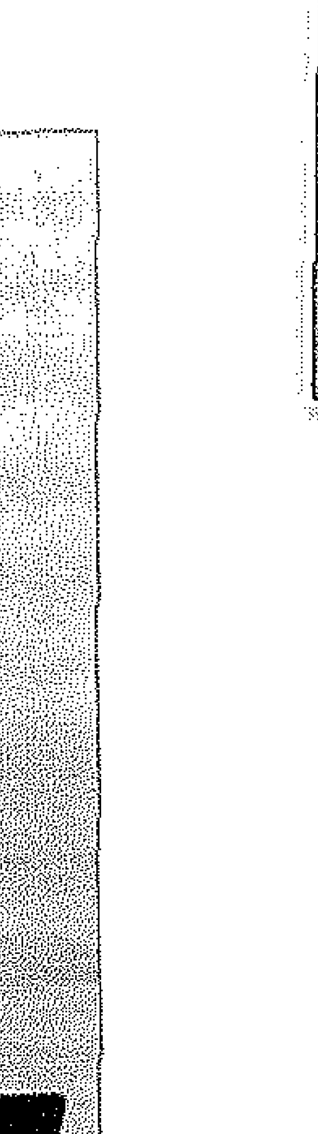
وقد وجدنا في هذه المخطوطة تعليقات وتواريخ. فبالنسبة لكاتبها فقد ذكر في ختامها ما يلي: «وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب المستطاب أول ساعة من يوم الجمعة الزهراء وتاسع يوم من شهر صفر الخير من شهور سنة ١٣٥٥ من الهجرة المحمدية الإسلامية. وناسخه العبد الفقير المقرّ بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه القدير سعيد بن عبد الله بن محمد الذعاري نسباً والأباضي مذهباً، وذلك على نفقة المريد لنسخه الشيخ الزكي اللوذعي العالم الفقيه أبي عبد العزيز إبراهيم بن سعيد بن محسن العبري».

إذاً، يفهم من هذا أن النسخة التي بيدنا كتبت في عام ١٣٥٥هـ وهو ما يوافق لعام ١٩٣٦ الميلادي. وهي منقولة عن نسخة أخرى.

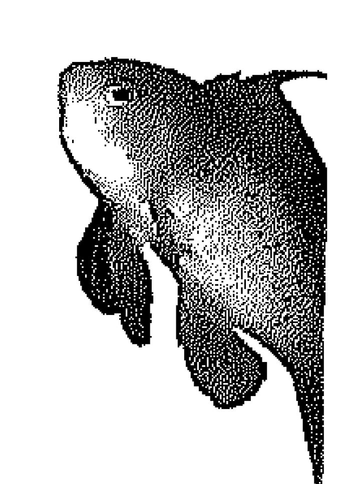
وهناك ورقة قبل الصفحة الأولى من الكتاب جاء فيها: «هذا كتاب العوتبي في السير والأنساب، أحسبه تأليف العلامة الجليل أبي إبراهيم سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري مؤلف كتاب الضياء في الفقه. وهذه النسخة راجعة إلى الكتب الموقوفة ببلدة الحمراء من عهد الأشياخ».

وعلى كل حال فالكتاب أو المخطوطة وبصورة عامة رغم ابتعاد كاتبها عن المنهجية الحديثة في التأليف من حيث تنظيم المادة في فصول وأجزاء، لكن أثرها يبدو واضحاً في العديد من مصادر التاريخ العماني التي تلته ونقلت منه مثل الأزكوي في كشف الغمة وابن رزيق في الصحيفة القحطانية والسالمي في تحفة الأعيان. مما يجعلها في مصاف المخطوطات العمانية الأولى من حيث الأهمية التاريخية.■

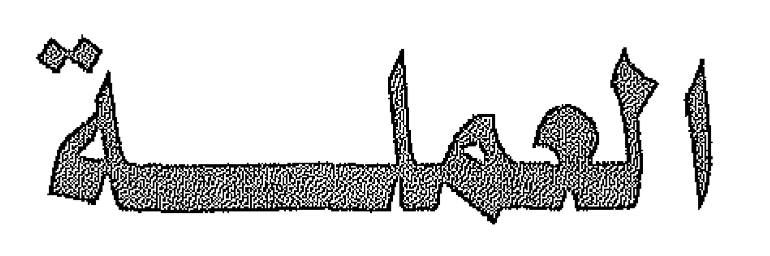




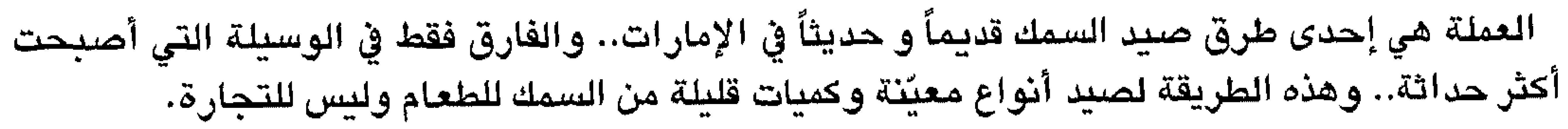
صيادون يفرسون.. والعميل على صدر المركب ومعه الجناه وفيها الكابر







العملة

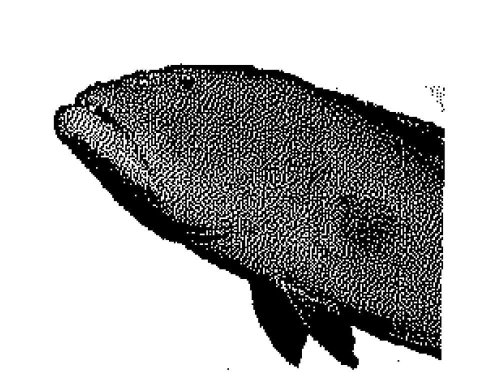


العملة هي إحدى طرق صيد السمك قديماً و حديثاً في الإمارات.. والفارق فقط في الوسيلة التي أصبحت أكثر حداثة.. وهذه الطريقة لصيد أنواع معيّنة وكميات قليلة من السمك للطعام وليس للتجارة.

نوخذتنا في رحلتنا للتعرف على طرق صيد السمك في الإمارات خميس راشد بن زعل الرميثي الخبير التراثي بنادي تراث الإمارات (بوراشد) يواصل حديثه قائلاً: تحدثنا قبل ذلك عن الصيد: بالخيط ، اللفاح، القراقير، السكار والدفارة، السالية، الميافر.. ونتحدث في هذه المرة عن العملة.. وهي طريقة بسيطة القصد منها صيد كمية قليلة من السمك لإعداد وجبة واحدة وكميتها تتوقف على عدد الحاضرين.



والعملة هي طريقة الصيد بالرمح أوالكابر.. حيث يتحرك البانوش (القارب) ويكون عليه رجل ماهر في الصيد بالرمح واقفاً على صدر البانوش (مقدمة المركب).. ويسمّى العميل.. وهناك من يفرسون (الفرس هو تحريك البانوش عن طريق عدة عصي طوال يستخدمها عدد من الرجال يركبون البانوش ويدفعونها في الأرض فيتحرك البانوش إلى الأمام في اتجاه الدفع).. أو يجدفون.. ولا يستخدم الشراع في هذه الطريقة لأنها تحتاج إلى حركة بطيئة وقدرة عالية على التحكم في اتجاه وسرعة البانوش.. وتكون هذه الطريقة غالباً بالقرب من الصخور والشعاب المرجانية لصيد الهامور أو الأسماك التي تأتي في الولة (متناول اليد) مثل السجل والكنعد والسوس والأقرن والحِي والقصقوص والكراب والسيافة والسوار والكنازة والبياضة وأم الدهون وحتى خيل البحر.



أما الحياسة والعيطنة (الأنثى تسمى عيطنة والذكر يسمى حس) وبو حمر وأم حميدو فهي من أنواع العوال (سمك القرش) التي تصاد بالشبك.

كيفية الصيد

ويصف بور اشد الرمح بأنه حديدة في مقدمتها سنين مثبتة في جناة (عصا) طويلة.. أما الكابر الذي كان يستخدم في الماضي فلا يختلف عن فكرة الرمح كثيراً.. فهو جناه (عصا) يتراوح طولها ما بين خمسة إلى ستة

أمتار.. يثبت فيها الكابر الذي في رأسه حديدة يطلق عليها (الجلالة).. والكابر مربوط به حبل من أحد طرفيه يسمى (المصدر).. والطرف الثاني من الحبل (المصدر) يكون مربوطاً في مقدمة البانوش.. ويتحرك البانوش ببطء سواء بالفريس أو بالتجديف.. وعندما يرى الصيادون إحدى الأسماك الكبيرة يتجهون ناحيتها ويكون (العمْيَل) الرامي مستعداً وعنده قوة وعنده خبرة عالية في إصابة الهدف.. وعندما يقترب من المسافة التي يراها مناسبة يرمي السمكة بالچناه وفي رأسها الكابر الذي ينشب في السمكة وترتد الچلالة إلى صاحبها ويبقى الكابر المربوط بالمصدر في السمكة، وطرف المصدر الثاني مربوطاً في مقدمة البانوش.

ويتحدث بو راشد عن الأسماك التي يتم صيدها بهذه الطريقة ويقول: إنها من الأسماك الكبيرة من فصيلة العوال (القرش).. وكل نوع له عدة مسميات حسب الحجم.. فالسوس مثلاً الكبير منه يسمى (مشممه).. والأوسط يسمى (سوس)، والصغير يسمى (بو شحيطة).. أما نوع السيافة فهذا الاسم يطلق على الكبير منها.. والوسط يسمونه (مشار)، والصغير (بلندو)، ونوع البياضة يطلق الاسم نفسه على الأسماك الكبيرة منه، أما الوسط فيسمى (نوام)، والصغير (رجيلي)، وأسماك الأقرن يطلق الاسم نفسه على الكبير منه، والوسط يسمونه (صفيحة)، والصغير (أم الدم)، والكراب يطلق الاسم نفسه على الكبير والأوسط منه، أما الصغير فيسمونه (يبع)، وفي نوع السوار يطلق الاسم نفسه على الكبير منه، أما الوسط فيسمى (بو لوحين)، والصغير (مجيلي)، ونوع الجِي فيطلق الاسم نفسه على الحجم الكبير منه، والوسط (موقف)، والصغير (ولد).

سالفة أم حميدو

ويتوقف بو راشد قليلاً ليفسّر لنا سبب بعض التسميات التي أوردها في كلامه فيقول: تسمية حبل المصدر بهذا الاسم لأنه عندما ينشب الكابر في السمكة فإنها تهرب بعيداً ويقال لها (صدرت به) يعني ذهبت به بعيداً.. وهي تسحب البانوش خلفها من قوتها ولكن ليس لمسافة طويلة لأنها تتعب.. عند ذلك يسحبون المصدر ناحية البانوش حتى تقترب السمكة.. ويضربونها بالكابر الثاني والثالث حتى لا تفلت وتضيع عند رفعها بالكابر الأول.. وعملية الضرب هذه لضمان بقائها تحت سيطرتهم.

وتبسم بو راشد قائلاً: إن هناك بعض الرجال يسمّونهم كراب.. نسبة إلى سمك الكراب.. فسمكة الكراب وهي من أسماك القرش ليست طويلة مثل باقي الأنواع.. ولكنها قصيرة..متينة.. قوية.. سمراء بعض الشيء.. ومن يشبهها من الرجال في تلك الصفات.. ومن كان منهم (غيصا) بارعاً وله نفس طويل تحت الماء يطلقون عليه كراب تقديراً لقوته وشجاعته وبراعته في الغوص.

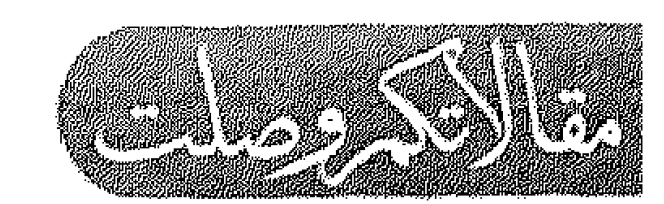
لكن أطرف التسميات تسمية سمكة أم حميدو.. فهي تضع ٢٥ ولداً (تحتفظ بالبيض في داخلها حتى يفقس وعندما يخرج السمك الصغير يعتبرونها تضع أولاداً).. وهو رقم كان الصيادون يرونه كبيراً.. وفي زمانهم القديم كانت السيدة إن تجاوزت المألوف عند الحريم تضع توأما.. لكن في ذلك الوقت كانت هناك سيدة تسمى أم حميدو.. وضعت ثلاثة توائم مما اعتبر حدثاً غريباً وأصبح يضرب بها المثل في كثرة العيال.. حتى أنهم سمّوا تلك السمكة لكثرة عيالها بـ (أم حميدو). ■

الچناه

الجلالة

الكابر

المصدر



الأمثال الشعبية.. وعاء للحكمة

تعد الأمثال الشعبية والأقوال العامة الرائجة وعاء حكمة الأمم وخزائن تجاربها ووسيلة من أهم وسائل حفظ تلك التجارب ويتناقلها الأجيال وهي قبل ذلك وبعده من أبلغ أساليب التعبير وأوجدها في النفوس كما أن الأمثال تعد وسيلة من الوسائل التي ترشدنا إلى مدى التطور الحضاري والرقي العقلي والذهني لدى أمة من الأمم وبها نتعرف على رؤية شعب معين في زمن معين ولهذا احتلت الأمثال مكانة رفيعة ومنزلة عالية فمن متحدث عن أغراضها وأهدافها مشيد لخصائصها وميزاتها.

وذهب البعض بأن الأمثال كما قالت العرب أوعية فصاحة العرب العرباء وجوامع كلمها ونوادي حكمها وقال بعضهم: إن الأمثال من أبلغ الحكم لاجتماع الناس عليها، وهم لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير بالغ المدى في النفاسة، والواقع أن هؤلاء العلماء لم يبعدوا فيما ذهبوا إليه في أهميتها فالأمثال في كل أمة خلاصة تجربتها ومخزون تراثها والمرآة التي تنعكس على صفحاتها عادات وتقاليد هذه الأمة بأخلاقها وأفكارها وسائر مظاهر حياتها فهيا بنا عزيزي القارئ نتنقل في درر الأمثال لكي نتعرف إليها ونلج في أعماقها ومعانيها.

* الجمل ما بيشوف عوجة رقبته، يضرب هذا المثل لمن يرى أخطاء غيره ولا يرى أخطاء نفسه.

* بين حانا ومانا ضيعنا لحانا، ولهذا المثل قصة: يذكر أن رجلاً تزوج امرأتين وهو صاحب لحية كثيفة فإذا نام عند إحداهن نزعت من ذقنه شعراً وهكذا إلى أن انتهى الشعر من لحيته نهائياً فقال هذا المثل.

* ويقال مثل (من قلة الخيل شدوا على الكلاب سروج).

* لو يعطوا المجنون مائة عقل على عقله ما يعجبه إلا عقله.

* فت الشبعان على الجعان وني.

* رأس كليب سدت في الناقة، يضرب هذا المثل للتفاخر لأمر عظيم.

* خذ من التل يختل.

* اللي ما يستحي يفعل ما يشتهي.

* ويقول الشاعر في ذلك:

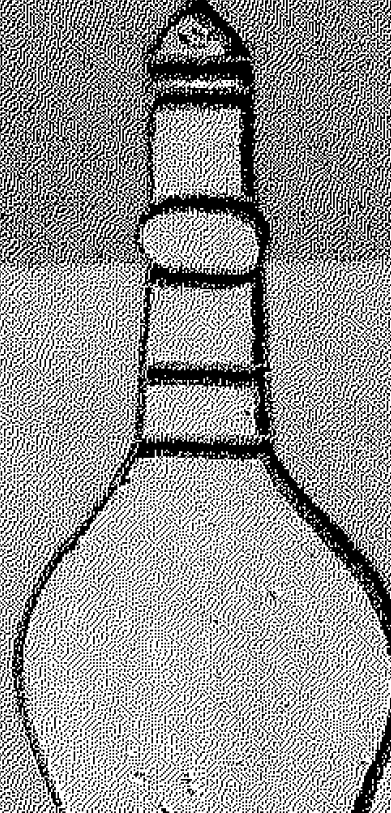
إذا لم تخشَ عاقبة الليل ولم تستحِ فاصنع ما تشاء

* القديم عليه رديم، يضرب هذا المثل في الأشياء المنسية وعدم تجديدها مرة أخرى أي أن الشيء المنسي ليس في حاجة إلى تجديده الآن وأيضاً يقال: عبد عرج من رأس براطمه ويضرب هذا المثل في تكبير حجم الشيء التافه الذي يجب عدم الالتفات إليه.

* الخلا ولا الرفيق المخالف، يضرب هذا المثل في حالات سوء الصداقة وعدم المصداقية في الصحبة، ويقابله في السياق نفسه الحكمة العربية، الوحدة خير من جليس السوء، وأيضاً هناك مثل يسير في المعنى نفسه، العب لحالك تجي راضي.

* إفلان مثل عقرب الثراء يضرب هذا المثل في الإنسان، المخادع الماكر الذي يدس سموم الفتنة بين الناس.

* اللي له لسان ورأس بيسوي مثل الناس، ويضرب هذا المثل في أن الإنسان الكيس الذي يعرف كيف يغتنم الفرص التي تتاح أمامه ويستثمرها ويستفيد منها.



* أصابعك ما هن سويا، ومعنى المثل أن أصابع الإنسان ليست كبعضها البعض، ويضرب هذا المثل لاختلاف الناس في الطبائع والأخلاق، وأيضاً يقال: العبد ينوي والرب يسوي.

* لا بد صياد الفهود ينصاد.

* القلوب شواهد.

* اللي ضاموة الرجال حرته في مراته.

* بيت الاسكافي حافي وبيت السقة عطشان.

* كل شاه تتعلق من رجلها.

* السر بين اثنين بيصير بين ألفين.

* دار الظالم خربه ولو بعد حين.

* خذ رأي اللي يبكيك ولا تاخذ رأي اللي يضحكك.

* جرح الكلام أصعب من جرح الحسام.

* اللي يعاشر القوم أربعين يوم يصير منهم.

* ما بيفضح الأمير إلا الكنه والأجير.

الكنه هم القرباء الذين يدخلون بيت الأمير ويطلعون على أسراره.

* الغريب للغريب قريب، يقول الشاعر:

أجارتنا إنا غريبان ها هنا
وكل غريب للغريب قريب

* لا تفنى الغنم ولا يجوع الذيب، ويضرب هذا المثل في الوسطية في الأمور.

* العطشانة تكسر الحوض، ومعني هذا المثل أن يكون الإنسان صاحب عزيمة وأن يحتمل مصاعبها وهو مقصود بالإبل أي أن الناقة العطشانة تزاحم حتى تشرب من الحوض.

* الإبل طرايحها زلام أي الذي يركب الإبل لا بد أن يقع ولابد أن يتعلم فن الركوب ويكون في النهاية رجلاً شديد البأس وقع مرة أو اثنتين حتى تعلم: معنى كلمة زلام تعني في أهل البادية الرجال.

* راعي الجدي شريك في الغنم يضرب هذا المثل في عدم التقليل من شأن أي إنسان ولو كان بسيطاً.

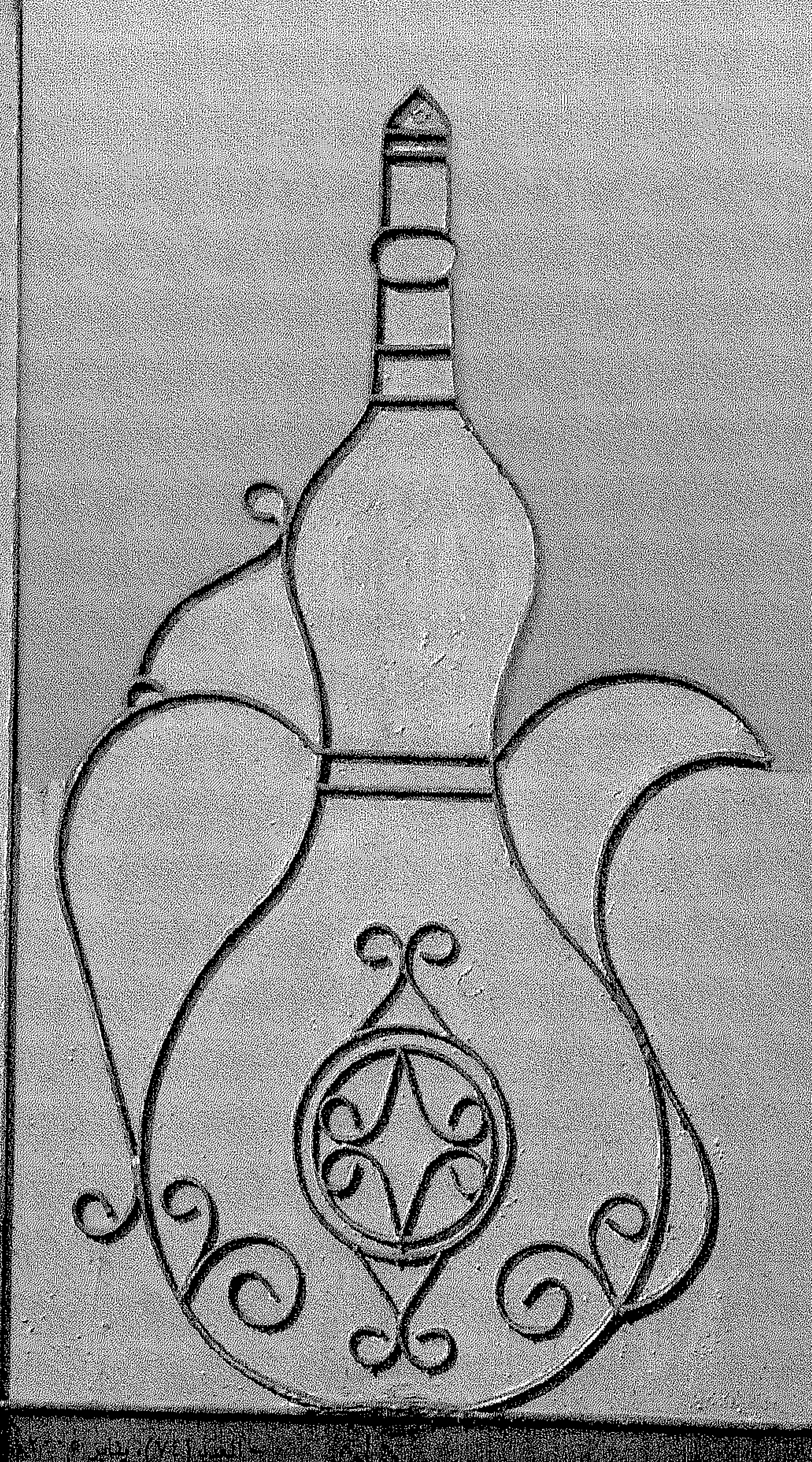
* فلان مثل أبيض الكلاب وهذا يطلق على الإنسان المراوغ الماكر الذي لا يعبأ بأي شيء.

* يا أهل النيات سيروا، يضرب المثل في أصحاب النيات الحسنة الذين يسيرون وفق ما قدر الله لهم.

من شاف بلاوي الناس هانت عليه بلوته، ويضرب هذا المثل فيمن يرى مصيبته أو همه كبيراً ويرى أن هناك بلوى أكبر من بلوته.

هذا غيض من فيض من أمثالنا التي تمثل مخزوناً هاماً وكبيراً نحافظ عليه كما حافظ عليه الأجداد ولهذه الأمثال الشعبية معزة كبيرة لأنها رافد من روافد تراثنا العظيم وكنز من الكنوز كادت أن تنحسر في هذا العصر المتماوج والمتلاطم الأمواج فقد كانت الأمثال مثل نقاط توضيح وكأنها علامات كبيرة ولها تأثير عظيم في نفوس أبناء العامة والخاصة من المجتمع. ■

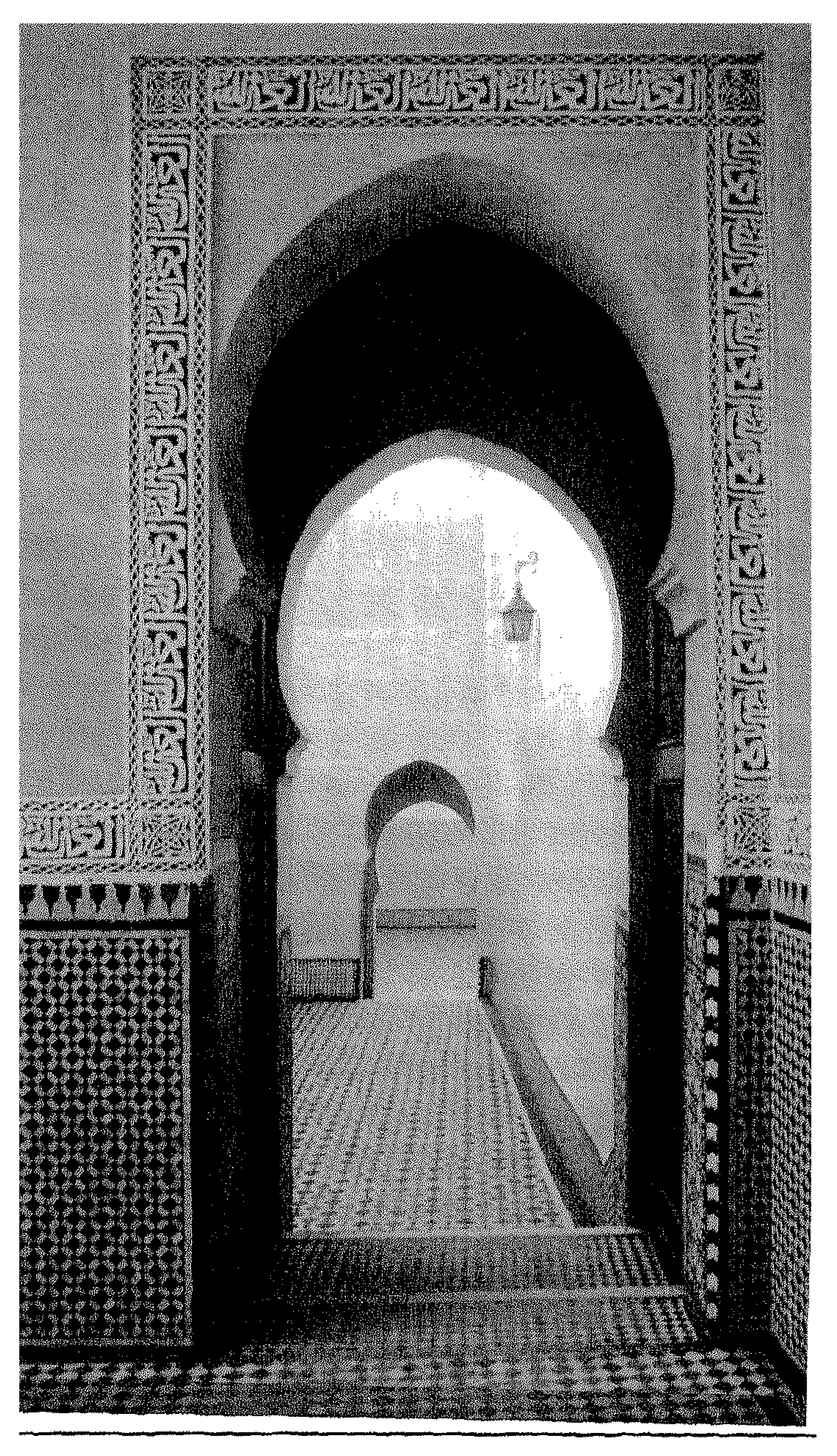
■ حسن سلامة حسن





استغاثة أندلسية حُرَّة

■ د. عبد الرحمن الحجي



وهذه الحكاية من حكايات الأمير الأندلسي الحَكَم لكنها من نوع تُمَثِّل موقفاً وحكاية اعتَبَرها المقَّري من بديع أخباره[1]. ذلك أن امرأة أندلسية لعلها كانت مدافعةً مقاتلة ضمن الجند الذين واجهوا اعتداءاتهم، أي الأعداء في حملات إسبانيا النصرانية على الأندلس. أسرها الأعداءُ وآذوها في منطقة وادي الحجارة (Guadalajara)(٥٧ كيلاً -كم) شمال شرق مدريد اليوم. وكان القاضي الشاعر عباس بن ناصح الجزيري قريباً من موقع أسرها فسمعها تستغيث وتقول: واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كَلِبَ العدو علينا فأيّمنا وأيتمنا، فسألها عن شأنها فذكرت له قصة أسرها، فأبلغ الشاعر الأمير بقصيدة استغاثة، كان منها:

تداركْ نساء العالمين بنصرةٍ
فإنك أحرى أن تُغيثَ وتَنْصُرا

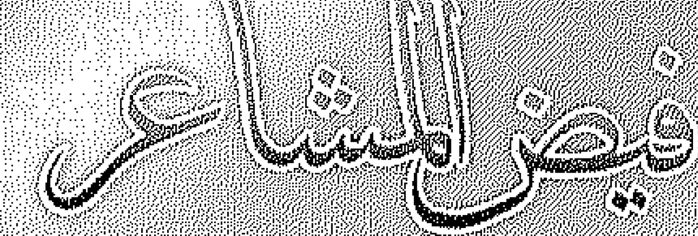
فما كان من الحكم إلا أن نادى بالجهاد والاستعداد وجهز جيشاً قاده بنفسه وسار إلى المكان وأنقذ المرأة المسلمة وجميع أسرى المسلمين في تلك البلاد، وقال لها: هل أغاثك الحكم، فقالت: نعم، ودعت له. ولعل هذه الحكاية تقترن بأمثالها من مثل قصة المرأة المسلمة التي استغاثت بالخليفة العباسي المعتصِم، قائلةً مناديةً مستنجدةً: وامعتصِماه، فأنجدها بحملة عسكرية. وهذه وأمثالها وأكبر منها كثيرة في تاريخنا.

و يبدو أن هذا الأمير (الحكم الأندلسي) استقام أمره بعد حادثة الرَّبَض، حيث ندم على ما ارتكب في حق العلماء والناس وأكله الندم على ذلك[2]، ولقد مات كمداً وهو يطلب الغفران.■

الهوامش:

١) نفح الطيب، ١/ ٣٤٣.

٢) عن ذلك انظر: الحكاية السابقة، حاشية رقم ٥.





إشراف:
محمد إبراهيم الحديدي
m_alhadidi@hotmail.com

وفـــاء

إذا رضْي الصديج عن الصديج	يموت الـواش في مـيْراه طـاني
وهــذا مـــثــل قـــول الأولين	مـع الحفَّـاظ وصـفٍ مـن زمـاني
ويـزداد الصـديـج بْـنـا مـعـزّه	والى مـات الـعدو قـلـنـا هـواني
وخلِّينا البغيض يْموت غيض	ويـيـبس مـثـل شـن الـلـيـهـبـاني
بـلـىَ الـلـه مُوْشـيٍ سَبّ الـفـراق	بـذايـاتٍ يـتـمّـن لـه زمـانـي
عـلـى الحضره يلاقيني بطيبْ	وفي الـغـيـبـات هـذَّارٍ شـنـانـي

الماجدي بن ظاهر

في رثاء زايد

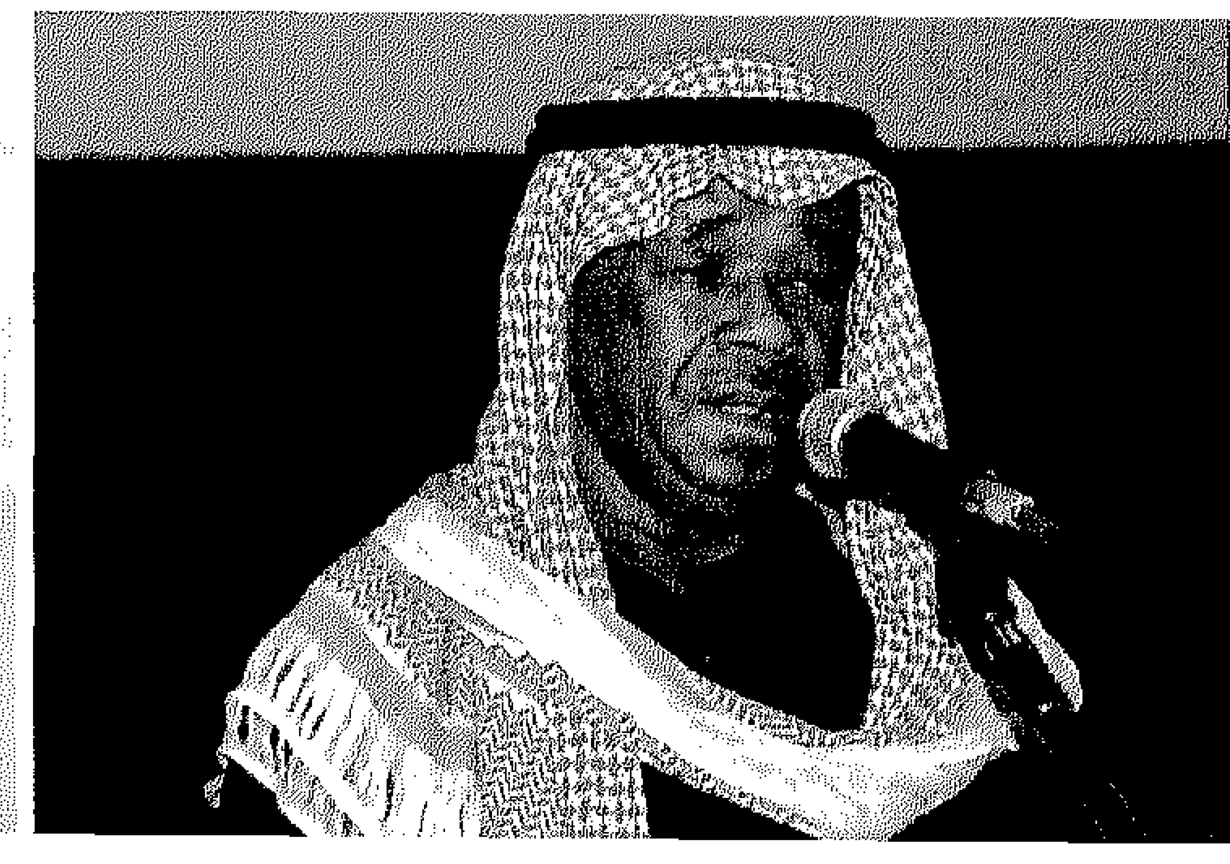
بيـوت الشعـر.. تبني قصور المحبة

بقراءة الفاتحة على روحه الطاهرة.. بدأت أمسية الرثاء التي أقامها شعراء الإمارات في تأبين فقيد الوطن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «رحمه الله».. تحت رعاية سمو الشيخ طحنون بن زايد آل نهيان رئيس الدائرة الخاصة رئيس دار زايد للرعاية الشاملة وذلك بقاعة المسرح الوطني في أبوظبي.

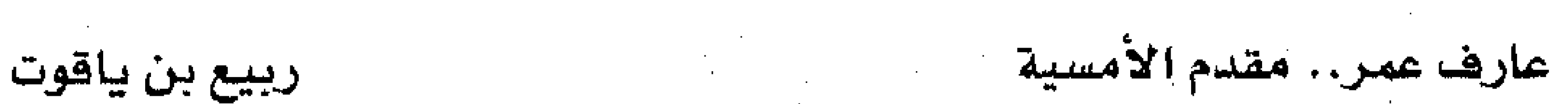
الحضور كان كبيراً.. والتفاعل من الجميع كان عظيماً.. لأنه كان وفاء للوالد القائد.. الذي ترك بصمته الحانية في قلب كل مواطن ومقيم بالإمارات.. وفؤاد كل عربي في كل مكان.. وفي صدر كل إنسان على هذه الأرض.

بيوت الشعر التي ألقيت في هذه المناسبة.. بنت قصوراً من المحبة والإجلال والتقدير لفقيد الوطن.. وكانت خير تعبير عن مقدار الحب والوفاء والعرفان الذي يكنّه الجميع للراحل العظيم.









عارف عمر.. مقدم الأمسية

ربيع بن ياقوت

العصري بن كراز

الأمسية بدأت بكلمات جسّد فيها الشاعر المخضرم ربيع بن ياقوت كل المعاني السابقة التي تحدثنا عنها بعد أن تحدث عن مناقب الفقيد.. قال بن ياقوت:

مـا بين هـاجوسٍ وبين اكـتـئـابـي
ونّـاتْ قـلـبـي في حشـايـه مشـاطيرْ
وانـا ابْـحشـايـه لاسِـعـاتْ لـنـيـابـي
غـمٍّ تجرّعـتـه ونـاره مسـاعيرْ

إلى أن قال:

أقـفـيتْ عـنّـا يـا رفـيـع الجنـابـي
خـلّـيت مـرسـومٍ عـلـى الـقـلب تـأثيرْ
قـلـبـي جـريـحٍ والحزن زادْ مـا بـي
لا حـول ولا قـوة عـزتـنـا المقـاديـرْ

وختم القصيدة بخير خلف لخير سلف:

عسـى الـلـه يـلـهـمنـا الصبر والثوابي
ويـبـقـى خـلـيـفـة قـايدٍ لـلـمـنـاعيرْ
ويـبـقـى محمـد لـلـنـوايب مـثـابـي
نبراس قـومٍ تحـتـفـي بـه المغـاويـرْ
يـا خَـلَـفْ زايـد يـا زعـيـم الخطـابـي
نـظـرتك فـيـنـا مـبـعـدات المشـاويـرْ

ثم تلاه الشاعر القدير العصري بن كراز المهيري الذي تحدث عن ذكرياته مع الراحل الكبير، ولم يتوقع أن يرى هذا اليوم بدون زايد ثم بدأ قصيدة الرثاء:

سـايـر أعـزّي وانـا ابـغـي مـن يـعـزّيـنـي
عـزّي لمن هـو مـثـل حـالي وعـزّى لي
أمشـي عـلـى الأرض مختـلّـه مـوازينـي
كـنّـي بـغـبّـة بَـحَـر والموج شَـلاّلِ
مـنـهـوب لِـفـواد ومُـضـيّـعْ عـنـاويـنـي
مـع سـايـر الـنـاس كـنّـي مـاشـي لُـحالي

إلى أن قال:

في جـنّـة الخلـد يـا تـاج السـلاطين
يـا الـفـارس الـلـي تـرجّـل بـعْـد تـرحـالِ
في جـنّـة الخلـد يـا أغـلـي محبّـيـنـي
يـا بـوي يـا عـزوتـي يـا عَـمّـي وخـالي
يـا سـيّـدي لي تَـحَـتْ ظـلّـه مـربّـيـنـي
أنـا وجـيـلٍ مـعـي ومُـرَبّـي عُـيـالي

وعن حزن كل حي على هذه الأرض قال:

وتـبـكـي عـلـيك الأرامـل والمسـنّين
والاطـفـال تبـكـي عـلـيك وتبـكـي رُجـالِ
وتـبـكـي عـلـيك الشـواطـي والبـسـاتين
وتـبـكـي عـلـيك المروج وربـعـنـا الخالي
وتـبـكـي عـلـيك الـطـيور الـلـي مجيمين
بـحـمـاك بـامـان لا تـرحـل ولا تـبَـالي

وأخيراً قال:

وداعـة الـلـه يـا أغـلـى محبّـيـنـي
الـلـه يـجـازيك عَـنّـا خير الاعـمـالِ



محمد المر



ناصر بن خادم الكعبي



سيف السعدي





شيخة الجابري



سعيد القمزي

وتْـعَـرف يـا سـيّـدي وش لي مـعـزّيـنـي
أني بـعـصـرك نشـيـت وشـفـتك قْـبَـالي

ثم أتى دور الشاعر المتميز محمد المر بالعبد الذي بدأ بالترحم على المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد، وبدأ قصيدة الرثاء بقوله:

سـبـحـان مـن خَـلَـد بـجـنّـاته الـوِلْدان
والحُور والخَمْـر.. واهـداهـا محبّـيـنـه
الـواحـد.. الـقـادر.. المتـكـبّـر.. الـديّـان
الـعـالِمْ بْسِـرّ عَـبْـده قـبْـل تـكـويـنـه
الـقـابِـض.. الـبـاسِـط.. المتـعـالي.. المنّـان
الـلّـي إذا قـال كـون.. يْـكـون في حِـيـنـه

إلى أن قال:

لا زال خـيره عــلــى داره يــحَــلْــف أيمان
ويْـقـول مـات الـكَـرَم مـا مـاتت يْـديـنـه
ويقول لاهل الثرى.. كـلٌ من عليها فان
وان الـفـتـى بـالـفـنـا مـعـقـوده سْـنـيـنـه

وختم قصيدته بقوله:

يـا (زايـد) الخير يـعـلِـك في ظـلـيـل جْـنـان
بْـحَـقّ ربّ الـسّـمـا وآيـات يـاسـيـنـه
هـذا ونـدعـي (لـزايـد) رحـمـه وُغـفـران
نـدعـي ونـظـراتـنـا مـن عـقـبـه غْـبـيـنـه
والـلـه لـولا الـقـدَر بـيـنـه قـطَـع الأقـران
لَـنَـاخـذ الـثّـار مَـن قـطّـعـوا بـيـنـه

لـكـنْ رضـيـنـا بما قـدّر عـظـيـم الشـان
ولـو ان غيره قـدِر.. مـا هـوب راضيـنـه

تبعه الشاعر ناصر بن خادم الكعبي بقصيدة تعبّر عن مشاعر الحزن وفقدان المؤسس.
ثم جاء دور الشاعر المعروف سيف السعدي الذي بدا متأثراً من الحدث حيث قدّم قصيدة من بنات الخيال قال فيها:

الإمــارات سَـبْـعٍ مــن بـنـات الخَـيـال
واقـعـيّـه وأجْـمَـل مـن جَـمـال الـقـصـيـد
حِلْم شيخٍ رسَمْها بين شَمْس وظلال
لين جَـتْ لـه عـلـى مـا يـهـتـويه وُيـريـد
شـاعَـهـا عِـلْـم طـيـب وعـاشـهـا بـالـفـعـال
وناشـهـا مـن يـديـن المستـحـيـل الـعـنـيـد
خِـذ مـقـال المقـام ودَع مـقـام المقـال
دَعْ مـداد الـقـصـيـد وخِـذْ مـداد الـوريـد

إلى أن قال:

مـا يـهـيـض المدامـع غير فَـقْـد الـرجـال
ولا يــثـير المواجــع غير (زايــد) فــقــيــد
احــتــمــلْــنــا بــفــقــده مـا يـهِـزّ الجبـال
والـلـه أكْـبَـرْ يـا كـيـف قْـلوبـنـا مـا تميـد

وأنهاها بقوله:

كـان كـل الجهـات وفـال كـل الـرجـال
كـنّـه الـلـي عـلـى دَرْب المكـارم وحـيـد


محمد بن حمد المزروعي


ظافر الاحبابي


يعقوب الشامسي

الشمالي يعِدّه من شيوخ الشمال
والجنوبي يعِدّه للجنوبي عضيد
حزننا في غيابه فاق حَدّ الخَيال
لا تزيحه دموع ولا يزيحه قصيد

* ثم أتى دور الشاعر مبارك المري الذي بدأ بالترحم على الراحل الكبير وقدّم قصيدة الرثاء التي تحدث فيها عن مناقب الراحل وأفعاله على مستوى العالم.

* من الوجوه النسائية قدمت الشاعرة شيخة الجابري قصيدة (ما مات زايد) حيث ذكرت أفعاله الباقية في كل شيء على هذه الأرض، وأهمها عزّة الإنسان وكرامته، وأن من خلّف الرجال لم يمت حيث ذكرت مناقب أبنائه.

* الشاعر سعيد القمزي بدأ بالترحم على روح الفقيد وبدأ قصيدته بقوله:

ما غبت وانته في عيون الإمارات
تنبض بك قلوبٍ ويحياك وجدان
زرعت فينا كيف تبقى المروات
وعلمتنا معنى التراحم والاحسان
جمعتنا يوم العرب صارت اشتات
وحدتنا في كلمة الله والإيمان

إلى أن قال:

تبقى لنا رمزاً على طول الاوقات
نهجاً منيراً من مشى فيه ما هان
لا تلومنا نتبعك والعين عبرات
والله لولا الحق ما ضمّك اكفان

ثم ختمها بقوله:

لكننا آمنا بُرب السماوات
ان كل حيٍ فوقها هالكاً فان
ما غبت وانته في عيون الامارات
تنبض بك قلوبٍ ويحياك وجدان

* أما الشاعر محمد بن حمد المزروعي فقد قال:

الموت حقٍ والقدر كاينٍ كان
ولا لي على حكم القدر استطاعه
شيءٍ مقدَّر جابه الرب سبحان
مكتوب في لوحه بيومٍ وساعه

ثم قال:

مكارمه عمّت على كل الاوطان
دايم لفعل الخير باسط ذراعه
زايد وهو زايد على فعل الاحسان
حتى في آخر يوم ساعة وداعه
هذا وندعو له برحمة وغفران
من ربنا المعبود يوم الشفاعة

* ثم أتى دور الشاعر يعقوب الشامسي الذي ألقى قصيدة متميزة في رثاء الراحل الكبير.. وتلاه الشاعر ماجد عبد الرحمن الذي طلب من عينه أن (تزم دمعها) من خلال قصيدته التي بدأها بقوله:

على سجّاده من طاعه دعت امّي
أبوها الأرض غاب وغابت الأمّه

إلى أن قال:


جانب من الحضور

ألا يـــا عين زمّـــي دمــــعـــتك زمّـــي
عــلــى رجــلٍ تحتــه الأرض مــلــتــمّــه
عــلــى روحــه قــريت آيــه وانــا آســمّــي
وانــا روحــي عــلــى فــرقــاه مــنــســمّــه

وأنهى قصيدته بقوله:

أشـوفك عـيـنـي واطـبـع دمـعـه في كـمّـي
دخــيــل رضــاك زيــدي دعــوتك يُــمّــه
عــلــى ســجّــاده مــن طــاعــة دعت أمّــي
تــقــول الــلــه يــخــفّــف عــنّــا هــالــغــمّــه


ماجد عبد الرحمن

* ثم أتى دور الشاعر مصبح بن علي الكعبي حيث ألقى قصيدة تعبّر عن الحزن العميق لفقد مؤسس الدولة. وتلاه الشاعر ظافر الأحبابي الذي قدم أيضاً قصيدة معبّرة.

ولم تقتصر الأمسية على الشعراء المدعويين إنما شارك بعض من الحضور بإلقاء قصائدهم التي تحمل الحزن والأسى على فقد المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. ■


مصبح بن علي الكعبي

هذا
الميدان
يا حميدان

تواصل تراث طرح مسابقة الشعر الشعبي والفصيح بالتبادل شهريا .. وشهر يناير هو شهر الشعر الشعبي.

المسابقة هدفها دائما تنشيط القريحة... والتنافس في ميدان برع فيه العرب... وتألق فيه أجدادنا ولأننا على خطى أجدادنا نسير. فإن تراث تتمنى لو أحيت سوق عكاظ من جديد على صفحاتها.. للتنافس في الإبداع من خلال النظم والصورة والفكرة والمضمون.
تراث في مسابقاتها لا تفرض عنواناً .. وإنما تترك الساحة للشعراء كي يختاروا الميدان الذي يرغبون فيه.. ليبدعوا ويتنافسوا.
مسابقة الشعر الشعبي لشهر يناير جوائزها:

- المركز الأول: ٧٠٠٠درهم
- المركز الثاني: ٥٠٠٠ درهم
- المركز الثالث: ٣٠٠٠ درهم

وكالعادة .. المسابقة مفتوحة للجميع .. اكتب قصيدتك واقدح قريحتك وسطر أبياتك .. وأرسلها لنا على عنوان أو فاكس المجلة فقد تكون من المبدعين.
الشرط الوحيد الذي وضعناه: أن تكون القصيدة جديدة.. وآخر موعد لتلقي المشاركات هو آخر شهر يناير ٢٠٠٥م.
اكتب اسمك وعنوانك ورقم هاتفك واسم القصيدة في ورقة منفصلة .. واكتب على المغلف: (مسابقة شهر يناير للشعر الشعبي). ترسل القصائد مطبوعة على الآلة الكاتبة أو الكمبيوتر. ونعتذر عن عدم قبول أية قصيدة لا تلتزم بذلك.

عنوان المجلة



ص.ب: ٢٧٧٦٥ - أبوظبي، أو على فاكس المجلة: ٤٤٣٠٨٨١ / ٠٢
وهذا الميدان يا حميدان ... وسلمتوا

ملاحظة: لا يحق للفائزين المشاركة في المسابقات مرة أخرى، وسيتم الاتصال بالمرشحين للفوز لمناقشتهم حول قصائدهم المشاركة.

حسرة

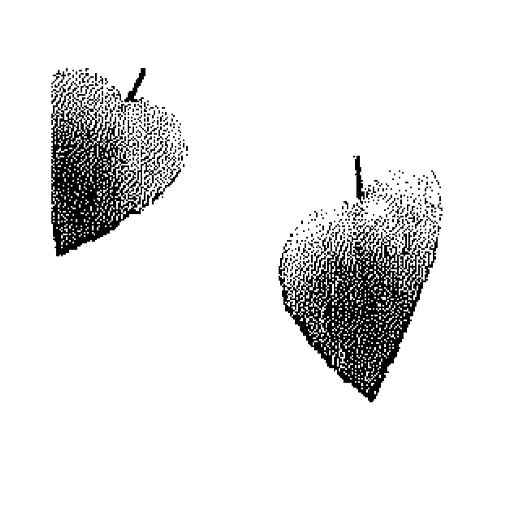
■ محمد بن علي الكوس

إذا هب نسناسٍ من الغريب لايب ... نسيمٍ يذكرني بفقد الحبايب
وأبات سهرانٍ إذا حندس الدجى ... ودموع عيني هاطلاتٍ سكايب
وحرّات جوفي في ضميري تواقدت ... ونيران وجدي تلتظي باللهايب
من كثر ما بي حارب النوم ناظري ... ألا والأسى وآحسرتي والمصايب
ألا وآزعيمٍ لي به الناس تقتدي ... ومن لاذ به ما رد بالياس خايب
فيا مؤسس الدولة ويا حامي الحما ... ويا من لحالات المساكين ثايب
عمرت دارٍ واستنارت ونوّرت ... من عقب ما هي موحشاتٍ خرايب
وصارت لنا دولة بعزٍ وهيبة ... حتى واصبحت توصف بسبع العجايب
ألهمك ربي العرش بالحلم والتقى ... من حكمةٍ ما كدرتها شوايب
ما تنحصي حسناك وهلّ كيف تنحصي ... وفرّجت باحسانك هموم وكرايب
ومدّيت جسر الخير بالبذل والعطا ... وعمّت شعوبٍ من بعيد وقرايب
وبشراك يا زايد لك الفوز والرضا ... جنّات عدنٍ واسعات الرحايب
فيا حسرة قلوبٍ من الحزن ما سَلَتْ ... على فقد من هالو عليه الترايب
فيارب تلهمنا الصبر عقب زايد ... وتجبر قلوبٍ باكياتٍ نحايب
فلا العيد عيّدنا ولا الحزن وإن قضي ... ولا النوح يسعفنا ولا يرد غايب
ألا يا خليفة يا خلفنا بك الرجا ... ملاذنا إذا دارت علينا النوايب
شيخٍ أبي لي بك الناس تلتجي ... يا نجل زايد والقروم الأطايب
وإخوانك صقورٍ صناديد في الوغى ... رجالٍ وشجعانٍ ترد السلايب
ومنهم ولي العهد واعني محمد ... نجيبٍ كريمٍ والمثل فيه صايب
ومنّي صلاة على سيّد الورا ... أحمد شفيعي يوم تطوى الكتايب

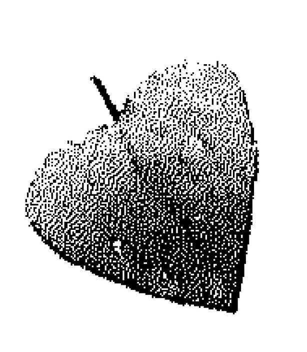
رب الفضائل

إلى فقيد العروبة والإسلام الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

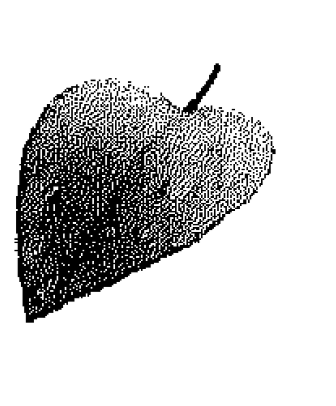
■ إنعام صادق عبد العزيز



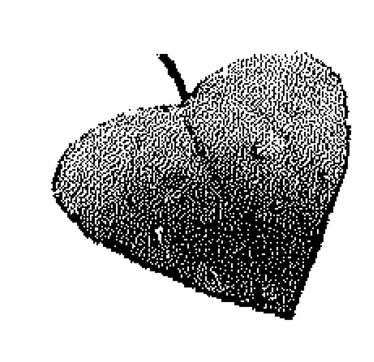
ما كنتُ أرجو أن أقولَ رثاءَ ... يا ناشراً حول الدُّنا الآلاءَ
والمرءُ يُذكرُ بالفضائلِ كلَّما ... ذكرت فيكتسبُ الكريمُ ثناءَ
لو كنتَ تُفدى بالعزيزِ وبالدِّما ... كانتْ دِمَانا يا أميرُ فداءَ
يا حاملاً همّ العروبةِ كلَّما ... تدنو الخطوبُ تُبدّدُ الأرزاءَ
كنتَ الطبيبَ فما ترى من علَّةٍ ... في أيِّ ما وطنٍ تداوي الداءَ



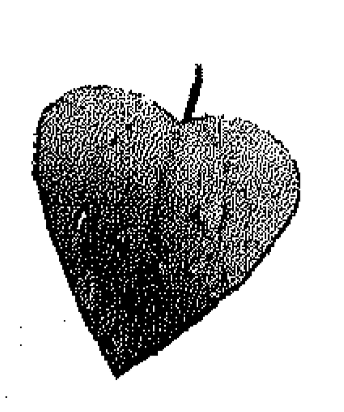
والبلسمَ الشافي لديك لرتقِ ما ... فعل النفورُ فتذهب الشحناءَ
وأحلتَ جدبَ الأرضِ أخضرَ يانعاً ... وزرعتَ أمناً وارفاً ورخاءَ
تهبُ الكثيرَ تفضُّلاً وتكرُّماً ... بتواضعٍ لَمْ يعرفِ الخُيلاءَ
فإذا الإخاءُ سبيلنا في يعربٍ ... ونرى رجالكَ حولنا رحماءَ



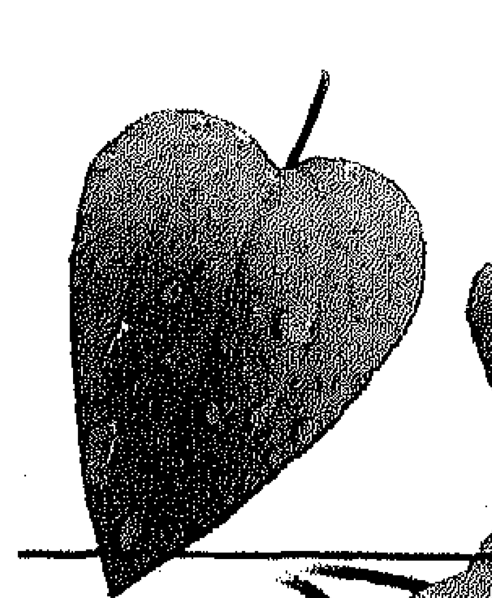
وبكَ استعادَ بنو العروبةِ مجدَهُم ... ونفثتَ فينا عِزَّة وإباءَ
وتضمُ حولكَ مَنْ تناثرَ شملُهُم ... وبهمَّةٍ تتحملُ الأعباءَ
إنَّا لنذكرُ في الكنانةِ موقفاً ... يزجى عليكَ -على الزمان- ثناءَ



انفضّ عنها إخوةٌ وتباعدوا ... فصرختَ فيهم تستثيرُ إخاءَ
لم تسترحْ إلا برأبكَ صدعَهُم ... إنا لنذكرُهَا يداً بيضاءَ
وصدقتَ في نُصحِ الذي ركبَ الهوى ... وعصَى فلاقَى شِدَّةً وبلاءَ
ورحلتَ كي تنعى الفضائلُ ربَّها ... إذْ كنتَ ملتمساً لها ورجاءَ



لم ننعَ للإحياءِ إلا قُدوةً ... حملتْ على دربِ الصفاءِ ضياءَ
يسترشدُ الساري بهِ فيعيدُ من ... نبذِ المودَّةِ مقبلاً معطاءَ
إنا تجلَّدْنا وكانَ عزاؤُنا ... فيمنْ يضيفُ إلى الصروحِ بناءَ
مِنْ دوحةِ الأمجادِ كانَ خليفة ... ذو العزم يورثُ عزمَه الأبناءَ
يا زايدَ الخيراتِ إنكَ لَمْ تمتْ ... ستظلُّ رمزاً يُرشدُ الأحياءَ
وأنصتْ إلى التاريخ سجل زايداً ... بالنورِ في صفحاتِه فأضاءَ



جلّ المصاب

■ عبد الحكيم عبد الله الزبيدي

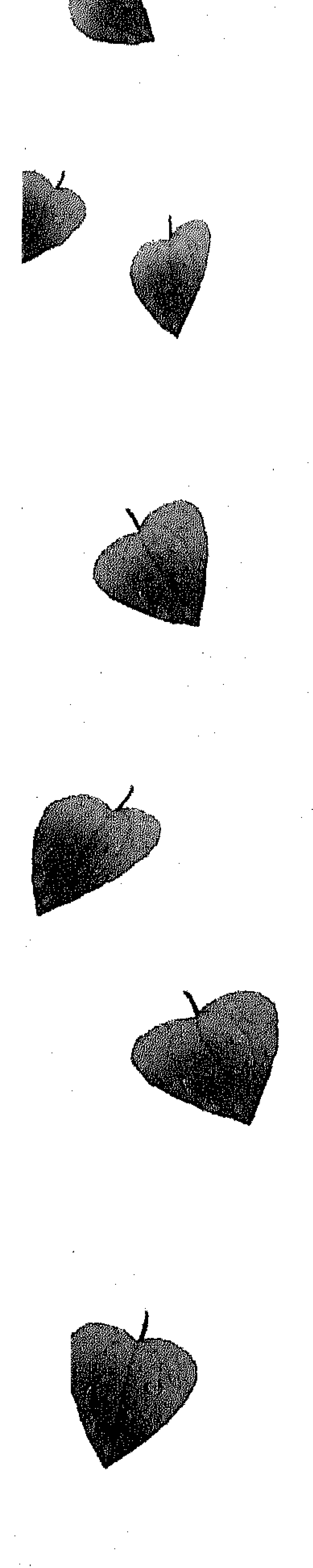
جلّ المصابُ فما يفيضُ فؤادي ... واصفى الكلامُ فما يسيلُ مدادي
جاء النعيُّ فكلُّ قلبٍ ذاهلٌ ... تجري سحائبُ دمعهِ الوخّادِ
باتَ الجميعُ وفي الحناجرِ غُصةٌ ... لم تهنَ عينٌ منهمو برقادِ
يتقلبون على الوسادِ كأنما ... فُرشت مضاجعُهم بشوكِ قتادِ
يتساءلون ولاتَ حينَ إجابةٍ: ... أمضى الهُمامُ ورائدُ الرُّوادِ؟
أمضى الذي أهدى الحياةَ لشعبهِ ... وهدى السُّراةَ بفكرهِ الوقّادِ؟
رجلُ السياسةِ والكياسةِ والنّدى ... صقرُ الصقورِ وقائدُ القوادِ
كهفُ الأراملِ واليتامى والأبُ الـ ... ـحاني وقبلةُ مقصدِ القُصّادِ
كست البلادَ مهابةٌ وكآبةٌ ... وتجللت من فقده بسواد
تبكي إماراتُ الوفاءِ زعيمَها ... من شاد دولَتها بخيرِ عمادِ
تبكي عليه سهولُها وجبالُها ... وبكت عليه حواضرٌ وبوادي
تبكيه أقطارُ العروبةِ كلُّها ... من حضرموتَ إلى حِمى بغدادِ
ضجّت عليه مآذنٌ ومنابرٌ ... تبكيهِ في الأذكارِ والأورادِ
يبكي به الإسلامُ أكرمَ قائدٍ ... يعلو عن الأشباهِ والأندادِ
سبحانك اللّهم أمرُك نافذٌ ... كلُّ الأنامِ تصيرُ للألحادِ

*****

أبا خليفةَ والمآثرُ جمةٌ ... جلّت عن الإحصاءِ والتعدادِ
إن طال حزنٌ الشعبِ فيك فطالما ... قد عاش منك تواصلَ الأعيادِ
لو أن ميتاً يُفتدى بأحبةٍ ... لفُديتَ بالأرواحِ والأجسادِ
لكنّها كأسٌ سُقيتَ وكُلّنا ... سهمُ المنونِ لهم لبالمرصادِ
لا أبعدنك الله إنك بيننا ... نحملك في الأحشاءِ والأكبادِ
ما مات من هذي مآثر كفّهِ ... رؤيا العيانِ كشامخِ الأطوادِ
ما مات من غدت البلادُ بفضلهِ ... في وحدةٍ تسمو على الأحقادِ
ما مات من أرسى دعائمَ نهضةٍ ... تُهدى من الآباء للأحفادِ
ما مات من أبقى خليفةَ بعده ... ومحمداً في فتيةٍ أمجادِ
من مثلِ سلطانٍ وإخوته الألى ... جمعوا قلوباً حولهم وأيادي
فارقدْ قريرَ العينِ شعبُك سائرٌ ... يقفو خطاك على سبيلِ رشادِ
ستظل نبراساً يضيءُ طريقَه ... ويظل نهجُك للقوافلِ هادي
جاد الغمامُ على ثراك بوابلٍ ... وسقتك من فيض السّحابِ غوادي
ومضيتَ للرحمنِ أكرمِ منزلٍ ... رمضانُ قبلك للمواكبِ حادي
ونزلت في الفردوسِ بين خمائلٍ ... خضرٍ حوت من مُثمرِ العنقادِ
في رفقةِ الهادي الكريمِ وصحبهِ ... والأنبياءِ وصالحي العُبّادِ

ماجئتُ راثيهُ بل جئتُ أبكيهِ

■ د. محمد أبو الفضل بدران



أستغفرُ الله ذنباً لستُ أحصيه ... يا غافرَ الذنب مَنْ للعبد يأتيهِ
قد أقبلَ الليل، والأحزان قاتلةٌ ... فلذتُ بالله بالشكوى أناجيهِ
تفطّرت مهجٌ من فقدِ قائدها ... والشّعر من حزنه أقْوتْ قوافيهِ
وقد تمنيتُ أني كنتُ في حُلُمِ ... ولم يجئْ ذلك النّاعي فيعنيهِ
والعُرب في مأتمٍ والناسُ واجمةٌ ... وحزنُ شعبي دهوراً لا يوافيهِ
وراحَ كلٌّ يعزّي فيه صاحبَه ... كلٌّ يلوذُ بصبرٍ لا يواتيهِ
كلٌّ يكفكف دمعاً في محاجره ... كأنما الدمع نبتٌ في مآقيهِ
قد صار للكلّ رمزاً في عروبتنا ... وكلّنا صار حول الشيخ أهليهِ
وكلّنا بقضاءِ الله ملتزمٌ ... فالموتُ لفظٌ وكلُّ الناس ترويهِ
والنخلُ جاء بثوب الحزن متشحاً ... فالشيخُ زارعُهُ، والكلّ يجنيهِ
"حفيتٌ" جاء لفقدِ الشيخ منتحباً ... يبكي عليه وقد فاضت مآقيهِ
يبكي عليه بعينٍ فاضض مدمعُها ... والشعبُ يبكي حبيباً ساكنٌ فيهِ
قد كان كالبحر؛ تلك الكافُ زائدة ... فهذه الكافُ ليستْ كافَ تشبيهِ
ما جئتُ راثيه بل جئتُ أبكيهِ ... كلُّ القلوب فداءٌ لو تفدّيهِ
ما كنتُ أحسبني آتي إلى زمنٍ ... والماجدُ الشيخُ قد خلّا محبيهِ
أبكي المبادئ أم أرثي تواضعه ... إنْ قصّر الشعرُ فالأخلاقُ تكفيهِ
قد كنت فينا حكيماً ناصحاً وأباً ... وحكمةُ العُرب قد جاءتْ على فيهِ
كلّ المكارم في قولٍ وفي عملٍ ... إنّ الإناءَ نضوحٌ بالذي فيهِ
دم الشهيد- كما قد قلتَ مفتخراً: ... النفط عندي -يميناً- لا يساويهِ
وما أتيتُ بشعري كي أواسيكم ... أنا في الحزن فردٌ من مريديهِ
وقد أتيتُ بشعرٍ لفظُه وجعٌ ... فالفقدُ قاتلُه والحزنُ يمليهِ
وربما أنّ شعرٌ مّن تلظّيه ... ما جاء لفظاً لأن الحزن يُدميهِ
قد كنتُ أرقبُ كيف الموتُ غيّبَهُ ... لكنْ مناقبُه في الأرضِ تحييهِ
في كل أرضٍ بكاه الناسُ قاطبةً ... ولو يغيبُ فإن الحبّ يدنيهِ
ها قد رحلتَ قريباً في جوارحنا ... كأنك اللفظ مسكونٌ معانيهِ
يا أيها الموت رفقاً إننا بشرٌ ... من التراب فكيف القبرُ يطويهِ
حتى تحوّل رَوْضاً عند زائره ... نِعم الجوار ونعم الشيخ ثاويهِ
يا ربّ جاءك عبدٌ؛ فَقْدُهُ جللٌ ... لكنّ قربك يا مولاي يكفيهِ
أنزلْه مولاي دارَ الخلد تكْرِمةً ... فجودك الجودُ عدلٌ سوف يرضيهِ
يا أمة العرب لا تركني لليأس ثانية ... فإنّ للشعب رباً سوف يحميهِ

أغنيــــة للخليــــج

■ شاعرنا في هذا العددهو:

الدكتور غازي القصيبي

- ولد بالأحساء في السعودية، عام ١٩٤٠م.

- تخصص في الحقوق والعلاقات الدولية.

- تقلّب في المناصب الأكاديمية (العمل الجامعي) والإدارية، والوزارية والسّفارية الديبلوماسية.

- أصدر عدداً من الدواوين ابتداءً من ١٩٦٠م وما يزال عطاؤه الشعري فعالاً ومتوهجاً.

- شارك، إلى الشعر، في فنون أخرى: كالمحاضرة والكتابة والتأليف في موضوعات متعددة..

- طبيعة دراسة الشاعر، وتقلّبه في الأعمال والمناصب اقتضت منه السفر والاغتراب، والتنقل في البلاد.. قال (يتحدث عن نفسه) في (جزيرة اللؤلؤ):

أبـــداً تمرّ بـــه الـــعـــيـــو
نُ تـكـاد تصـرخُ: يـا غـريب!
مَـــنْ ذا رَمـــاني ريشـــةً
في الـلـيـل تـلـفـظُـهـا الـدروب؟

وفي هذه القصيدة يقول إن أرضه هنا..

في مَـــوْطِـــن الأصْـــداف والشـ
ـمْـسِ المضـيـئـة والـنـخـيـل

والقصيدة هي استراحة المسافر –الذي طال سَفَرُه– في المكان الذي احتجز القَلْبَ منه والنفس: حيث الرمال الممدودة، والبحر الغافي، والقمر الذي يَحْرُس كل شيء!

أتـيتُ أرْقُـب مـيـعـادي مـع الـقـمـر
يـا سَـاحِـرَ الموجِ والشُّـطـآن والجُزرِ!
هـديّـتـي رَعْـشـتـا شَـوْقٍ وقـافـيـةٌ
حَـمّـلْـتُـهـا كُـلّ مـا عـانَـيْتُ في سَفَرِي
أتـيْـتُ أمـرحُ فـوقَ الـرّمْـلِ أنْـبُـشُـهُ
عن ذكرياتي القُدَامى.. عن هَوى صِغَري
عـن الـنّـجـوم أذَبْـنـاهـا بـأكـؤسِـنـا
عـن الـلـيـالي مَـشَـيْـنَـاهـا عـلـى الـوَتَـرِ
أمُـرّ بـالـشـاطـئ الـغـافي فـأوقـظُـهُ
بِـقُـبْـلَـةٍ، وأنـاديْـهِ إلى الـسَّـمَـرِ

أقولُ: "شاعرُكَ الولهانُ".. تذكُرُهُ؟ ... أتاك يَحْلُمُ بالأصدافِ والدُّرَرِ

مِنْ بعدِ أنْ ذَرَعَ الدُّنيا فما فَتَحَت ... لهُ الشَّواطِئُ إلاّ مَرْفَأَ الضَّجَرِ

ولُحْتَ يا أزرَقَ العينين فانطلقَتْ ... أشْواقُهُ بِجُنونِ البِيْدِ فِي المَطَرِ

*****

خليجُ! ما وَشْوَش المَحار في أُذني ... إلاّ سَمِعْتُكَ صَوْتاً دافِئَ الخَدَرِ

ولا تَرَنَّمَ مَلاّحٌ بأغنيةً ... إلا وضَجَّتْ أغاني الغَوْصِ في السَّحَرِ

ولا رأيتُ شِراعاً ضَمَّهُ أُفقٌ ... إلاّ وَمَرَّتْ هواري الصَّيدِ في فِكَري[1]

ولا احْتَرَقَتْ بنارِ الشَّمس ثانيةً ... إلاّ ابْتَرَدْتُ بما خَلَّفْتُ في ذِكَري

خليجُ! مَرَّتْ علينا بالنّوى سَنَةٌ ... فهاتِ حَدِّثْ، وسَلْ ما شِئتَ مِنْ خَبَري

ركبتُ سبعينَ بحراً، جُبْتُ أوديةً ... طارت بِيَ الرِّيحُ من أَمْنٍ إلى خَطَرِ[2]

ضحكتُ والحبُّ يرعاني بِبَسْمَتِهِ ... ونُحْتُ والحُبُّ ليلٌ صاخِبُ الكَدَرِ

عِشْتُ السّعادةَ حُلماً لا يفارِقُني ... وعِشْتُ أعْنفَ حُزْنٍ في دَمِ البَشَرِ

حتّى أتَيْتُكَ فامْسَحْ بالنّسيم على ... آهاتِ جُرْحي ورُشّ الموجَ في شَرَري

وصُبّ في مسمعي الظمآن ملحمةً ... من عالَمِ الظّلّ والألوانِ والصُّوَرِ

عن الشواطئِ تغوي الشمسُ وجُنّتَها ... فترتمي في أصيلٍ أحْمَرِ الخَفَرِ

على اللآلئِ في أصدافِها رَقَدَتْ ... وخَلَّفَتْ أعينَ الغَوّاصِ للسَّهَرِ

*****

خليجُ! يا مَوْجَةً بيضاءَ تنقُلُها ... أصابِعُ الشّوْقِ من قلبي إلى بَصَري

أُعِيذُ وَجْهَكَ أن تَغْزو ملامِحَهُ ... رغمَ العواصفِ إلاّ بَسْمَةُ الظّفَرِ

عَهِدْتُهُ عربيّاً ما لوى فَمَهُ ... بلكنةٍ هاجَرَتْ من شاطئِ التّتَرِ

عَهِدْتُهُ عربيّاً: مِلْءُ جَبْهَتِهِ ... كِبْرٌ مِنَ البِيْدِ لم يركع على قَدَرِ

عَهِدْتُهُ عربيّاً.. ما غَفا وصَحا ... إلاّ على لُغَةِ الإعْجازِ والسُّوَرِ

---

* المجموعة الشعرية الكاملة: (مطبعة تهامة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

١) هواري جمع هوري: قارب صغير من نوع الشاشة يمكنه الإبحار في الأهوار فقط. (معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة – ط٢– ٧١٩).

٢) جاب الوادي: قطعه من جانب إلى آخر. وجاب البلاد وغيرها: قطعها سيراً.

ملاحم وأساطير

لم تنته الأسطورة بعدُ إنتاجاً أو استهلاكاً، رغم سيادة عصر العلم والتكنولوجيا وثورة المعلومات، فلا تزال شعوب كاملة في إفريقيا على سبيل المثال تعيش على الأسطورة ولا تزال العناصر الأسطورية قائمة في أذهان شعوب العالم الثالث، كذلك لا تزال الأساطير عناصر إلهام يوظفها الأدباء والفنانون في أعمالهم المعاصرة.. وينبغي ألا تؤخذ الأساطير والحكايات بمعناها الخارق والعجائبي بل بما تعطيه من دلالات ومظاهر وما تورده من إجابات اجتماعية وفكرية بحيث تتحول دراستها لا إلى إعجاب بالحدث وبسيرورته بل إلى تحليل لوحداته ومحاولة إعادة كشفها باعتبارها سرداً فنياً جاءنا من أجيال ماضية ليرتبط بخزيننا المعرفي الروحي وليؤثر على نفوسنا وآدابنا معاً. وإن كل ما يرد من آراء وأفكار ورؤى ونظرة للخلق والكون في الأساطير والملاحم التي نعرضها فإنه يتنافى ويتقاطع مع جوهر ديننا الحنيف، ولا نعتقد أو نعتد به، وحسبناأننا نتمثل بها من أجل كونها تراثاً إنسانياً لا غير.



■ عرض الدكتور: جلال الدليمي *

يضعها المؤرخون والباحثون بين شوامخ الأدب العالمي، فهي تُعَدّ أقدم نوع في أدب الملاحم البطولية التأريخية لجميع الحضارات المختلفة، وهي أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات العالم القديم، دونت قبل أكثر من ٤٠٠٠ عام، وترجمت حقب حوادثها إلى أزمان مختلفة أبعد. ولكون المشكلة التي عالجتها وقوة شاعريتها جعلتها ضرباً من ضروب الآداب العالمية الراقية، ذات جاذبية إنسانية خالدة في جميع الأمكنة والأوقات، ويلاحظ أن الملحمة في عدد قصصها ذات أصل سومري، وقام البابليون بتوسعتها وتوحيدها كملحمة وطنية شهيرة. ومن يتدبر تتابع السياق التأريخي للحضارات التي نشأت في العراق يجد أن البابليين كانوا ورثة السومريين في وادي الرافدين، واستطاع المؤرخون والباحثون أن يرجعوا تأريخها إلى (٢٠٠٠) عام قبل الميلاد، وبذلك فإن الملحمة تُعدّ أقدم من التوراة ومن ملحمة هوميروس، إذ تسبق الأخيرة بحوالي (١٥٠٠) عام، وتم اكتشاف أجزاء من تلك الملحمة في أرض فلسطين مما يوحي بوجود ترجمة عرفت لدى مؤلفي التوراة الأوائل -الموسويين أتباع سيدنا موسى (عليه السلام)- وبذلك نستطيع أن نؤكد أنها أقدم وأعرق ما صاغ الإنسان من قصص.

أما مكانة كلكامش، فإن قائمة الملوك السومرية تضعه في المرتبة الخامسة في سلالة الملوك الأولى، التي حكمت الوركاء(1) بعد الطوفان العظيم والمذكور في الملحمة -وسنتطرق إليها لاحقاً- وزمنياً يضعونه في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد. ويزعمون أن فترة حكمه قد امتدت إلى مائة وست وعشرين سنة تقريباً، كما عرف بأنه باني أسوار الوركاء، وقيل إن أمه هي الآلهة (ننسن) زوجة إله اسمه (لوكال باندا) الذي لم يكن أباه على كل حال لأن اسم أبيه قد ورد ضمن قائمة الملوك وهو رئيس الكهنة في (قولاب) وهي من أرباض (الوركاء) ومنه استمد الغناء.

ومن يتأمل مفردات الملحمة العظيمة (الوركاء) يجد أنها تركز على كفاح شخصية عظيمة من أجل الوصول إلى هدف تلحّ الروح في طلبه، فيشاهد بذلك الجوهر في المأساة الإنسانية التي في جوانبها قد تعدت الحياة اليومية العادية -والتي يغلب عليها الروتين- حيث إن الموت والحياة ناجمان عن التصرفات الإنسانية التي يمكن مقاومتها، فتأتي هذه الملحمة لتذكرنا بما هو التأريخ البشري، وما هو مصير الإنسان، وما هي حقيقتنا نحن بالفعل.. وبمعنى آخر ان الملحمة تتمثل بأن ملك الوركاء (كلكامش) وباني سورها القدير لا

* دكتوراه تراث علمي عربي

يعرف الرحمة، فأذاق شعبه مرّ عظمته حتى التقى انكيدو، فتى الغابة، الذي كان يعيش مع الحيوانات، يدافع عنها، ويفك شرك الصيادين الذين ضاقوا به، فأوحوا إلى كلكامش ليرسل إلى انكيدو امرأة تخرجه من وحشته، وتعيده إلى مرتبة التصرفات الإنسانية.. عاشرها وتقرب إليها فابتعدت عنه الحيوانات لتتركها تأخذه إلى مدينة الوركاء المحصنة. وفي إحدى طرقاتها التقى بأنكيدو فتقاتلا، وتجمهر الناس من حولهما، وعمّت الفوضى.. وفي لحظات الصراع لمعت في عيونهما ومضات القوة، فأدرك كل منهما أن الآخر يمكن أن يكون خير صنو وخير صديق، فالشجاعة يجب أن تحترم ويجب أن توظف للأفعال العظام، فتصالحا في السوق، وقرر كلكامش أن يذهبا معاً، هو و(أنكيدو) لقتال (خمبابا) حارس حقول الأرز التابعة للإلهْ خمبابا، الوحش الكبير، وجه الموت، والحرب القاتلة – كما أسلفنا.



تأتي هذه الملحمة لتذكرنا بما هو التأريخ البشري، وما هو مصير الإنسان، وما هي حقيقتنا نحن بالفعل

يذكر أن أنكيدو كان يرفض منهج الحرب لأنها سبب الخراب والتخلف والضياع والحرمان، في حين كان (كلكامش) يفكر بنشوة النصر التي تاق إليها منذ زمن بعيد، ولذلك نجده قد أصرّ على قتال (خمبابا)، لكنه قبل الرحيل قام باصطحاب أنكيدو إلى أمه (ننسن) لتباركهما.. وبعد صراع عنيف، انتصر عليه، لكن ليس قبل أن يترك الوحش جرحاً عميقاً في ذراع أنكيدو، وعادا منتصرين إلى الوركاء لتستقبلهما الآلهة (عشتار) مباركة النصر، وطالبة من كلكامش الزواج بها ليصبح إلها كاملاً على حد الزعم، إلا أن كلكامش رفض فكرة الزواج بها، وووبخها لأنها تغوي ليفتتن بها العظماء ثم تنكل بهم، فغضبت (عشتار) وطلبت من أبيها الإله (آنو) أن يرسل ثوراً كبيراً ليهلك الناس، ويقتلهم، وبذلك حارب كلكامش وأنكيدو الثور وقضيا عليه، لكن القتال لم يترك لأنكيدو الجريح مفراً من الموت الذي حاول أن يقاومه لكن دون جدوى. فذعر كلكامش ذعراً شديداً لموت رفيقه، وتركهُ سبعة أيام قبل أن يدفنه، إلا أن صديقه قد تعفن ووهن لحمه، فأدرك كلكامش أن الموت سيبطش به لا محالة، وخاف كثيراً –لأنه مغرور ومتشبث بالحياة– وتحت وطأة العذاب النفسي والذعر قرر (كلكامش) أن يبحث عن الخلود حتى لا يصيبه ما أصاب رفيقه (أنكيدو)، وبذلك يتمكن حسب اعتقاده، من أن يعيد الحياة ثانية إلى صديقه المفقود.

تعمد كلكامش ونزع لباس الملوك وارتدى جلود الحيوانات وهام على وجهه ناشداً طريق الخلود، فقصد (أوتونبشتم) الذي وجد الخلود بصعوبة تذكر، خاصة بعد أن كسر الألواح الصخرية التي تدله على الطريق، وأخيراً فقد نجح في تأمين اللقاء به ليستمع منه إلى قصته في مواجهة الطوفان العظيم –قصة نبي الله "نوح" عليه السلام– وكيف أنه بنى الفلك العظيم وحمل معه من كل المخلوقات زوجين اثنين ليعيدا الحياة بعد أن ينتهي الطوفان بانتهاء غضب الآلهة، ففقد إحدى عينيه، ولربما يفقد العين الثانية قريباً، فدلّ (أوتونبشتم) كلكامش على نبتة الخلود، وفعلاً حصل عليها كلكامش، وفي نشوة انتصاره كعادته نزل إلى النهر ليسبح ويزيل عنه غبار الرحلة الطويلة، فنزلت أفعى وأكلت نبتة الحياة، وتركت كلكامش من دون خلود.. فأدرك كلكامش أن القدر يأبى إلا أن يدركه الموت يوماً، فقرر أن الخلود إنما يكون بالعمل العظيم الذي لا ينساه الناس فيخلد أسماء صناعه، ومنذ ذلك اليوم قرر كلكامش أن يغير تعامله مع شعبه، وأصبح ملكاً خلده التاريخ، وتناولته أقلام الأدباء والمؤرخين إلى يومنا هذا. ■

هامش:

١) الوركاء: مدينة تقع جنوب العراق – ذي قار.



الهبّــــان

صلوا على محمد

اللهم صلِّ وسلِّم عليه

كان يا ما كان في قديم الزمان امرأة طيبة، متزوجة منذ زمن طويل، ولكن الله لم يرزقها بأطفال وهي صابرة محتسبة لِلّه، وفي يوم من الأيام رفعت يدها إلى السماء ودعت الله أن يرزقها حتى ولو بشبه ولد، أو أن يرزقها بهبّان و(الهبان) هي القربة التي تصنع من جلد الأغنام وتستخدم في عزف الألحان الجميلة في الأفراح والمناسبات في الإمارات.

استجاب الله لدعوة المرأة الطيبة ورزقها بهبّان، ولكنها لم تفرح به، بل حزنت فهو ليس بولد أو حتى شبه ولد، وما هو إلا آلة موسيقية، ظلت تلازم الهبان طيلة فصل الشتاء، وبعد أن انقضى فصل الشتاء وأعد الناس عدتهم للرحيل في رحلة (المقيظ) بالابتعاد عن المدينة والذهاب للواحات رافقتهم أم الهبان ولكنها لم تأخذ ابنها الهبان معها.

بقي الهبان وحيداً في زاوية من زوايا ذلك البيت الشتوي العتيق، وقد وضعت له أمه شيئاً من الطعام وجرة من الماء العذب، ولكنه لم يكن وحده في المدينة فقد كان بعض كبار السن وبعض العائلات الفقيرة التي لا تملك احتياجات السفر في المدينة أيضاً لعدم قدرتهم على الرحيل.

بعد أن عاد المسافرون من رحلتهم ومنهم أم الهبّان، أخبرهم أولئك الناس الذين بقوا في المدينة، أنه بعد رحيلهم كانوا يشاهدون شاباً وسيماً قوياً يأتي كل يوم من مكان غير معروف للصلاة في مسجد المدينة الكبير، وأخذت تطوف أرجاء المدينة حكايات كثيرة حول ذلك الشاب الجميل.

في يوم من الأيام وبينما أم الهبّان كانت تنظف ذلك الركن الذي وضعت فيه الهبّان سمعت صوتاً يقول: «الهبان يبغي يعرّس.. الهبّان يبغي يعرّس» أي الهبان يريد أن يتزوج، فالتفتت إليه وقالت: هل أنت من يتكلم.. قال: نعم، قالت: إذاً سأزوجك يا بني إن كانت هذه رغبتك.

أخذت الأم تطرق أبواب الناس الباب تلو الآخر تخطب لابنها الهبّان، ولكن الجميع يردون بالرفض، إلى أن دقت باب أحد صيادي الأسماك الفقراء، وكانت له أربع بنات جميلات، فخطبت ابنته الكبرى، فوافق، ولكن بشرط واحد، هو موافقة ابنته، وذهب لاستشارة ابنته، ولكنها رفضت أن تتزوج الهبّان، فتوجه للصغرى، ثم الأصغر، فلم توافق، إلا الأخيرة وهي أصغرهن فقد وافقت وفرحت بالأمر.

تزوج الهبان ابنة الصياد الصغيرة وزفت إليه في بيت جديد وعاشت معه عيشة هانئة



هادئـة.

وفي يـوم مـن الأيـام استيقظت الفتـاة مبكـراً، فإذا بهـا تـرى زوجهـا الهـبّان، قـد خلـع رداءه المصـنوع مـن الجلـد وظهر في صـورة جميلـة لم تـرَ لـه شبيهـاً مـن قبـل، فاختبـأت حتى خـرج لصـلاة الفجـر، وبعـد خروجـه أخذت القربـة الجلديـة وأحرقتهـا.

وعنـد عودتـه أظهـرت لـه نفسهـا قبـل أن يهـمّ في البحث عن القربة، ففـرح بـهـا وبصنيعـهـا، وبقـي علـى حالتـه الآدميـة وأخـبرت الزوجـة أهلهـا وباقـي أهـل المدينـة وعـرفـوا أن ذلـك الشـاب الوسيم الذي كـان يصـلـي معـهم الفجـر في فصـل الصيـف هـو الهبـّان، وعاشـا عيشـة هانئـة وسعـيدة.

■ عبد العزيز المسلم

مدير إدارة التراث - الشارقة

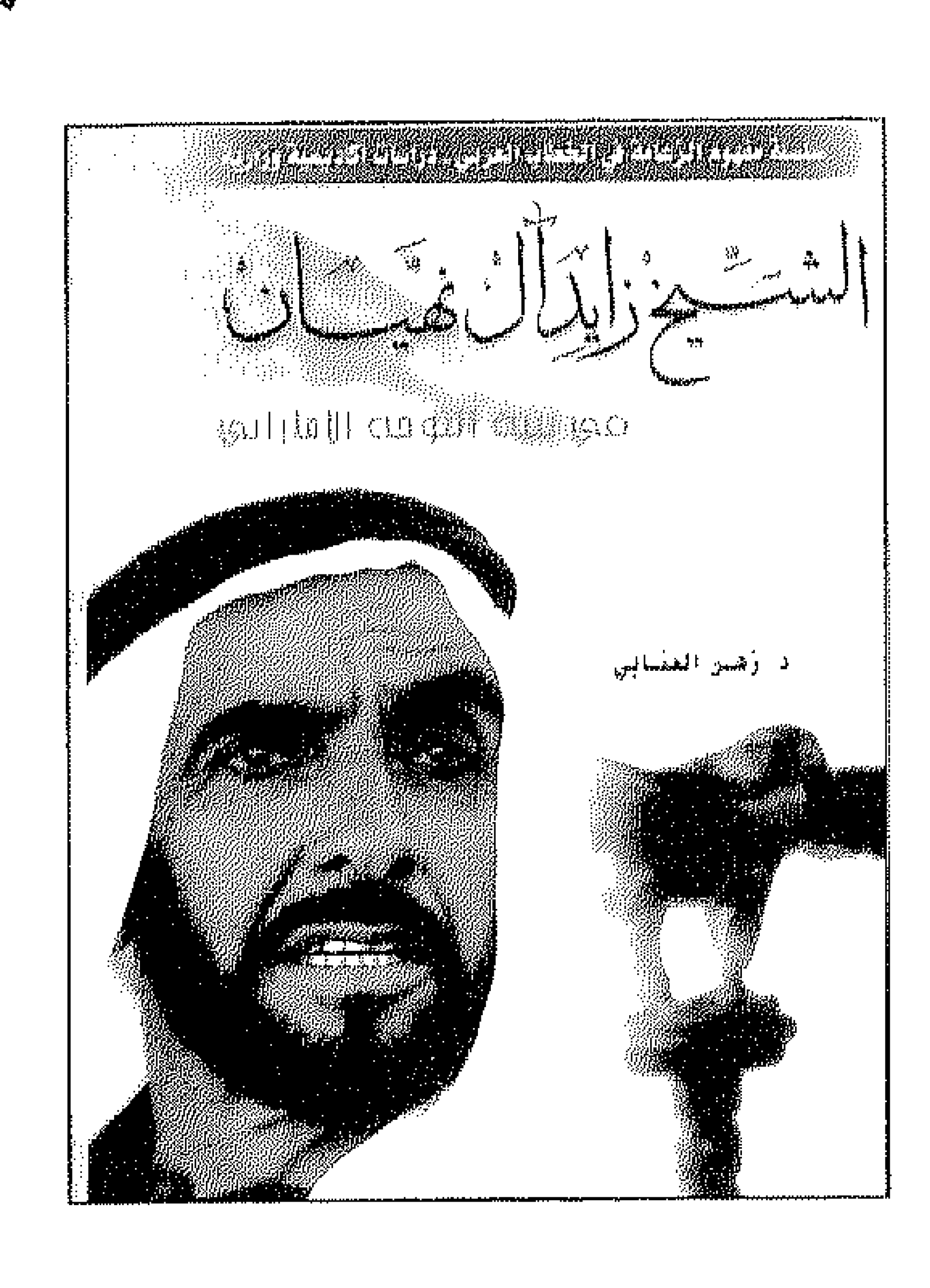
marawed@hotmail.com

الشيخ زايد آل نهيان في بنية التوجه الإماراتي

كتاب الدكتورة زهر العنابي رئيسة المجلس العلمي لكلية الآداب والعلوم في جامعة سعد دحلب في الجزائر، والموسوم بـ (الشيخ زايد آل نهيان في بِنية التوجه الإماراتي)، صدر مؤخراً عن دار الرومانتيك للأبحاث والدراسات في إربد بالأردن، ضمن سلسلة دراسات أكاديمية وزارية حول (مفهوم الزعامة في الخطاب العربي).

وبعد مذكرة لكل من يهمه الأمر المطولة للمؤلفة، كتب الدكتور عمّار ساسي مقدمة الكتاب، أعقبه تصدير الكتاب: (تنظير فلسفي نقدي لمفهوم الزعامة العربية في التوجه الإماراتي). وأما التمهيد فجاء بعنوان: الإمارات العربية المتحدة واقع خليجي عربي دولي استراتيجي. أفردت المؤلفة زهر العنابي أربعة فصول لكتابها الجديد. تناول الفصل الأول منه: (الشيخ زايد آل نهيان في بِنية التوجه الإماراتي)، وهو عنوان الكتاب، ألحقته بتصدير تناولت فيه الموضوعات التالية: في مفهوم القيادة في ذهنية صاحب القرار في صناعة التوجه الإماراتي، والشيخ زايد بن سلطان نشأته وحياته، والقائد الوالد، والقائد الإنساني، والقائد الديمقراطي.

أما الفصل الثاني من كتاب العنابي فهو: (مشابهة فلسفية بين فكر روسو في العقد الاجتماعي وفكر الشيخ زايد آل نهيان). والإمارات العربية تاريخ وحضارة في ضمير الشيخ زايد آل نهيان هو عنوان الفصل الثالث، أشارت فيه لأربعة موضوعات: أولها عرض لجوانب من مسيرة التنمية الشاملة، والثاني حوار الصحراء في ذهنية التفكير الإماراتي، وثالثها المرتكزات الصناعية العامة في التوجه الإماراتي، والأخير الفكر التربوي التعليمي وأسس تمكينه في العقلية الإماراتية. وختمت المؤلفة فصول كتابها بالفصل الأخير (الرابع): واقع التوجه الإماراتي بين الإعلام والإعلام الآخر. أما الخاتمة فهي عن: الإمارات العربية أنموذج الوحدة والاستمرارية في مشروع خطاب الزعيم العربي.■



*** اسم الكتاب: الشيخ زايد آل نهيان في بِنية التوجه الإماراتي**

*** اسم المؤلف: الدكتورة زهر العنابي**

*** اسم الناشر وسنة الطبع: الرومانتيك للأبحاث والدراسات، الطبعة الأولى، إربد بالأردن، ٢٠٠٤م.**

*** عدد الصفحات: ٢٨٤ صفحة من القطع الاعتيادي.**

*** العنوان: ص.ب ٤٤٨٤، إربد، الأردن.**

نظرات في بحار النقطة

صدر للكاتب براك الشايجي عن مكتبة المعارف المتحدة في الكويت كتابه: (نظرات في بحار النقطة). وتوزع الكتاب على خمسة فصول، تناول المؤلف في كل واحد منها نظرة مختلفة عن الأخرى. ففي الفصل الأول: نظرات من التاريخ، وقف الشايجي عند ستة وعشرين نظرة تاريخية هي: من هو فلاديمير جابوتنسكي، وأنور باشا، والباب اسكندر بورجيا، ودير بور رويال دي شان، وماذا جرى في ساند كريك، وأماكن وأي أماكن، ومواقف تاريخية، وتنصر نساء من العائلات المالكة، وموسى بن ابي الغسان، ومالكوم إكس، وعبدالله ياسين مؤسس دولة المرابطين، ومذبحة سانت بارتليمي، والأمازونيات، والتكتل المماليكي،

ودولة هرر الإسلامية وآخر ثورة إسلامية، ومغامرات محمود وجميلة العذراء، وحكاية سبي العرب للعرب، وسرّ الولاء الشامي للبيت المراني، والبهرة، والفاتيكان.. والحرب العالمية الثانية، والجمهورية الأندلسية في مصر العباسية.

وجاءت: (نظرات في الأدب والفن) بست نظرات، في حين خصص المؤلف الفصل الرابع (نظرات في الفكر والفلسفة) لاثني عشر موضوعاً من النظرات، وتوزعت كالتالي: الموت بمأساة، والرجل والمرأة.. جروح لن تندمل، والفكرة والدليل، والموسيقى وأثرها على الروح، ونساء... وأفكار، والخيال لبناء عالم من جَمال، والإنسان.. نقد أوهام الأنثروبولوجين، وسقرا: هل هو نبي أم رجل صالح؟، والميثولوجيا المقارنة، وأيّهما أكثر في الوجود الشّر أم الخير، وقفات مع محطات المفكرين، ماركس، نيتشة، سارتر، داروين، ميكافلي. وختم براك الشايجي فصول كتابه بالخامس الذي عنونه: (نظرات في التصوف) عرض فيه لمادتين هما: التصوف العقلي، ونور النبي.

* اسم الكتاب: نظرات في بحار النقطة
* اسم المؤلف: براك الشايجي
* اسم الناشر وسنة الطبع: مكتبة المعارف المتحدة، حَوَلِي، دولة الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
* عدد الصفحات: ٤٦٨ صفحة من القطع الاعتيادي.
* العنوان: ص.ب ٥٩٩٤- حَوَلِي- ر.ب ٣٢٠٩٠، دولة الكويت.

فتنة الأثر على خطى ابن بطوطة في الأناضول

صدر للشاعر الموريتاني محمد ولد عبدي الباحث في المجمع الثقافي في أبو ظبي كتابه الموسوم بـ (فتنة الأثر على خُطى ابن بطوطة في الأناضول) عن دار السويدي للنشر والتوزيع في أبوظبي وضمن سلسلة السندباد الجديد- الرحلة العربية الحديثة- حيث قام عبدي وثُلة من العاملين معه وهم: مسعود أمر الله، وبدر النعماني، وعبد الكريم عبد الحكيم، وأحمد كبير وكلهم مصورون، باستثناء أمر الله المخرج السينمائي، حيث سافروا إلى تركيا -بلاد الأناضول- وأقتفى الشاعر ولد عبدي خُطى الرحالة العربي ابن بطوطة وهو يجوب مناطق تلك البلاد ليستكشفها من جديد، ويخط بقلمه الشاعري طبيعة المكان والناس والحياة العامة للأناضول بعد هاتيك السنون.



وحكى عبدي في المقدمة تعرّفه على الرحالة العربي ابن بطوطة منذ الطفولة، لأنّ خاله الغائب برأي أمه (هو ابن بطوطة).. أما ابن بطوطة والسويدي فرسم لنا قطوفاً من سيرة المجمع الثقافي وأمينه العام الشاعر محمد أحمد السويدي، وطلبه من المؤلف أن يضع رحلة ابن بطوطة على الشبكة الدولية مجردّة من نصّ ابن جزي الكلبي، فعمل على تحقيق ذلك ووضعها على الشبكة للعامة.

* اسم الكتاب: فتنة الأثر على خُطى ابن بطوطة في الأناضول
* اسم المؤلف: محمد ولد عبدي
* اسم الناشر: دار السويدي للنشر والتوزيع، ارتياد الآفاق، سلسلة سندباد الجديد، الرحلة العربية الحديثة.
* الطبعة وسنة النشر: الطبعة الأولى، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤م
* عدد الصفحات: ٨٨ صفحة من القطع المتوسط.
* العنوان: ص.ب ٤٤٤٨٠، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.



حكايات واقعية من الحياة يرويها:
■ خميس بن زعل الرميثي


اللفـــه

جزيرة اللفه التي ذكرناها قبل ذلك عدة مرات يفصل بينها وبين جزيرة لفي بحر خفيف.. ولما وزعت الحكومة البحور على الناس.. كان من نصيب صباح بن ثاني بحر اللفة (وهو ليس صباح بن ثان الحالي) يصيد فيه الأسماك هو والجماعة مقابل (شفية البحر)، وهي ما يطلق عليها الآن الضريبة.

صباح كان يسعى في بحر اللفه والفيي والناس يشاركونه الصيد في أيام الشتاء بالسكار.. حيث يمدون الغزل (الشبك) لمسافات طويلة، والسكار يتم عادة في المياه الضحلة.. أما عن كيفية تقسيم المحصول على هذا العدد الكبير من الصيادين فكان يخصم من الحصيلة الخمس للشفية (الضريبة).. والباقي يوزع على السفن المشاركة في الصيد وكل واحد حسب ما معه من أشخاص وشبك.. والشبك ليس كله واحداً.. فهناك الشبك القوي الجديد وهو عادة ما يوضع في منتصف السكار ليصمد أمام كمية السمك.. أما الشباك الضعيفة فتوزع على الأطراف.. وسمي السكار.. لأنه يسكر الطريق على السمك حيث يتم مده لحوالي أربعة كيلومترات أو أقل أو أكثر حسب مسافة الغزل. وعند الحساب. يتم عَدّ سمك البياح الذي تم اصطياده.. وحتى لا يكون هناك شك أو ريبه في نفوس المشاركين في عملية الصيد.. كان يقوم شخص بتعداد سمك فلان.. وفلان يقوم بتعداد سمك الأول وهكذا.. وبعد عَدّ السمك يتم تجنيب نصيب الحكومة (الشفية) وتقسيم الباقي كل شخص له سهم، وكل قطعة شبك لها سهم إن كانت جديدة، وكل قطعتين بسهم إن كانتا قديمتين.

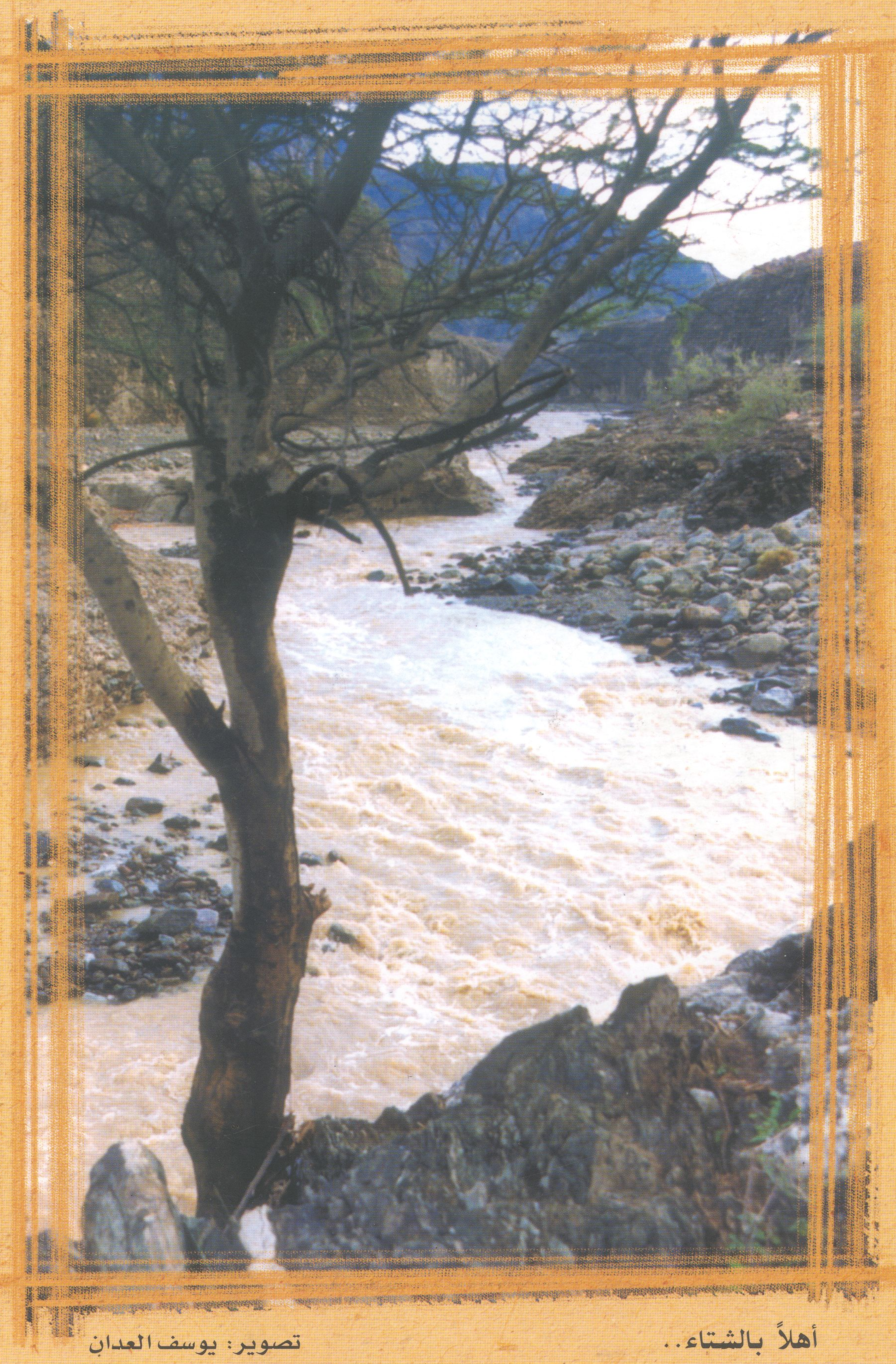
وهناك من الحسيبة المشهود لهم بالكفاءة والقدرة وعدم الخطأ وكنت والحمد لله واحداً منهم.. فيتم عَدّ السمك كل سمكتين مع بعضهما حتى يصير العدد ٥٠ (أي مائة سمكة) فيتم تجنيب سمكة واحدة يسمونها (مرور) لتكون دلالة على عَدّ مائة سمكة، وهكذا، ولا بدّ أن يكون صوت الحسيب مسموعاً.. لأن كل إنسان ليس معصوماً من الخطأ.. فيتم تصحيح الخطأ إن حدث.. وحتى يطمئن كل واحد بأنه أخذ حقه «بالوفا والتمام والكمال» وكأنهم على قلب رجل واحد.

ذكرنا أن هذا العَدّ كان يتم بالنسبة لسمك البياح (البوري) فقط، أما الأنواع الأخرى فكنّا نسميها (سفل) أي أسفل في المرتبة، وكان يتم توزيعها بالمزماه (القفة) لكثرتها، وأذكر في إحدى السنوات أننا صدنا صيداً وفيراً جداً في سكار الحويلات في ظهر جزيرة مروح، يومها تجمّع أهل البحور والصيادون وكان يوماً مشهوداً يذكره كثير من الناس.. وقد قام عدد من الحسيبة بعد السمك، وما قمت بتعداده أنا بمفردي وبيدي في تلك الليلة كان ٤٣،٨٠٠ سمكة بياح، ولأننا كنّا مشغولين جداً في عملية شق وتمليح السمك قبل أن يفسد من الحرارة، لم يتمكن أي واحد منا من شواء عدة سمكات للطعام، فأكلنا العيش بدون (ودام) ومعه جسيف بدون طبخ.. وقد أعلنا حالة الطوارئ القصوى كما يقولون.. وجمعنا الملح من كل حدب وصوب.. وتمكنا من شق وتمليح ما قدرنا عليه.. ومع هذا.. فسدت كميات من السمك تعد بالملايين.. لنفاد كل الملح الذي كان لدينا. ■



الجبال الصماء تحتضن الطبيعة الخضراء.. دبا الفجيرة

تصوير: يوسف العدان



أهلاً بالشتاء..

تصوير: يوسف العدان

ثراث